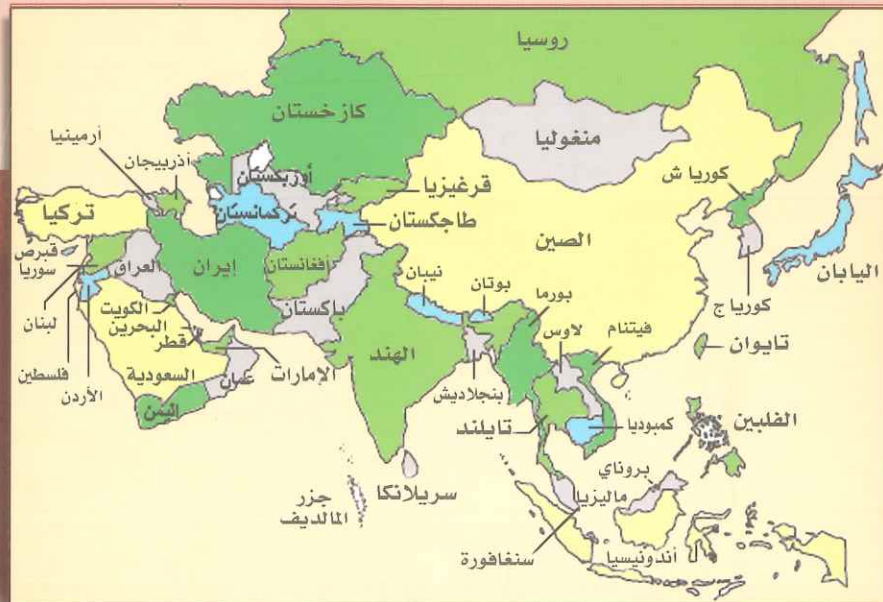


جولة في أحرف وعشرين دولة آسيوية



تأليف

إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

جولة في إحدى وعشرين دولة آسيوية

تأليف

إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق

الطبعة الأولى

٢٠١١م / ١٤٣٢هـ

ح إسماعيل سعد إسماعيل العتيق، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العتيق، إسماعيل سعد إسماعيل
جولة في إحدى وعشرون دولة (أسيا). / إسماعيل سعد إسماعيل
العتيق. - الرياض، ١٤٣٢هـ
٤٢٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٥ - ٧٦٤٧ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- أدب الرحلات ٢- أسيا- وصف رحلات أ- العنوان
ديوي ٩٥٠٤، ٩١٥ ١٤٣٢/٥٤٨٧

رقم الإيداع : ١٤٣٢/ ٥٤٨٧
ردمك : ٥ - ٧٦٤٧ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنِثُّ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣١) [الرعد].

جرت حكمة الله في هذا الكون أن تصطدم المتضادات، وأن تتعارض المتناقضات، فتعترك اعتراك التنافس والتضاد، فالنور ضد الظلام، والخير في منحى والشر منحى آخر، ومن ذلك الحياة والموت إلى آخر ما عليه سنن الله في الكون في القديم والحديث، ومن هذا انبعثت الأعمال. قال أحد القضاة لخصم عنده: لا تكن أعوجاً فقال الخصم وهذا من صالحك لولا اعوجاجي لما نصبت قاضياً تعدل الاعوجاج، خلص من هذا أنني أصبت في نهاية العقد الثاني من سني العمر بأمراض اعترتني جعلتني أبحث عن الشفاء خارج موطني، إذ لم يكن فيه علاج فاخترت لبنان فكان نعم المضيف وبئس العارض استوجب ملازمة السرير الأبيض عاماً كاملاً متواصل الأيام والشهور ونصف العام في مراجعات وفحوصات فالحمد لله برأ الداء ونفع الله بالدواء، وكان هذا العارض نقطة انطلاق لجغرافية الأرض على مدى ستين عاماً طوفت سبعاً وخمسين دولة لا للاستشفاء ولا لغرض غير إرواء رغبتني في التجوال فكان ذلك برأً وبحراً وجواً^(١) لا أنسى موج بحار المحيط الهندي حين تلاطمه ثمانية أيام من منبي إلى المنامة بالبحرين بلغت الروح الخنجر ثلاثة أيام لم نطعم بقيت هذه الرحلة في

(١) وعدد من الدول في مهمات رسمية.

مخيلتي وهي درس من دروس الحياة الذي لا ينسى وهكذا يمضي نصف قرن من بداية الرحلة الأولى إلى لبنان عن طريق الكويت ثم توالى الرحلات في هذه الحقبة الدهرية واليوم وقد تجاوزت السبعين من العمر أحرر أوراقى وأجمع شتات مذكراتي لأكتب لك أيها القارئ جولة في إحدى وعشرين دولة هي: الكويت، لبنان، سوريا، الأردن، البحرين، قطر، عمان، الإمارات المتحدة، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، حينما كان الجنوب دولة هذه دول عربية باستثناء المملكة العربية السعودية لم أضمنها كتابي هذا يلي تلك الدول دول آسيوية غير عربية هي الباكستان، الهند، سيلان، جزر مالديف، بنجلاديش، أندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، تايلاند، الفلبين، إيران، فهذه إحدى وعشرون دولة. أما دول أوروبا وإفريقيا فلها حديث آخر. ومن وقائع الأحداث وغريب الموافقة أنني أحرر هذه المقدمة في شهر شعبان ١٤٣١ هـ وفي لبنان إذ هي مركز التحقيق ومنارة الإعلام ومع ذلك فإنني لم أزد على مذكراتي السابقة في الرحلة الأولى له عام ١٣٧٩ هـ فهل أنا بهذا أهدي إلى القارئ الكريم نفائس أنفاس العمر وخطفة ومض في آفات الكون واسع الأطراف عسى أن لا أكون سبة لقارئ أو شامة لناقد حين لا يعجبه ذلك.

وقد استشهدت صدق حديثي بصور فوتوغرافية هي شاهد على

ما مضى وفيها قلت:

يا رسم حسنك في الشباب عظات إن الحياة حوادث ومحات
الدهر ينطق والشواهد عدة أن على درب الممات مشاة
من كان يطمع في الحياة مؤيدا ينبئك عنه مقابر ورفاة
فدع الحياة فإنها غرارة إن الحياة سنونها ساعات
أرخت رسمي في الشباب بأبجد (ش غ ف) الفؤاد فزادت الآهات

٣٠٠ ١٠٠٠ ٨٠

إسماعيل بن سعد إسماعيل العتيق

١٤٣١/٨/٢٨ هـ

(١) الكويت

في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٩هـ، وفي أول جمعة منه؛ يخطب الخطيب في ذكرى الهجرة النبوية في حكاية رحلة برية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة مع ذكر المعجزة في سلامة النبي ﷺ من أذى قريش ومكرهم مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وهكذا نسج الخطيب خطبته بذكرى هجرة المصطفى ﷺ كواقعة تاريخية فاصلة في مسار الدعوة بين ماضٍ ومستقبل، وما أن انتهت الخطبة والصلاة حتى وقف ابن نجد وتلميذ الدعوة السلفية ليقول كلمته حول الخطبة، إذ أن الخطيب لم يقل السبب الصحيح؛ والحكم الشرعي في الهجرة ومشروعيتها وبقائها إلى أن تطلع الشمس من مغربها، ولم تطب نفسه إلا أن يبرئ ذمته ويقول كلمة الحق وإن سخط من سخط، وقف عقب الصلاة خطيباً ليقول: إنَّ سبب الهجرة؛ عدم قدرة المسلمين على إظهار دينهم في مكة المكرمة؛ فأمر الله رسوله ﷺ بالانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وقد عنف القرآن من لم يهاجر مع قدرته على الهجرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا

أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴿[سورة النساء].

هكذا صورة ما حدث في أول جمعة وفي مجمع كبير، قام هذا الشاب النجدي والمتأصل في معتقده ما عليه علماء بلده كل دولة لا تحكم الشرع فهي دولة كافرة، يجب الهجرة منها إلى بلاد الإسلام؛ ما لم يكن هناك موانع شرعية؛ أو صوارف دولية؛ أو حواجز سياسية بتحديد الهوية والجنسية.

حوار ونقاش:

تفرق الناس وأخذ السرعان منصرفين غير مكترئين بما قاله المعقب والمذكر عقب خطبة الإمام وصلاته، غير أن فتية أربعة يلبسون البدلة الإفرنجية مخلوقي اللحى والشوارب؛ أبدوا تقبلاً وقبولاً لما قاله المعقب واحتضنوه بحرارة وقابلوه بحماس مشجعين مؤيدين قوله وحكمه.

بدأ الحوار من القوم قالوا كانوا من فلسطين: لا أرى عليكم زي المواطن العربي؛ بل وقد خالفتم السنة في حلق لحاكم.

كلام غريب؛ وحكم أغرب؛ كيف يصدر هذا التعليل ممن ليس عليه سمة العلم ولا مظهر الديانة، السؤال لهم: ما هي حرفتكم؟ وأي عمل تمارسونه في الكويت؟ أجابوا: نحن أصحاب ملحمة، فرد عليهم السائل: وأي ملحمة؟ وما معنى ملحمة؟ قال أحدهم: أصحاب مجزرة لبيع اللحم؛

سبحان الله في ما نعهده أن أرباب المجازر ومن يدعون بالقصابين؛ هم من أصحاب الحرف التي تقلل من أهمية صاحبها في المجتمع والمكانة؛ حتى قال من قال بكراهية الصلاة خلف الجزار لأن حرفته ليس فيها شرف، وحرى أن يكون في ثوبه دم أو طشاش منه، وفيما قيل: إن أقسى القلوب ثلاثة: جندي وطبيب وجزار.

تم سياق هذا الحديث معهم في وقفة سريعة عاجلة وهم يعرضون الدعوة بشرب الشاي أو تناول بارد سريع، يعتذر لهم ويتم عقد موعد ولقاء فيه يتم الحديث والنقاش فيما يرونه حول ما تم الكلام عليه عقب صلاة الجمعة في حكم الهجرة؛ خلاف ما كتبه الخطيب أو تخرج في إبدائه وإعلانه، فانصرف الجميع إلى موعد آخر ولقاء بعد أن تحدد ذلك الموعد.

لقاء آخر:

تم اللقاء وفق الموعد المحدد؛ فإذا هم يقدمون هدية من كتيبات في طباعة حسنة؛ وهم يقولون: بهذه الكتب ندعو الناس إلى تحقيق مضامينها؛ تم إلقاء نظرة بعد قراءة العنوان.

المؤلف هو الشيخ تقي الدين النبهاني، أما العناوين فهي: الحكومة الإسلامية، النظام الإسلامي، أسلوب العمل لقيام الدولة الإسلامية، سياسة الدولة في التعليم، الاقتصاد، العلاقات الخارجية، إلى آخر العناوين المتضمنة لتلك الكتيبات. أعود لأقول لهم بصراحة: إن النبهاني هذا هو من

مناوئي الدعوة السلفية في بلادنا، رد عليه مشايخنا، ولكنه قد مات وأفضى إلى ما عمل.

كان الكلام مفاجئاً بصراحته ووضوحه، قال الجميع: لا، لا هو موجود وهو حي ولعلك تعني شخصاً آخر.

تم البحث بعد التعارف وانتهينا على أن نلتقي مرة أخرى حيث أفادوا بأن انتفاءهم حزبي؛ يقوم على دعوة الناس إلى إقامة الخلافة الإسلامية، هذا الحزب يدعى بحزب التحرير الذي تأسس عام ١٣٧٠هـ في فلسطين.

عدت مرة أخرى لأتصفح محتوى هذه الكتيبات فقلت للصحبة: طريقتنا في التعلم هو اقتناء الكتب الدينية؛ والتي تبدأ بنصوص من الكتاب والسنة تحت أبواب واضحة معبرة تترجم مضامين الآيات والأحاديث كما في صحيحي البخاري ومسلم، أما كتبكم هذه فإنها مجموعة أفكار ترسم نظماً بأسلوب المؤلف؛ لا يستشهد ولا يستدل بأحاديث على ما كتبه وحرره، فالأسلوب الإنشائي هو أسلوب يعتمد على العصريون؛ الذين يأخذون بمضامين النصوص من غير إشارة إليها ولا استشهاد بها، وعلى كل فأنتم بدعوتكم هذه تقيمون الحجة على من لا يحكم شرع الله في أرض الله ولا سيما ممن أقدرهم الله، وإنما تنكبوا ذلك جهلاً أو تجاهلاً بالأحكام الشرعية.

حملت ما أهدوه لي من كتب ظلت معي أرددها وأكرر قراءتها، لا أدري هل سيكون لهذه الكتب صدى في أجواء العالم الإسلامي والذي

أصبح تحت السيطرة والتأثير الغربي، وهل مثل هذه المجموعة التي لم تأخذ الإسلام في شعاره ديناً، وإنما اختارت قيام الدولة كيف يصح هذا؟.

ولعل ما خفي من معتقداتهم أطم وأعظم فإننا لله وإنا إليه راجعون، وبهذا ضاعت الخلافة وضاع الخلق بضياح الشعائر والشرائع، انتهى ما أردت تحريره في زيارتي الأولى للكويت عام ١٣٧٩هـ، والله أعلم. أمضيت خمسة عشر يوماً في الكويت في حرة اللطى ضيفاً على أحد معارفنا السعوديين من أهل القويعة، كان تاجراً بالرقيق قبل التحرير، وكنت أعجب من تأثر أولاده بالبيئة الكويتية حيث يسمون الثوب بالدشداشة، والجح الرقي، واستعمال الإمالة بقولهم بدل هنا (هنيه) وياء للعجب؛ ومولي كلياً؛ وجاؤوا: ياؤوا، وكان سفري من الرياض إلى الكويت براً بطريق ترابي لا يعرف الأزفلة متراً ولا شبراً، مررت بقرية الحد الجمركي بين الدولة السعودية والكويت، وقد سمعت قولة من قال في هذه القرية: ماء هماج وجو عجاج ونسأل الله السلامة والمخراج.

كانت مدة الرحلة البرية من الكويت أربعة أيام بالسيارة الوנית؛ الذي لا يتأبى سائقه من الطرق الوعرة والمسالك المخيفة؛ ولكنها آمنة بأمان الله؛ بحكم الله الشرعي؛ وقوة الدولة الصارمة، وقد كانت قرية تابعة لإمارة الأحساء بالمنطقة الشرقية، وأميرها آنذاك الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي - رحمه الله -.

الرحلة الثانية للكويت عام ١٣٩٠هـ

في هذا التاريخ وقبله بسنوات وبعده، ظهرت طلائع الحركات التنظيمية على شكل جمعيات وأحزاب ومنظمات استهدفت دول الخليج وبالذات الكويت، والذي انقضّ إليه من سوريا ولبنان وفلسطين رجال الأعمال وأرباب الحرف مختلفو الصنائع، فالحركة القومية كانت تأخذ طريقها الرسمي والشعبي ولسانها ((مجلة العربي)) رئيس تحريرها الدكتور أحمد زكي؛ والأبواق المصرية الناصرية تنفخ في صور القومية العربية؛ حتى كاد العرب أن ينسوا رابطة الدين الإسلامي بين الشعوب والأمم المتناثرة في أرجاء المعمورة، وكانت الجامعة العربية في أوج نشاطها آنذاك؛ ومن فصيلة القوميين العرب الأحزاب السياسية كحزب البعث السوري ونديده العراقي؛ تمكن حزب البعث من نفوذه في صفوف الشبيبة السورية، ومنهم تأثر شباب الكويت، غير أن من تتلمذ في جامعة الأزهر ومارس أعمالاً تتناسب وفق دراسته وتخصّصه؛ كالخطابة والإمامة والقضاء الشرعي في الأحوال الشخصية والانخراط في صفوف موظفي الدولة وبخاصة جهاز الأوقاف والشئون الإسلامية أظهر استياء من ممارسة التكتل الحزبي أو

التنظيمي المناوئ للخط الإسلامي مناوأة صريحة، فأثاروا فكرة التنظيم الإسلامي المدافع عن الإسلام ولإظهار مثله وتنظيمه، كما أن عامل الإثراء والانفتاح الكلي على الخارج كان من أهم العوامل التي دعت إلى إيجاد عمل إصلاحي إسلامي يأخذ طابعه الرسمي والشعبي، فكانت (جمعية الإصلاح) والله الموفق.

جمعية الإصلاح:

جمعية شعبية إسلامية تنظيمية؛ تم الاعتراف بها من قبل الدولة الكويتية فكانت الأولى من نوعها في الدعوة والإصلاح، وأصدرت الجمعية ((مجلة المجتمع)) وهي مجلة أسبوعية تنطلق باسم الجمعية، وأبرزت هذه المجلة واقع العالم الإسلامي كواقع جريح؛ يفتقر إلى إعادة النظر في إصلاح الجوانب التي يفتقر إليها المسلمون في السياسة والاقتصاد والمجتمع، ذلك أن عواطف المسلمين تهفوا إلى الشعائر الدينية؛ وتتطلع إلى لسان ينطق باسم الإسلام في مجال الصحافة والإعلام، فكانت المجتمع كذلك، وقد لا نبالغ في القول إذا قلنا: أنها هي مجلة إسلامية في المحيط العربي ولا زالت تدافع عن الإسلام فتشير قضايا المسلمين ومشكلاتهم؛ إثارة تدعو إلى الإصلاح والتنبيه للغزو الغربي أو الشرقي لمقومات العالم الإسلامي ديناً واقتصاداً وسياسة، فنادت جمعية الإصلاح بإصلاح ما

أفسده القوميون والبعثيون، وكان لهم كلمتهم في المجتمع والدولة، وجوانب الإصلاح التي اعتمدتها الجمعية كثيرة متعددة؛ فليس محصوراً في الدفاع فقط والعرض والإيضاح، وبرنامجهم الدعوي تعدى إلى المشاريع والمنشآت الخيرية في العالمين العربي والإسلامي؛ فهي جمعية إصلاحية بما تعنيه هذه الكلمة من شمول في الكويت وخارج الكويت جزاهم الله خيراً، وقد تتعثر في مسيرتها لمواقفهم الصلبة ودفاعهم القوي عن الإسلام من هجمات العلمانيين واللا دينيين؛ من أرباب الأفكار المستوردة والمنظمات الدخيلة على المجتمع الكويتي.

ثلاثة لا ننسى ذكرهم:

أولاً: الشيخ عبدالله الصالح المطوع رئيس جمعية الإصلاح.

ثانياً: الشيخ عبدالله بن عقيل، مدير عام بوزارة الأوقاف.

ثالثاً: الشيخ عبدالله السبت مؤسس جمعية التراث.

ولمعت أسماء هؤلاء الثلاثة في داخل الكويت وخارجه؛ لما لهم من

اهتمام واضح وتضحية فذة في سبيل الدعوة إلى الله - عز وجل -.

فجمعية الإصلاح قامت على سواعد هذا الرجل الصالح ((المطوع))

اسماً وضمناً، أما وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فكان الشيخ عبدالله

العقيل؛ خريج الأزهر؛ سعودي الجنسية؛ زبيري المنشأ؛ والناطق باسم

الإخوان المسلمين؛ هو الآخر عاملاً من عوامل الإصلاح فيما تقدمه الوزارة من نشاط دعوي داخل وخارج الكويت، وظل كذلك حتى انتقل عمله إلى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.



الشيخ عبدالله السبت

أحد مؤسسي جمعية التراث وواضعي حجر الأساس لها، لعل من بواعث تأسيس هذه الجمعية ما أسفرت عنه جمعية الإصلاح من توجه دعوي ينحو نحو حركة الإخوان المسلمين ونجاحها في عرض الدعوة عرضاً عصرياً يتواءم وحاجة المجتمع فكانت فكرة جمعية تعرب عن منهج السلف بنفس الخطوط والمنطلقات الخيرية وعرض المعتقد السليم بأسلوب عصري ومنهجية واضحة، الفضل للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق شيخ الجمعية والمرجع لها فيما ألفه من كتب ودراسات أسفرت من قناعة الكثير من شباب الكويت على المضي قدماً عن قناعة ويقين بنجاح هذا المنحى الدعوي وضرورة تفعيله حتى كان لها الدور السياسي في الدولة فقد اقتنعوا بعد مشادة ونقاش حول جواز الانضمام للبرلمان، وللشيخ عبدالله السبت آراؤه الفردية مما جعله يتوجه إلى الشارقة ليقوم نشاطه الدعوي وفق قناعاته غير التنظيم الذي أشبه بالحزبية وإن كان باسم الجمعية، ومع هذا فهو على صلة بإخوانه وتعاون غير مباشر، زرت الشيخ عبدالله في الكويت وزارني في البيت وأقمت معه طويلاً في الشارقة عرضت عليه مشروع إحياء السنة وإماتة البدعة بإصدار ثلاث مسلسلات من الكتب :

١- التراث الإصلاحي في العقيدة والشرعة

٢- عيون الرسائل والمسائل

٣- أعلامنا في سجل التاريخ

اعتذر الشيخ عبدالله السبت وقال: هذه الدعوة سلفية تقليدية أردنا أن ننشر والتراجم ليس هو الركن الأهم لإحياء منهج السلف وقد يفهم من هذا من تحديد علماء نجد إنها دعوة إقليمية ومركزية على أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلامذته فيرى الشيخ عبدالله أن السلفية أشمل في أقطارها وأعلامها وإنتاجها العلمي، ظلت صلتني بالشيخ عبدالله مهاتفة ومراسلة إلى ما قبل عشرين عاماً وتبقى المودة والأخوة ولو تناءت الأقطار وتناصرت الخطى والآثار.

وممن عرفت في الكويت

السيد / هاشم الرفاعي

رجل الدولة والدعوة من الكويت

وفي عام ١٤٠٢ هـ كنت في الكويت، وهي البلد التي تكررت زيارتي لها منذ عام ١٣٧٩ هـ غير أنه لم يكن هناك اتصال بأحد.

وعلى هذا برزت شخصيات تدافع عن الإسلام وقيمه وتعاليمه، ومن أولئك السيد / الرفاعي حيث كان له من المركز ما يخوله أن يقول فيسمع قوله، فقد كان وزير دولة، وزعيم طريقة صوفية، وينتسب إلى البيت الشريف وذا ثروة، وقد وهبه الله ذلاقة اللسان وحسن الأخلاق والأدب الجلم حتى مع خصومه ومن ليس على منهجه، فقد برز في محاربة الاختلاط بين الجنسين في التعليم، وكان له دوره الإيجابي في الحد من تفسخ المرأة الكويتية وانحلالها.

اجتمعنا في بيته، وهو قصر مشرف، غير أنه اختار لمجلسه غرفة ضيقة خافتة الضوء، فتوهمت أنها زاوية من زوايا الذكر التي يتخذها أرباب التصوف، وكنا ثلاثة، فعجب لنا السيد هاشم فقال: عجبت من هذا الاجتماع الذي ضم وهابية نجد، وسلفية الباكستان، ومن أنصار السنة في مصر عند رجل صوفي ينتسب إلى أهل البيت.

فأما وهابية نجد فيعني به كاتب الأسطر، أما سلفي الباكستان فيعني بها أمير جماعة غرباء أهل الحديث الشيخ عبدالغفار بن عبدالوهاب

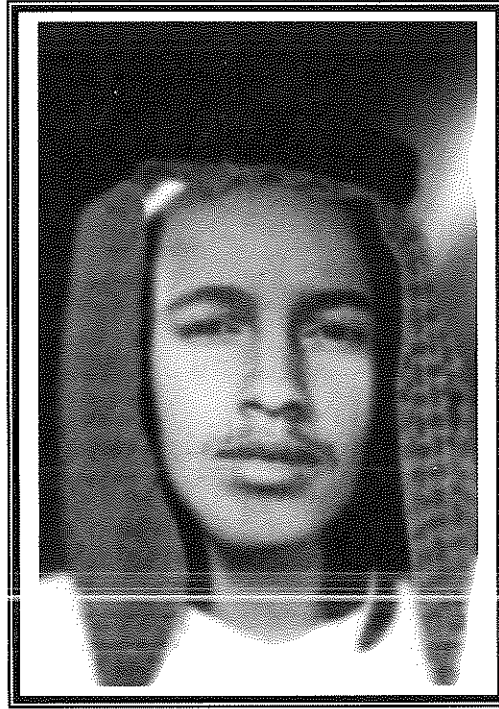
الدهلوي، والثالث من مصر من أنصار السنة المحمدية، وكلاهما جاءا لطلب الدعم والمساعدة على مشاريعهما في بلدانها، أما الوهابي النجدي فقد زار السيد هاشم وقد نالوا جميعاً ما أملوه وطلبوه، فكان في نفسي أن هذا الرجل رجل قيادة ودعوة لولا مسلكه التصوفي المبتدع.

هدأت الأحوال والتصادم بين أصحاب المبادئ في الكويت، فاتجه الشيخ هاشم إلى دول آسيا ليعلن طريقته، ويتفقد مريديه في الهند وباكستان وفي سيلان وأندونيسيا، وقد اجتمعت به في الباكستان في مؤتمر السيرة النبوية، وألقى كلمته في المؤتمر، وكان يحف به جمع من أرباب التصوف والابتداع، وتبادروا إلى تقبيل يده وتمجيده، وكأن الأمر أعد له ليتفوق الشيخ هاشم عن بقية المشاركين في المؤتمر، وكان له منافس آخر في النسب الشريف ممن دُعي إلى مؤتمر السنة وهو السيد العطاس ممثل رابطة العالم الإسلامي، ولكنه ليس بذلك المدعى ولا بذاك المتزعم فلذا خلا الجو للسيد الرفاعي وأخذ منصة الشرف في المؤتمر، لم يقتصر السيد هاشم على إعلان دعوته بالطريقة الرفاعية، ولكنه يلمح إلى الدعوات الأخرى والمناهج المتباينة، إلا أن صوفية الهند تختلف كل الاختلاف عن الطريقة الرفاعية، ففي الهند الأربع طرق التي يبايع عليها علماء (ديوبند) القادرية والنقشبندية والچشتية والختمية، وليس للطريقة الرفاعية ما يستوجب الذكر فضلاً عن التبعية غير السيد هاشم صاحب الثروة والأيادي المعطاءة في مساعدة المدارس والهيئات الإسلامية التي جعلت له في القلب منزلة

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

واحتراماً واكتفوا بحشد الطلاب والجهاهير في استقباله وتوديعه بل ربما أوجدوا الطبول والأعلام والأنشيد في مديح النبي ﷺ، وقد اعتزل السيد هاشم الرفاعي السياسة بعد أن كان وزير دولة، وظهر في الكويت دعوتان تحملان مبادئ وغايات. الأولى: وهي الأسبق جمعية الإصلاح الإخوانية سياسية حركية. والأخرى جمعية التراث سلفية تدعو إلى التوحيد وإلى العودة إلى ما عليه السلف الصالح، وبجانبيهما يتضاءل نشاط الرفاعي، ولعله إلى الأولى أقرب مع اختلاف في المشارب والغايات.

والله ولي التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .



الشيخ إسماعيل بن عتيق في الكويت

(٢) عام في لبنان

جرت المقادير ونفذ القضاء بإصابتي بأوجاع استدعت سفري إلى لبنان عام ١٣٧٩ هـ؛ وفي مصح هملين في قرية حمانا بلبنان كان مهجعي لمدة عام أقلب من الآلام والآمال مع الغربة والحاجة وافتقار الحال؛ إلا أن الثقة بالله كانت أكبر عون على يقيني وصبري بما قدر الله ﷻ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴿البقرة: ٢١٦﴾.

وقد اكتسبت في هذه الرحلة معلومات عدة من نواحي دينية واجتماعية بل وسياسية؛ ولبنان آنذاك سوق رائجة لكل دعوة أو دعاية، بل هي البلد الحر الذي تمارس فيه شتى الأنشطة على مختلف الطوائف والأحزاب والمذاهب والاتجاهات؛ فكان دور الإعلام الحر بالصحافة والكلمة والكتاب دوراً يأخذ بالألباب؛ إلا أن الله لطف فقد كنت ولا زلت والحمد لله أنحو نحو المتجه الأسلم؛ مع الحذر الشديد من الاندماج الكلي مع بعض من عرفته في تلك الرحلة المرضية القسرية؛ في بلد اختلطت فيه الديانات والاتجاهات حتى لا تستطيع أن تصنفها تصنيفاً دقيقاً؛ ولكن باختصار كانت الديانة النصرانية بشتى طوائفها لها دور بين أسرة المرضى والفقراء وبالذات المستشفيات التبشيرية كهذا المستشفى؛ ويليهم في الخطورة المذاهب المنتمية للإسلام كالدرزية والشيعة ويدعون بالمتاوله، وهم طوائف شتى.

أما الإسلاميون فالاختلاف بينهم أمر طبيعي فكريا وعقائدياً وسياسياً وحزبياً؛ مما يستوجب الشقاق والنزاع بين تلك الاتجاهات الإسلامية كحزب التحرير والإخوان المسلمين ومن ينحو نحوهم؛ وكذلك القوميون العرب لهم دور في الحزب.

القسيس البروتستانتي الأمريكي؛

وقفة مع القسيس البروتستانتي الأمريكي والذي يتردد كل يوم أحد على المرضى؛ ويدعى كروكن يحمل هدايا من الورود والحلويات ومعه الكتاب المقدس (الإنجيل القديم والجديد).

لقد تكرر نظري إليه من غير أن ندخل معه في النقاش والجدل الديني؛ ولكنني ملزم بأخذ ما لديه واستماع ما يقوله فهو ركيذة من ركائز هذا المستشفى التبشيري، وبتكرر الزيارة واللقاء مع هذا القسيس جرى البحث والمناظرة؛ زعمتم أن الله ثالث ثلاثة؛ الأب والابن والروح القدس إله واحد فهل أنت ابنك وابنك أنت؟ وهل كان الله واحداً قبل وجود عيسى؟ ثم كان ثلاثة بعد وجوده؟ وهل العبادة للرب الواحد أم الثلاثة؟ وهل كانوا يشتركون في الصنع والإماتة وتدبير الكون؟ هذه أمثلة من أسئلتني التي وجهتها للقسيس كروكن الأمريكي مما جعله يأخذ الحيطة ويعاملني بحذر ويتوقف عن البحث والجدل في الدين؛ ولكن يقدم هدايا، ويعرض سيرة المسيح الذي افتدى البشرية بدمه؛ وهو يحب الإنسان، وكل إنسان يحبه؛ وعلى هذا ديدن القسيس الأمريكي، ولا يزيد على أنه يجب

الناس للمسيح لأن المسيح يحبه مع تقديم كتيبات ونشرات للمرضى الراغبين، كانت صلتني بالقسيس سطحية للغاية؛ فقد خشي أن أثير ضده المرضى من العرب وخاصة من عرب الجزيرة وهم كثر من قطر والإمارات والبحرين.

عراقي يطلب من القسيس:

لقد طمع القسيس في مريض عراقي أن يقوم بدور الترتيل يوم الأحد في كنيسة؛ على أن يلبس سلسلة الصليب ويتقدم للمنصة للترتيل والترنم بما يسمونه الصلوات يوم الأحد؛ فأظهر العراقي أنه على أتم الاستعداد لتوجيهات القسيس ولكن بشرط: أن تضاعفه البنت سعاد وبأمر من القسيس؛ والبنت سعاد ممرضة تابعة للمستشفى وهي الأخرى مبشرة؛ فوافق القسيس على الطلب ووعد بإلزام البنت بمضاجعة المريض العراقي في أي وقت يرغبها؛ فلما تأكد العراقي من صدق القسيس وجدите في الأمر تنكر له وقال: أنت رجل دين؟ البعيد ديوث وجرار؛ كيف تزعم أنك تحمل أمانة الدين وأنت ترضى ببنات الناس فعل الفاحشة التي يأبأها الإسلام وتآبأها النصرانية؟ أي دين هذا؟ ثم كيف تطلب مني أن أتقدم بالتراتيل وأنا لست من النصارى؟ هل تكون هذه عبادة لشخص لا يدين بها؟ أم هي تسلية وطرب باستماع الموسيقى والترانيم؟ فكان موقف

القسيس موقف المخرج الذي سقط في يده؛ مما جعل العراقي يعلن للناس خبث قصد هذا القسيس وإفساد المرضى؛ بل زاد على ذلك بأنه ليس رجل دين وإنما جاسوس للغرب بدليل أنه يتجول في كثير من الدول العربية، وقد ذكر القسيس أنه كان في المنطقة الشرقية بالملكة العربية السعودية ولديه أفلام سينمائية يزيد عمرها على أربعين سنة؛ فكان فرصة للسعوديين لمشاهدة هذا الفيلم عن المملكة وهو فيلم تاريخي مما جعل القسيس يستأنف نشاطه بعرض الأفلام على المرضى.

مع الفيلم التاريخي:

لقد وعد القسيس ووفى بوعده بعرض هذه الأفلام السينمائية على المرضى جميعاً؛ وهي تحكي حالة المملكة عام ١٣٤٠هـ بالتقريب؛ فقد عرض مدينة الرياض ومبانيها القديمة وكيف كان الري عندهم بطريقة السواني؛ وكيف تجلب المياه للبيوت بواسطة السقائين على الحمير، كما استعرض صوراً للملك عبدالعزيز وأبنائه حال فتوته وقوته؛ مما جعل السعوديين يستنكرون على القسيس لعرضه هذه الصور القديمة والتي أصبحت أثراً؛ وهددوا القسيس بسحب الفيلم وتكسيهه إلا إذا كان لديه تصريح من الجهات الرسمية تسمح له بعرض هذا الفيلم؛ فما كان من هذا القسيس إلا أن عرض على الشاشة نص التصريح بتوقيع الوزير الأسبق

عبدالله بن سليمان ووزير الملك عبدالعزيز؛ مما جعل السعوديون يتراجعون عن ما عزموا عليه ويطلبون من القسيس عرض أفلام أخرى عن تطور المملكة العمراني؛ فلبى القسيس الطلب وفوراً عرض أفلاماً حديثة عن نهضة المملكة في شتى المجالات العمرانية والتعليمية مما جعل السعوديين يرتاحون بعض الارتياح، ومن هذا وأمثاله ندرك أن هؤلاء القساوسة هم تحت مظلة عالمية تخطط لهؤلاء باسم الدين والمسيحية ليقوموا بعدة أدوار؛ ومن أهمها: التجسس ورصد المعلومات؛ مع تشكيك أو تخريب الاتجاه الديني السليم؛ وربط الناس بالغرب وإظهار حضارته وقدرته وخدمته للإنسان؛ ونقول: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ اللهم اجعل كيدهم في نحورهم.

مع الشيخ فارس الدرزي:

لقد صادفت إقامتي في المستشفى صحبة الشيخ فارس؛ ولا أستطيع وصف ذلك الفارس بنظراته المريية وشكله المرهب؛ فلحيته تقترب من سرتة؛ وشواربه عشرات السنتيات؛ مفتول قوي طويل القامة مرعب في منظره؛ ومظهره، دائم الصمت؛ يلبس السروال الواسع الفضفاض باللون الأسود وربما تعمم أحياناً؛ كان هو الآخر مريضاً يشكو من داء السل، لقد دنوت منه من غير أن أعرف أنه من الطائفة الدرزية ولكن حينها حان وقت

الصلاة طلبت منه أن نصلي جماعة فقال: قد صليت؛ قلت: متى فقال: وأنا على سريري؛ إن الصلاة صلة روحية تربط العبد بربه ولا حاجة لهذه الأعمال التي تصنعونها من الركوع والسجود، هذه صلاة الجهال والعامّة؛ ومن هنا عرفت أن الرجل ذو فلسفة وديانة ولكن ما هي؟ فسألته: على أي مذهب أنت؟ فقال: محمدي؛ بقيت مع الشيخ فارس على صلة طيبة كصلة العربي بالعربي ولكنه يرفض الحديث عن الدين إلا أنه ذات يوم أسر لي بسرّه وقال: لقد كدت أصل إلى درجة شيخ العقل؛ غير أن وجود سبعة من أولادي كانت حاجزاً ومانعاً من الوصول إلى هذه الدرجة من الرتبة في الديانة؛ فتلطفت له وسألته: كم عاماً وأنت تعذب نفسك بالالتزام بهذا المظهر المهيب والتعبد السري؟ فقال: أما المظهر فهذه عادة جماعتنا؛ وأما التعبد السري فم منذ الطفولة وأنا الآن أبلغ أربعين عاماً؛ فسألت الله العافية، وأن لا يضلنا بعد إذ هدانا.

مع الدكتور المسلم الكردي الحزبي:

ممن تعرفت عليه الدكتور الموصوف بالصفة أعلاه من حزب التحرير، كان قوة وحماًساً وتوقداً على نهضة المسلمين وضرورة الخلافة الإسلامية فقد ضاع المسلمون بضيايعها؛ سمعت حديثه واستمعت لأفكاره وتسلمت كثيراً من منشورات الحزب السياسية وبواسطته تعرفت

على مكتب الحزب في بيروت، وقد كان لي مع هذه الجماعة موقف سجلته في زيارتي للكويت ولقائي بهم لأول مرة، أما هذا الدكتور فهو من العناصر القيادية في هذا الحزب؛ وهو طبيب ماهر يقف ضد القومية العربية والحزبية الاشتراكية موقف الجاد والصارم والواضح من عداوته؛ رغم وجود الوحدة السورية المصرية ورغم الدعايات بزعامة عبد الناصر؛ كان صريح الهجوم على عبدالناصر بالذات وعلى الوحدة القومية وكان يعلن مبادئ الحزب في كل مناسبة؛ والحزب كما هو معروف سياسي مشبه أسسه تقي الدين النبهاني وهو فلسطيني وذلك عام ١٣٧٠هـ لغرض قيام الدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية؛ ومما يلفت النظر دقة المعلومات التي تصدر من هذا الحزب مما لا يمكن الحصول عليها إلا بواسطة مخبرات عالمية وتنظيم سري؛ وكان الحزب هو أول من يفضح تلك الاتجاهات السياسية وبالذات في الدول العربية وبالأخص لعبة عبدالناصر بين القومية والاشتراكية؛ ولقد زرت مكتبهم في بيروت ذات يوم فوجدت شباباً ذا حماس يحملون هواية الجدل والمناظرة لمن زارهم أو تحدث معهم حول الخلافة ونظام الحكم الإسلامي؛ وكنا كذلك في الحديث معهم شحذاً للأفهام وزيادة في المعلومات إلا أن ضربتهم اللازمة تتجه إلى المملكة العربية السعودية فكأنها الخصم الألد لتوجهات الحزب لأنها زعيمة المسلمين؛ أو هي التي تمثل دور الإسلام في الحكم، وكان مبدأ الخلاف في تحديد أو تعيين الملك أو الخليفة؛ حيث كان من مبادئهم أن الخلافة والحكم

لا يكونان إلا بالشورى واتفاق أهل الرأي كما هو في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة.

وإجابتي على هذا تتبع سيرة التاريخ من بعد الخلفاء الراشدين؛ فالدولة الأموية انتصرت بالقوة وأخذ الحكم وبائع العلماء والمسلمون الحاكم الأموي كخليفة وإمامة عظمى للمسلمين؛ ومن بعدهم الدولة العباسية كانت كذلك انتزعت الحكم من بني أمية، ومثلها الدولة العثمانية، هل كان ذلك بالشورى أو الانتخاب؟ وقل في الدولة السعودية ما قلته في الدول قبلها؛ وباتفاق العلماء أن الحاكم إذا اغتصب الحكم واستتب الأمن والاستقرار فله البيعة، وحكمه وإمامته شرعية، ولكن القوم أصحاب هوى؛ وقد اختلط عليهم الحكم الإسلامي ومبادئ الديمقراطية التي تحكم آراء الشعوب بصرف النظر عن أحقية ما يطلبونه فهم الجهة المشرعة ولو فيما حرم الله، ولهذا كان الحزب محل اشتباه وتشكيك في اتجاهاته السياسية. وقد غلا بعضهم وزاد أن صلاة الجماعة وإقامة الشعائر الدينية الظاهرة لا تكون إلا بوجود الخلافة والإمامة العظمى والتي تمثل جميع مظاهر الشرع في الحدود والحقوق وهو قليل؛ وقد يكون هذا من ملتزمات مبادئهم ولم يفعله أحد؛ نرجو أن يكون كذلك.

أعود إلى الدكتور الكردي والذي لا أنسى فضله وجهوده في مراقفه الصارمة ضد الكنيسة والمبشرين الذين يلزمون العمال من الفلسطينيين أو السوريين ممن يعملون في المستشفى بدخولهم الكنيسة يوم الأحد للصلاة

والدعاء، وارتباط مرتباتهم أو تشجيعاتهم على المواظبة والمحافظة على الصلاة في الكنيسة يوم الأحد، لقد انبرى هذا الدكتور للقساوسة، وأعلن حربه عليهم بالكلام وإن لم يتحقق ما يريد فسيحمل عليهم حملة الغضب وإن لجأوا إلى الغرب، كما قام بتجميع المسلمين في المستشفى بإقامة صلاة الجمعة، وإلزام المستشفى بتهيئة مكان مناسب للصلاة؛ وكان كاتب الأسطر هو الإمام لصلاة الجمعة فترة إقامتي هناك، الدكتور الكردي متحمس للغاية لمبادئ حزبه وتوجهاته السياسية، وكان في شدته وحدته بل وشجاعته الأثر الطيب بين صفوف المرضى من المسلمين وبالأخص من دول الخليج العربي؛ كان صديقاً وفيّاً ومحباً صادقاً لما أبداه من تحمس للدعوة إلى الله بصرف النظر عن توجهاته السياسية؛ وقد أفدته في كثير من المفاهيم في التوحيد والعقيدة ومحاربة الشرك والبدع وهم لا يختلفون في هذا وإن كان زعيمهم النبهاني وسلفه لهم بعض التوجهات العقدية المخالفة لمنهج السلف غير أن الحزب لا يهمه هذا؛ وليس من دعوتهم تصحيح العقائد أو الإيمانيات وإنما الخلافة فقط والحكم الإسلامي هو ما يهدفون إليه؛ وهم بذلك يمكن أن يلتقوا بأي مذهب أو طائفة من المنتمين للإسلام متى توحدت الغاية السياسية.

مع جمعية الأخلاق:

وفي طرابلس لبنان تقوم جمعية الأخلاق برئاسة الأخ الشيخ فتحي يكن والذي كان هو الآخر يدعو إلى نهج سياسي ولكن مع الأخلاق

والآداب والعبادة والتشريع؛ ذلك هو المنهج الذي ينتمي إليه الإخوان المسلمون، وقد كان الشيخ فتحي ضمن المجموعة التي كان يرأسها الشيخ عمر الداعوق تحت لافتة "عباد الرحمن" في بيروت؛ فالشيخ عمر الداعوق كما يحدث عن نفسه ليس هو من رجالات العلم ولكنه ممن يتجه لخدمة الإسلام بالاستعانة بالحكام والأمراء؛ وقد طلب من الملك سعود إنشاء مسجد له ولجماعته وما يدعونها بالخلوة التي من خلالها يقوم ببعض النشاطات النسوية؛ فوافق الملك على دعم مجموعة "عباد الرحمن" بإنشاء مسجد وخلية مما جعل الشباب المتتمين للقطر السياسي يختلفون مع الشيخ عمر الداعوق واستعانت به بالملوك واعتبروا هذا الدعم احتواء لعملهم؛ فكانت جمعية الأخلاق برئاسة الأخ الشيخ فتحي يكن والتي تحولت فيما بعد إلى اسم الجماعة الإسلامية وأصدروا صحيفة إسلامية سياسية هي (الشهاب)، وكانوا أشد نشاطاً وأقوى حماساً وكما أشرت كانوا يقومون بتربية الأجيال الروحية والبدنية والفكرية كانوا يسرون على مبادئ وتعاليم الشيخ حسن البنا؛ ولكن الأستاذ الأكبر لهم والموجه هو الدكتور مصطفى السباعي في دمشق ولهم اتصالات بالإخوان في الأردن وفلسطين، وبحكم البيئة والمجتمع الشامي كان الترابط القوي بين التنظيم الإخواني وعلى فكر الشيخ حسن البنا؛ إلا أن التعاون لم يكن على أشده وإنما أفكار وتوجهات سياسية أخذ بها الدكتور مصطفى السباعي حيث كان هو المعلن والمتحدث باسم الإخوان.

عام ١٤١٣هـ تسلم الشيخ فتحي يكن كرسي عضو البرلمان في حكومة لبنان، وقد سمعنا ما أسر الخاطر من نشاط الشيخ فتحي يكن؛ حيث طلب إقامة صلاة الجمعة وإيقاف المجلس وقت الصلاة، فكان له ذلك، وكان ذلك بتاريخ البرلمان اللبناني حدثاً لم يكن له مثيل من قبل؛ وعلى العموم فالإخوان أو الجماعة الإسلامية كما يسمونها هم ممن يتجهون اتجاهًا كلياً لجمع النشاط السياسي والديني والأخلاقي والاجتماعي؛ وإن كانت تلك النشوة والاندفاع الكلي قد قلت أو ضعف إلا أن العمل يسير بخطى ثابتة وبتطور ملموس مع اصطدامهم بالتيارات السياسية والعقدية والمذهبية؛ ولا سيما بعد الحروب الطاحنة التي دامت أكثر من خمسة عشر عاماً مما جعل النشاط يضعف ويقل ويبقى الفكر وخطة العمل، كانت صلتني بالجماعة طيبة وحسنة في حدود العقل والمنطق والرابطة الأخوية الدينية.

وفق الله الجميع.

نافذة على الموت

كدت أطل على الموت من نافذة هي أصدق تعبير وأدق تلميح؛ حيث شاهدت عشرات المرضى كل يئن من آلامه وأحزانه في المستشفى؛ وكلهم غرباء مثلي من قطر والبحرين؛ وكل القطريين في البادية السعودية من آل مرة وبني هاجر؛ إلا أنهم لجئوا إلى قطر وأخذوا الجنسية القطرية من أجل العلاج، وقد يكون الكثير منهم على صلة وقاربة بالقطريين الأصليين بحكم التجاور بين الدولتين، نزلت المستشفى بعد مجاعة وسوء تغذية، حين كنت في القصيم بريدة وعقب تناول الطعام المنظم ثلاث وجبات كل يوم الإفطار والغداء والعشاء على مدار الأربع والعشرين ساعة؛ ولا يلتفت هذا التنظيم إلى طول ليل أو قصر نهار فيأتي على كل وقت وجبة كل ثمان ساعات، تناول الإفطار فيه قبل الفجر أحياناً حسب التوقيت العددي للوجبات؛ ومما كنت أحبه من الأطعمة ما يسمى بالمجدرة أشبه ما تكون بالجريش عندنا، وبالعصيدة من البر والذرة مما كنا نأكله عادة في بلادنا قبل استيراد الرز وتكاثره وكثرة استعماله؛ أسلمت جنبي للسريير الأبيض شاخصاً بصري إلى السماء؛ يا رب هذه الأغذية البيضاء هل سيكون منها كفني؛ سألت: هل أحد يموت في هذا المستشفى من جراء العمليات ومتابعة العلاج؟ كان الجواب: قليل من يموت أو لا يوجد بسبب العملية

لكن طول الزمن هو القاتل فقد يمضي البعض ثلاث سنوات وبالأخص كبار السن، ومنهم من لا يتقبلون العلاج بسبب الضعف وقلة التصريف للأغذية والعلاج بالحبوب والشراب لا أجد آلاماً تضني غير السعال وخروج البلغم وفقد الدم وقلة الوزن؛ لم يكن الالتهاب الرئوي قد التهم الرئة ولكن كان جانب واحد تكهف وضمير؛ ومع انشراح صدري من حسن التعامل ولطف الممرضات والممرضين زادت الطمأنينة بأن لا خطر من العلاج ولا شكوك في أداء الأطباء وواجباتهم؛ الدكتور شارل هو صاحب المستشفى الذي قتل والده وهو يتعاطى مهنة الطب في هذا المستشفى؛ وقد عمل له تمثال نصب في مدخل المستشفى مما جعل الدكتور شارل يحذر كل الحذر من معاكسة المرضى أو الإساءة إليهم؛ فقد يتجاوز عن حقوق المستشفى على المرضى خشية إزعاج المريض ومضايقته فينفعل ويغضب ويكون ردة فعل.

لقد شهد الدكتور مع اللجنة الطبية في هذا المستشفى صنيع الطبيب الشعبي الذي أجرى تجاربه على صدري بالكي بالنار؛ كان ذلك في الرياض قبل سفري إلى لبنان؛ أربعة أكوية من اليمين اثنان ومن اليسار اثنان على طول عشر سنتي؛ ومن علامة نجاح هذا الكي أن يدمي ويتقرح؛ وفي لغتهم ناقل فإذا نقل وتجرح وأخرج الصديد كان ذلك علامة إصابة المرض والشفاء يأتي عقب ذلك؛ قال لي الدكتور: إن هذا الكي على نبضات القلب وأخطر مكان من الجسم؛ تذكرت قول الطبيب الشعبي وهو يضع إصبعه

على نبضات القلب؛ هذا هو محل المرض، وسيكون الكي عليه، لقد تحملت آلام الكي رغبة في الشفاء والعافية، ولكنها التجربة التي جعلتني بعد ذلك لا أسلم نفسي ولا أولادي لطبيب شعبي مهما كانت التزكيات وصدق التجارب عنده؛ وقد قيل: يفسد الأديان نصف عالم ويفسد الأبدان نصف طبيب.

لقد زال عني شبح الموت، وعدت أطمئن نفسي على نجاح هذه السفرة العلاجية، وانفتح لي باب التفاؤل، وأغلقت نافذة الموت؛ دخلت المستشفى بتاريخ ١٥ / ٧ / ١٩٥٩م والعمر اثنان وعشرون عاماً الوزن ٤٥ كيلو الطول ١٦٨ الحرارة طبيعية والتشخيص تدرن رئوي متقدم مزدوج متكهف أيمن؛ هذا هو الطب البشري نتيجة الفحوصات لأشعة وتحاليل الدم والبلغم والبراز ومقياس الضغط وما إلى ذلك؛ أما ذلك الطبيب مما أسميه بالطبيب الحيواني إذ كان الحيوان غالباً ما يُعالج بالكي؛ وليس هذا اعتراضاً على الحديث: ((الشفاء في ثلاث وذكر منها الكي)) ولكن الاعتراض على الطبيب الجاهل بالطب ومثله من لا يحسن تركيبة الأدوية والمقاييس، فقد قال ﷺ لرجل: ((صدق الله وكذب بطن أخيك)) لأجل استعمال العسل ولم ينجح معه؛ إنها الأسباب التي لا يحكم بنجاحها إلا بإرادة المسبب، والمتسبب يفعل السبب ويترك الأمر لربه، والله يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

لقد كان هذا المرض أول مرض طويل عرفته في حياتي؛ فأفادني مبادئ هي القواعد الأبدية لسير حياتي: الاعتماد على الله واليقين بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا أحد يتحمل عنك آلامك أو يسدي إليك من جسده أو روحه ما يعيد لك الصحة والعافية؛ وشيء مهم المادة فهي محور الحياة وترابط البشر وعربون الصداقة والمحبة وأساس التعامل البشري والفطري وتسيير الأعمال؛ ثم الأسباب التي هي عوامل النجاح في الحياة بتلك القواعد التي كان لي جهد في المستشفى مع المرضى البدو ولقد دعوني بالمطوع؛ التف حولي منهم الكثير، وكنت حملت معي بعض الكتب المدرسية في التوحيد والفقه رغم أن المستشفى تابع للجامعة الأمريكية في بيروت وبه إرساليات التبشير تكثف نشاطها بين المرضى المسلمين؛ قمت بدور إيجابي في التحذير من تقبل النشرات والكتيبات التي يهديها القسيس كل يوم أحد؛ حيث يؤدي الصلاة مجمع المرضى المسلمين وهم لا يطمعون في تنصيرهم ولكنه التعبد الذي يلزمون به كأداء وظيفة رتيبة والقيام بالواجب الوظيفي ومن هنا كانت تقام صلاة الجماعة لخمسة أوقات بل تجاوز ذلك إلى أداء صلاة الجمعة في المستشفى من غير استئذان من إدارة المستشفى؛ وكنت الخطيب يوم الجمعة أما صلاة الأوقات فكل جناح من المستشفى يقيم عنده صلاته ولو لنفر يسير؛ لقد دبت الحياة الإيمانية في صفوف المرضى حين نذكرهم بالله والبعد عن الشهوات المخلة بالشرف

بيروت ملتقى الفئام ومجمع الأخلاط

قد لا تحكم على السحنة اللبنانية أهى فرنسية أوروبية أم عربية شرقية؛ قد رقت أصوات الكثير من اللبنانيين ونعمت بشرة الوجوه بفضل الادهان والتجميل والتزيي بزي الخواجات؛ أعني النصارى فالهمم عند السواد منهم: حسن الزي وأناقة المظهر الجميل وعذوبة المنطق وحسن العرض والطلب؛ مما جعل لبنان ملتقى الشعوب وهو المركز التجاري العالمي ومنبر الإعلام لمن يشتري ويزيد؛ مطابع تلفظ أصناف الكتب ومصنفات الديانات والمذاهب والاتجاهات؛ ساحة البرج في بيروت ساحة التفرج على أصناف البشر من عرب وعجم لا تكاد تخلص من منظر إلا ويسابقك المنظر الآخر؛ وعرب الخليج هم صيد العرب وهم أقرب إلى التأثير مما يشاهد ويرى، بخلو الذهن وسخاء اليد ووفرة المال؛ وإن شئت فقل: ضعف الدين وتسلط سلطان الشهوات؛ فهذا مسرح الفاروق تكتظ أبوابه بلابسي الدشداشة ومنكسي العقل درجوا على مدارج المسرح وألفوا ما فيه من المستنقع؛ وإن كان في نظرهم يسر ويفرح؛ أما طرابلس لبنان فهي المدينة الثانية بعد بيروت وبها الأكثرية من المسلمين لبناني الأصل؛ ولكن لا تخلو من تأثر الجارة بيروت؛ طلب زميلي ونحن في طرابلس أن ندخل أحد

الكازينوهات بغرض الاستطلاع ومشاهدة ما لا يستساغ في نظر المتدين؛ فأجبتة عن طلبته ودلفنا نحو المقهى وكنا نسمع بالليالي الحمراء ولم نفقه هذا المعنى إذ لم يكن لنا عادة في المسامرة ولا في المغامرة؛ عرضوا علينا ماذا نشرب؟ فقلنا: البيسي؛ فجاءتنا فتاتان كل واحدة بزجاجتين من البيسي وجلستا حذونا وعرضتا علينا الدنس بمعنى الرقص أو استماع إلى أغنية تعجبنا؛ فاعتذرنا عن هذا وذلك ولكن كان المقهى يضح بالأصوات والنبرات والنغمات؛ واستأنا من النظر والخبر وقمنا نريد الانصراف؛ وضعنا ليرة واحدة على الطاولة عن الأربع الزجاجات حسب ما هو مسعر خارج المقهى؛ إلا أن الأمر لم يكن كذلك فقد طلب منا دفع عشرين ليرة لبنانية لكل زجاجة خمس ليرات فكانت الوصمة؛ اعتذرنا بأننا لأول مرة ندخل في الكازينوهات ونحن من البدو فاقبل منا عشر ليرات وسامحنا في عشر فأبى إلا دفعها أو البوليس.

أما الجبل عالية وأبو حمدان وحمانا فكل المصطافين في جنة لا تكاد تصف ما فيها قصور شاهقة ومراتع الإبل لمشايخ الخليج؛ تشم عبيق الأزهار وستظل تحت أعمدة أشجار الصنوبر وترقى على صخرة وتهوي إلى نهر؛ لقد كان ممن يصطاف بعاليه حاكم قطر: الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني؛ وكنت على صلة بالعلامة الشيخ: محمد بن مانع جليس الحاكم

ومستشاره؛ وأتردد لزيارته وإن كان قد بلغ سنّاً أعجزته عن المندامة والمحادثة إلا أنه يبش في وجه الزائر ويفرح بالمسلم؛ وفي حمانا مركز الاستشفاء أسس خصيصاً بعلاج الدرن والالتهابات الرئوية، وفيه ومنه أكتب مذكراتي وأستنزف ما بقي في ذهني من تلك الذكريات؛ وفي حمانا التي نسيت الكثير منها وبقي ما بقي لأسجله وأستذكره بعد ثمان وأربعين عاماً كنت في عز الشباب وعنفوان النشوة؛ ولكن مصرع الأمراض وعجلة الأعراض كانت هي الباقية في ذاكرتي مما أنقله لأجيال قادمة وربما الأقربون أولى بقراءته واستذكاره.

النارسات أو الممرضات

هن من الراهبات المتدينات سعاد ويسرى وبرناديت وماما، فالأولى كانت تناولني الأدوية بالتوقيت الزمني حسب التقارير الطبية؛ والأخرى تنادمني الحديث وتفتح لي باب الأمل في الشفاء والعودة إلى الوطن؛ وبرناديت الثالثة خاصة بالمشغل لإعداد الخبز والخباطة في خدمة المرضى؛ أما الرابعة (ماما) فهي التي تسهر طوال ليلها لمراقبة المرضى والاطمئنان على نومهم؛ استيقظت ذات ليلة وخرجت خارج الغرفة فجاءت (ماما) لتعرض علي الخدمات؛ فقلت: جائع ولست كذلك ولكن لا بد أن أبدي لها حاجة؛ فذهبت وأتت بالأكل وهي تقول: هذا الطعام أبقيته خشية أن يقوم واحد يرغب فيه فكان نصيبك؛ إنها (الماما) لكبر سنها وصبرها على متابعة المرضى في نومهم فلا تسمح لمريض بالسهر ولا رفع أصوات المذياع ولا بالمحادثة لأحد؛ إذ كان التوقيت لوجبات الطعام كالتوقيت للنوم والراحة في أثناء النهار؛ وبهذا ينتظم المريض في ضبط وقته وملاحظة صحته. أما الأرمني فقد خص لكل مجموعة من المرضى أرمني من بلاد روسيا الذين هاجروا إلى لبنان لتكاثر النصارى وغلبة المسلمين في العدد؛ إذ المسلمون الأكثرية عدداً بحكم التناسل وخصوبة الأرحام عند المسلمين بخلاف النصارى فهم يهتمون بالكيف لا بالكم؛ سنة الأوروبيين وطبيعة الغرب خلاف المشرق الإسلامي أو المسلمين والأرمن وإن كانوا

تبع الكنيسة الأرثوذكس لكنهم يدخلون في مسمى النصارى وهم أقل درجة من البروتستانت ديانة أمريكا وإنجلترا؛ كما أن ثقافتهم ضحلة وتخصصاتهم العلمية مفقودة؛ لذا كانت مهمتهم تنظيف المرضى والخدمات الصحية كالتغسيل وكي الملابس؛ ومن تعاليم المستشفى أنه لا بد كل أسبوع يوم يكون للتنظيف وتغيير الملابس بواسطة الأرمني المتخصص في ذلك أجسام المرضى بالصابون والماء الفاتر؛ وربما يمضي نصف ساعة أو أقل بغرض التدليك حتى قص الأظافر والأمر بإزالة العانة بعد فراغه من التدليك الظاهري؛ كسب هذا الأرمني ود الكثير من المرضى وأغضب البعض لقدرة بعضهم على خدمة نفسه في الحمام إلا أن الأمر فوق الاختيار بالاستسلام للأرمني بتنظيف الجسد ومراقبة تغيير الملابس في كل أسبوع.



وممن عرفت في لبنان

فتحي يكن

بفتح الياء والكاف، لبناني من أهل طرابلس

التقيت به في عام ١٣٧٩هـ في طرابلس لبنان، وقد أسس جمعية أسماها جمعية الأخلاق، التف حوله جمع من الشباب المتدين وقاموا بحملة سياسية إعلامية ضد جمال عبد الناصر إبان الوحدة مع سوريا ومصر، فكان لهم دور في توجيه الشباب اللبناني توجيهاً إسلامياً بعيداً عن النظرات القومية والأحزاب الاشتراكية، وقد استقوا أفكارهم من الدكتور مصطفى السباعي زعيم الإخوان في سوريا.

الشيخ فتحي يكن شاب فطن متيقظ فتح خطأً للدعوة الإسلامية بين خط الإخوان وبين خط حزب التحرير، فسمى جمعيته الجماعة الإسلامية فراراً من التسمية بالإخوان، فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم، ولمناداته بالحكومة الإسلامية والدستور الإسلامي فقد يقع عليه انتماؤه لحزب التحرير الذي أسسه تقي الدين النبهاني، فتخلص من الاتجاهين الإخواني والتحريري، وإن لم يكن هناك خلاف في المبدأ والمنطلقات الأساسية.

التقيت بالشيخ فتحي يكن في جلسات متكررة وإن لم يكن هناك صحبة أو صداقة إلا أنه يحترم الوافد والزائر لجماعته ومركزه، كان لهم جريدة تدعى بالمجتمع ثم حولوها إلى الشهاب، وقد توقفتا معاً لما فيهما من حرارة وتوجه سياسي إسلامي، يشجب المبادئ والاتجاهات غير

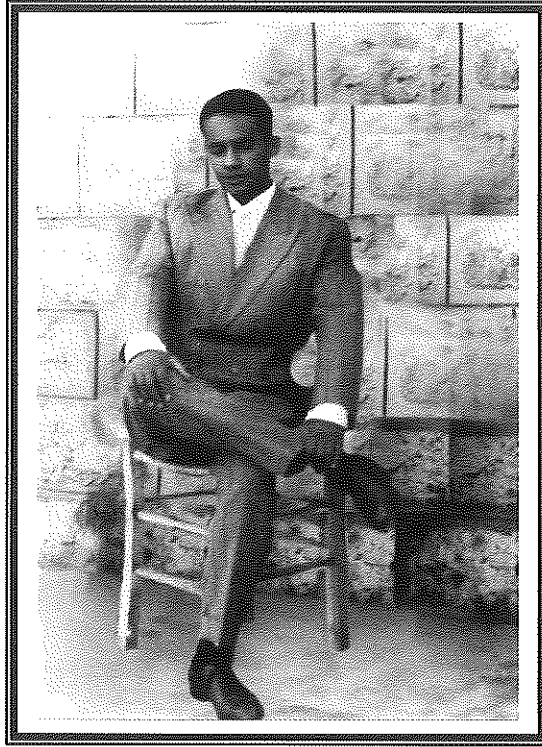
الإسلامية، وربما تعرضنا لبعض الشخصيات فكان توقفهما عن الإصدار والاستمرار ما يبرر الاتجاه غير المقبول في الجو السياسي العام سواء في سوريا أو لبنان أو في مصر أو في دول الخليج.

ظل الشيخ فتحي يكن يعمل جاهدًا حتى توصل أخيراً لأن يرشح عضواً في البرلمان اللبناني، وهذا أول مكسب سياسي لجماعته بعد ما يزيد على ربع قرن من المحاولة والجهد لخدمة الدين عن طريق السياسة ومجالس البرلمان، وفيما سمعنا أنه ولأول مرة في تاريخ برلمان لبنان توقف جلسات المجلس لأداء صلاة الجمعة، ويقال: إن هذا بتأثير الشيخ فتحي يكن ومطالبته بذلك، وهذا شيء حسن.

ألف الشيخ فتحي يكن وكتب الكتيبات ومنها مشكلة الدعوة والدعاة، فكان قلمه مقبولا إلى حد ما إلا أن ما يكتبه ليس فيه جديد، فهو ترديد أفكار من قبله من كتاب الإخوان كسيد قطب ومصطفى السباعي، وترديد وتكرير لمنهج الشيخ حسن البناء، وخطط تربيته للشباب المسلم، ولهذا لم يكن للشيخ فتحي يكن صفة ريادة وقيادة في الإبداع والتفكير غير حسن الصياغة والأسلوب الإنشائي فيما يكتبه لإلهاب حماسه الشباب، وتقريب أفكار الإمام حسن البنا إليهم.

هذا ولا يفوتني التنويه بضحالة العلوم الشرعية: علم الفقه والحديث لدى الشيخ فتحي وجماعته، وكل ما هنالك حب الإسلام على العموم وعدم الدخول في الجزئيات الاجتهادية من أحكام الشريعة أو حتى العقيدة، إلا أنهم يهضمون حركة الإخوان وما كتبه الإمام حسن البنا رحمه الله.

حاولت في لقاء مع الشيخ فتحي يكن في زيارات متعددة بعد العام ١٣٨٩هـ أن يكون على صلة بعلماء المملكة، وبالأخص من هم على مستوى الاجتهاد والفتوى، فكانت إجابته لا تخلو من إجابة السياسي المرن: نحن هنا في لبنان نحتاج إلى علماء من لبنان يعرفون حقيقة وضعنا وما يعاينه من أزمات ومشاكل اجتماعية وسياسية يعالج هؤلاء العلماء وضعنا السائد ويحلون مشاكلنا وفق ما تقتضيه شريعة الإسلام، وقد عرض عليه دعوة لزيارة بعض الهيئات القائمة في المملكة رسمياً فاعتذر بعدم الإجابة، وصلى الله على محمد.



إسماعيل بن عتيق في لبنان

(٣) سوريا

كان مما جرت الأقدار في عام ١٣٨١هـ، أن أكون في الشام دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية، والتي كانت تلك الأيام قد توحدت مع جمهورية مصر فكانتا جمهورية متحدة.

وفي فندق الوردات الثلاث، الفندق المتواضع والذي لا يتجاوز أجرة النزول فيه ليرة ونصف الليرة السورية، وكانت الليرة آنذاك تعادل الريال وربع الريال السعودي.

لقد انطبع في ذهني ذكريات كثيرة عن بلاد الشام العاصمة الأموية، وفيها الآثار العربية والآثار الإسلامية والعثمانية، وفيها من العلماء والقادة الزعماء رغم الضغوط الناصرية ورغم التشدد القومي والحزبي، حزب البعث الاشتراكي، نعم إنها دمشق معقل من معاقل الإسلام وعاصمة الدولة الأموية والتي استقر بها معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- فأسسها عاصمة للدولة الأموية، وفي هذه العجالة التي أكتبها في ذاكرتي، وبعض ما سجلته أثناء زيارتي الأولى لسوريا والتي شملت دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية، غير أن استقرارني وارتياحي كان في دمشق، وكانت مدة الإقامة في أول زيارة إلى سوريا في العام المشار إليه ثلاثة أشهر، كانت في الصيف، ولا أنسى ذلك الرغد في العيش ورخص الأسعار

وتواجد الأشياء الضرورية وتنوع الفواكه؛ مما لم نعرفه أو نعرفه في بلادنا آنذاك وكان الغرض من تلك الزيارة الاستجمام والراحة بعد علاج في لبنان دام عاماً ونصف عام.

المكتبة الظاهرية:

كان أول ما علق بذهني فور هبوطي الشام أن أرى المكتبة الظاهرية وأستفيد من شيخها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فكانت أولى الخطوات إلى المكتبة الظاهرية، وهي مكتبة قديمة أثرية بها أنواع من التراث العلمي والثقافي.

كان الشيخ ناصر قد اختص فيها بغرفة للتحقيق والبحث والمراجعة في بطون كتب الحديث والمراجع، زرت المكتبة الظاهرية ورأيت الشيخ ناصر والطلاب يتوافدون إليه زرافات ووحداناً، ورغم أن الغرفة المخصصة له لا تتسع لأكثر من اثنين مع الشيخ، فإنني لم أستطع الوصول إليه والتحدث معه على انفراد مما ساءني في أول وهلة.

تكررت زيارتي للشيخ ناصر في المكتبة على عجل، وفي دكانه الذي كان يشغل فيه بتصليح الساعات والتي ينسب إليها كنسبة أرباب الحرف، وهذا ما جرى عليه كثير من علماء الشام فيقال: الصباغ والدباغ، وهكذا الساعاتي ومثله القصاب مما اشتهر وعرف من علماء الأمصار من غير ترفع أو اشمئزاز عن النسبة للصناعة والحرفة مما يختلف تماماً عند العرب وبخاصة عرب الجزيرة.

مع الشيخ ناصر في حلب :

أقام في حلب جمعية تدعى بجمعية الصراط المستقيم، مؤسس هذه الجمعية ورأئدها الشيخ محمد نسيب الرفاعي السلفي، والذي اتخذ الشيخ ناصر معلماً ومرشداً وموجهاً لهذه الجمعية.

كان من ثمرات هذه الجمعية أن طلبوا من الملك سعود منحاً دراسية لطلاب من سوريا للدراسة في المعاهد العلمية بالرياض؛ فكان ذلك بحمد الله.

وقد كان هؤلاء الطلبة هم غرس نواة للدعوة السلفية في سوريا بعد أن عادوا متخرجين من المعاهد العلمية وكلية الشريعة.

الشيخ محمد نسيب شخصية قوية وأديب شاعر ملم بعلم الحديث والتفسير، وكان يتطلع إلى زعامة دينية تحت راية السلفية في سوريا، إلا أن الضغوط الناصرية والأحزاب الاشتراكية والطرق الصوفية، وهي أشد وأنكى على السلفية لم تفسح له فرصة لتحقيق طموحاته.

كان أولئك حجر عثرة بل سداً منيعاً في تقدم العمل الإسلامي السلفي كعمل تنظيمي متطور، غير أن الشيخ ناصر بقي مرجعاً للفتوى والاستفسار والرد على الصوفية بكل وضوح وصرامة.

كان للشيخ ناصر برنامج شهري يتجول فيه على مناطق في سوريا (حمص، حماة، حلب)، واستقراره في الشام، حضرت أحد جلساته وهو

يناقش من ينفي علو الذات، فقال الشيخ ناصر: عليك أن تثبت أن الله في جهة، وإن لم تفعل فأنت تعبد عدماً، فصعق الرجل وقال: كفرتني يا شيخ ناصر، وكانت مناقشته فيها شدة وقوة ومراغمة تفتقد اللين والحكمة ومحاولة هداية الآخرين؛ وكأن الذي يهم الشيخ هو إقامة الحجة عليه، وإبراز رأي السلف بوضوح وبخاصة في الأسماء والصفات.

وفي حمص كان نزولي عصرًا حيث توجهت إلى أحد المساجد لصلاة العصر، وبعد الصلاة تحلق شباب حول شيخ وقور فدلّفوا أبصارهم إليّ فدنوت منهم وسلمت، وسألوا: من أين؟ فقلت: من الجزيرة العربية، قصدت من ذلك التعمية حتى لا أنسب إلى نجد الوهابية في أول تعرّفي إليهم، ولكن الشيخ قال، أنت سعودي ومن الرياض؛ فكشف السر وبطلت الحيلة، فقلت: نعم جئت لأزور بعض قبور الصحابة، فعجب من ذلك وقال: ألسنت وهابياً، قلت: نعم، نحب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنا على معتقده، فقال: فكيف تزور القبور، وهذا خلاف مذهب الوهابي، فطلبت من الشيخ أن يرشدني إلى قبر عمر بن عبدالعزيز وخالد بن الوليد، ومن هنا من الصحابة، ولعل فضيلته يكلف من يراقبني فيما أقوله عند قبور الصحابة، وهو ما عليه محمد بن عبد الوهاب، فزال عن ذهن الشيخ ذلك التصور الخاطيء بعد لقاءات متكررة.

بعد زيارة المقابر، أوكل بي الشيخ شاباً اسمه منذر إسماعيل شركسي، فكان بصحبتني مدة إقامتي في حمص يومين، وقد أخرجني حين أصر على أن أبيت في بيته ضيفاً له، وذكر أنه يسكن مع والديه وإخوانه وأخواته وليس هناك حرج عندما تنزل ضيفاً علينا فأجبتة ليلة واحدة مع عدم ارتياح، وخاصة أنه شركسي وآثار الحاجة والفقر ظاهرة على فرشهم وأوانيهم، جزاه الله خيراً على الإكرام والمحبة.

أخذني منذر إسماعيل ليعرفني على حلقات الذكر وشيوخ حمص فتعرفت في يومين على حلقتين، حلقة ذكر وحلقة تعليم في مكانين مختلفين من حمص.

حلقة الذكر؛

الطريقة الأحمدية، ما كدنا نصل إلى البيت والذي يقام فيه حلقة الذكر حتى سمعنا شهيقاً وصياحاً أشبه بنهيق الحمر، وهم يكررون: هو هو الله هو هو؛ بأصوات وحناجر يسمعها البعيد.

لقد دخلنا دون استئذان، وكانوا قد وقفوا قرابة خمسين رجلاً متلاصقين مترابطي الأيدي وهم يكررون الذكر: الله الله هو هو. لقد أشار عليّ رفيقي بالدخول في الصف والمشاركة في الذكر؛ ففعلت ذلك حتى لا نلفت الأنظار أو تثار الفتنة بين سلفي ومبتدعي.

بقينا في الصف قرابة نصف ساعة، فأشرت إلى صاحبي: هل أجلس أو أنصرف، ولكنه قال: لا مانع أن تجلس؛ فجلست مع صمت ونظر في واقع هؤلاء، وكانت الطبول قد رصفت على الحيطان، وذلك عندما يفترقون من الذكر يتناولون الدف والطبل ليكون ذلك أنشط لهم كما زعموا، وبعد ساعات طويلة جلسوا وهم يضحكون ويتبادلون الحديث والتندر، بل ورأيت منهم من أشعل سيجارته في حلقة الذكر كما زعموا.

هذه صورة شاهدتها في حلقة الذكر في حمص، وبئس ما صنعوا، أخبرني صاحبي أن أكثرهم جهال وليسوا بالعلماء، والعلماء لهم حلقات فيها البحث والمناقشة وتبادل الآراء في المسائل الفقهية والعقدية، فهيا بنا إليهم.

جلسة العلماء:

توجهنا من حلقة الذكر إلى مجلس العلماء في حمص، وكانوا قرابة عشرين عالماً قد تعمموا بالعمائم التركية (الطربوش الأحمر والعصابة البيضاء تحيط بالطربوش) دخلنا بلا استئذان، وكان المجلس قد امتلأ، فجلسنا أنا وصاحبي قرب مدخل الباب، ولكن كان منظري يشير إلى غربتي من البلد.

وبعد انتهاء البحث فيما بينهم سألوا منذر إسماعيل: من هذا الشاب؟ فقال: هو من السعودية، فسألني أحدهم: كم تصلون صلاة التراويح، فقلت: عشرون ركعة والوتر، وقال الجميع: عجباً لكم؛ ففي سوريا من ينتسب إليكم وهو يصلون التراويح أحد عشر ركعة؛ يعنون بذلك الشيخ ناصر الألباني، فقال أحدهم: يا أخوان وهابية السعودية غير وهابية سوريا؛ وهابية سوريا متشددين متنطعين، وشيخهم الألباني الذي لا يتمذهب بأحد من المذاهب الأربعة؛ فقلت لهم: أما نحن في المملكة فمذهبنا حنبلي، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وقاموا يعانقونني واحداً واحداً، ثم عادوا إلى البحث والمناقشة بين وهابية السعودية ووهابية سوريا وما بينهما من فوارق واختلاف، وذكرنا مسائل انفرد بها الشيخ ناصر فيما يفتي به أو يقرره تلامذته.

انتهت الجلسة وودعنا علماء حمص من غير لقاء آخر.

العودة إلى دمشق:

وفي مجلس وحلقة الشيخ أحمد كفتارو بحي الأكراد في دمشق، وهو مفتي سوريا كردي يتمذهب بالمذهب الشافعي، شيخ الطريقة النقشبندية، له شخصية جذابة وأسلوب في الحديث مع المريدين يتفنن بأسلوبه الساخن

في جذب الشباب إليه، لقد تكررت زيارتي لحي الأكراد والذي فيه مقام الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي صاحب ((الفصوص في رد النصوص))، وهو مقام يتردد عليه الزوار صباح مساء، وحول هذا المقام أو بالأصح الوثن، يسكن الشيخ أحمد كفتارو، وبجوار منزله مسجده الذي يقيم فيه الصلوات وحلقات الذكر والتعليم.

كان لقائي الأول بالشيخ أحمد في مجلسه حينما قال: لقد زار الرئيس جمال عبدالناصر فاستأذن العلماء بالشام لزيارته حين نزوله دمشق، ولكن الرئيس رفض مقابلة العلماء، ومع هذا فقد ذهب هو بنفسه إلى زيارة بيت الأساقفة والقساوسة من نصارى الشام، وسؤالي للشباب: لماذا هذا الصنيع من رئيس جمهورية عربية إسلامية وهو مسلم يرفض مقابلة علماء المسلمين في ديارهم ويذهب هو لزيارة رجال الدين النصراي؟ فما هو الجواب؟

تردد الشباب في الإجابة وقال هو: إنما أنا أجيبكم؛ الرئيس زار النصارى لأن لهم وزناً وقيمة عند أتباعهم، وكأنه زار كل النصارى، أما نحن علماء المسلمين فلا وزن ولا قيمة لنا عندكم تخولنا أن نلتقي بالرؤساء، فضلاً عن أن يزورونا في بيوتنا، أليس هذا هو الجواب يا شباب؟ قولوا: نعم ولا تستحوا.

كانت الجلسة بعد كل عصر، وقد سجلت بقلمي في وقتها ما نصه:
قال الشيخ باب الإيمان: قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧]،
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ثم عرّف الإيمان وقال: الإيمان هو نور ينقذ في القلب الطاهر
ويشع في النفس، ويؤثر بالأعصاب والفكر فتندفع الأعصاب والجوارح إلى
امتثال أمر الله والابتعاد عن محارم الله، ثم أورد أحاديث:

- ١ - ((الإيمان عفة عن المحارم، وعفة عن المطامع)) [رواه أبو نعيم].
- ٢ - ((الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه)) [رواه ابن شاهين في السنة عن علي].
- ٣ - ((أشرف الإيمان أن يأمنك الناس؛ وأشرف الإسلام أن يسلم
الناس من لسانك ويدك، وأشرف الهجرة أن تهجر السيئات؛ وأشرف
الجهاد أن تقتل فيغفر لك)).
- ٤ - ((أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك أينما كنت)) [رواه الطبراني
وأبو نعيم].

٥- أفضل الإيمان أن تحب الله وتبغض الله، وتعمل لسانك في ذكر الله، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيراً أو تصمت)) [رواه الطبراني عن معاذ بن أنس].

٦- ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب من ماله وولده)) [عن أبي هريرة].

فهمت من شروح الشيخ وتعليقاته على هذه الأحاديث وتعريف الإيمان مسلك التصوف المبتدع، فقد عرّف النبي ﷺ: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)).

ومع تعريف الإيمان اللغوي وتعريفه الشرعي يتجلى الخلاف بين ما عليه السلف وما عليه المبتدعون، ومع هذا فقد واصلت حلقات تعليمه ودروسه بعد كل عصر، وفي المغرب تقام حلقة الذكر لخواص المريدين، وقد اشتركت في تلك الجلسة في ضوء خافت بعد المغرب يوماً ما حيث رددوا الأذكار والأدعية بصفة الخشوع والتضرع، ولكن الذي لم أفهمه أو يفهموني إياه هو قولهم: الرابطة الشريفة. وقد فهمت معناها من غيرهم: أن تربط قلبك بالشيخ ليوصلك إلى الله، فقد شبهوا الشيخ بالنافذة التي لا يمكن الوصول إلى الله إلا عن طريقها، وبتصور ذات الشيخ وحضور عظمته في القلب يقترب منك تصور الذات الإلهية، وهذا هو معنى الرابطة الشريفة، والتي هي من مستلزمات أورادهم اليومية.

علمت أن هناك خلوات أشبه بالزنزانات في السجون، يخلو بها المريد لبضعة أيام للذكر والخلوة، ويقلل من الأكل ومستلزمات قوام الجسم المادي حتى يصل إلى الله، وإن لم يصل إلى مرحلة الفناء، ولكنه صالح لأن يكون ذا رتبة عند الشيخ الأكبر ويكون ممن يربي الأجيال أو بالأصح يكون شيخ طريقة، كنت أعرف هذا، ولكنني لم أدخل معهم في بحث أو نقاش عن مشروعية أو بدعية هذا الصنيع لأنه لا فائدة في ذلك.

مع بعض مرادي الشيخ:

لقد تلطفت لبعضهم ممن يحضرون حلقات الذكر وأبديت له رغبتني في الحديث معه، ولكن ليس في المسجد ولا في حلقات الذكر، دعوني إلى منزل أحدهم بحي الأكراد، فبادرت بالحديث عن محيي الدين بن عربي وأنه من أصحاب وحدة الوجود القائلين أن كل موجود هو عين المعبود، فأنكروا ذلك وقالوا: هو من علماء الصوفية وهو محيي الدين بن عربي، فقدمت لهم رسالة مما كتبه الجد الشيخ حمد بن عتيق وهي ((الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين وإخوانه الملحدين))، ورجوت أن يقرؤوا هذه الرسالة ويكون لقاء بهم حول بحث هذا الموضوع، أعني وحدة الوجود والشيخ ابن عربي، ولكنهم أبو كل الإباء المناقشة والبحث والجدل، وطلبوا مني الانضمام إلى حلقة الذكر ومتابعتها فستنجلي عنك هذه المخيلات أو

المفاهيم الخاطئة عن الطرق الصوفية وبالذات الطريقة النقشبندية، وبركة الشيخ أحمد كفتارو ودعائه يفتح الله عليك آثار علمه ورحمته.

وأما الجدل والنقاش فهو يترك للفقهاء والعلماء المتبحرين والراغبين في إدراك المعارف الفقهية والشرعية، أما أصحاب السلوك فهم لا يرون الجدل في خواص العبادة كالذكر السري، وبهذا عرفت أنه لا فائدة في المريدين والبحث معهم في أبسط مسائل العلم، وبالذات في العقيدة. وقد اشمأزوا بعض الاشتمزاز حينما عرفوا أنني من نجد ومن تتلمذ أو قرأ كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب، وعلى صلة بالشيخ ناصر الدين الألباني شيخ الحديث في الشام.

مرة أخرى في مجلس الشيخ أحمد كفتارو، حينما بدأ حديثه بقوله: هؤلاء الوهابية، انظروا كيف تنكروا لدينهم. عندما ذهبوا إلى موسكو، أسألوا أحاكم فاروق كيف كانت حالة البعثة السورية إلى موسكو وفيهم الوهابيون كيف كان صنيعهم، لقد تنكروا لدينهم، ويعني بهذا طلبه من سوريا ذهبوا إلى موسكو كما ذكر ممن ينتمون إلى الوهابية في زعمه.

لقد تأثرت بهذا الكلمة، وكان بجوارري أحد مريديه ممن عرفته فلزمني قائلاً: لقد علم الشيخ بوجودك في هذه الحلقة فأراد أن يتكلم عن الوهابية ولأول مرة يطرق ذلك الوهابية أو من يخالفه، ولكن بالمناسبة ذكر هذه القصة فقلت له: كيف والناس كثير، هل علم الشيخ بوجودي، فقال:

هو يعلم كل شيء، يعني بذلك علم المغيبات، نعوذ بالله من الفتنة، ولعل هذا مفهوم خاص لهذا الطالب ولا أظن الشيخ كفتارو يدعي علم الغيب. كانت هذه الزيارة الأولى للشيخ أحمد والتي تكررت في استماع دروسه وحلقة تعليمه؛ وفي عام ١٤٠٦ هـ كنت في مهمة رسمية خاصة للشيخ أحمد كفتارو وبمعية الأخ الفاضل الشيخ سعد الحصين، وذلك لتقييم معاهده وإمكانية التعاون معه؛ فكان لقاؤنا بالشيخ كفتارو لقاء رسمياً فيه مجاملات، والحديث العام عن شؤون المسلمين، وأخبرنا أنه قدم من روما لمقابلة البابا في الفاتيكان ويفتخر بهذا اللقاء بين الديانتين الإسلام والمسيحية فكأنه هو يمثل الإسلام، وذلك يمثل النصارى؛ وبلقائهما يكون التقارب.

جمعيات في سوريا؛

وفي الزيارة الأخيرة أي في ٢٠/٣/١٤٠٦ هـ، زرنا بعض الجمعيات الإسلامية والتي أذن لها الحزب الاشتراكي البعثي بالتنفس وممارسة نشاطها الديني المحدود تحت عين وأذن المخابرات السورية البعثية، بعد أن تقشعت سحابة الحركيين من الإخوان المسلمين والجماعة السلفية؛ ولا بد للفراغ النفسي والطموح لدى الشاب المسلم السوري من ملء وإشغال في حدود وإطار الإسلام العام؛ مع ما يشوب ذلك التنظيم من نقص وعدم توجهه لخدمة الإسلام بمفهومه العام الشامل.

١- جمعية الأنصار: وتقع في حي الأكراد من دمشق ويرأسها الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية، وتقوم بنشاطها من خلال مسجد أبو النور والمعهد الشرعي للدعوة والإرشاد، وكلية الدعوة؛ وجميع طلابها وطالباتها سبعمئة؛ ومناهجها دينية في الغالب مضاف إليها بعض الدروس العصرية: اللغة الإنجليزية والعلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة، وهي مجانية، تقوم على التبرعات، وتقدم بعض المساعدات المالية الضرورية لطلابها الفقراء.

٢- جمعية الفتح الإسلامي: في دمشق؛ ويتركز نشاطها في معهدها الديني ويقوم على التبرعات؛ وعدد طلابه سبعمئة طالب وأكثر طلابه من تركيا ومن خارج سوريا؛ ومنهجهم يماثل المعاهد الدينية الأخرى إلا أنه يختص بالمذهب الحنفي والعقيدة الأشعرية وشهادة المعهد معادلة من الأزهر.

٣- جمعية الفرقان: في حي المهاجرين من دمشق؛ وأبرز نشاطها المعهد الشرعي، ويقع تحت جامع المرباط، وقد قام على تأسيسه الشيخ أمين المصري -رحمه الله- وعدد طلابه مائة وستة وتسعون طالباً غالب طلابه من خارج سوريا؛ ومنهجهم مماثل للمناهج في المعاهد الأخرى من سوريا.

٤- جمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية في باب الجابية من دمشق؛ ونشاطها كما يبين من اسمها يمثل في معهد العلوم الشرعية، وعدد طلابه تسعون طالباً من أفريقيا وتركيا ويوغسلافيا؛ ومديره الشيخ عبدالله دك الباب سلفي المعتقد.

٥- معهد القرآن: يرأس هذا المعهد أخونا الفاضل الشيخ عبدالله علوش الذي تخرج في كلية الشريعة بالرياض، وكان ضمن المدرسين في المعهد العلمي في بلجرشي في بلاد غامد، وقد سمي هذا المعهد معهد الرئيس حافظ الأسد، وقد عاتبناه على هذه التسمية إلا أنه أبدى مبررات لهذه التسمية. وهو أي - الشيخ عبدالله - من تلاميذ الشيخ ناصر الدين الألباني إلا أنه أسىء الظن فيه بانتظامه بعمل حزبي؛ وهو فيما أعلم بريء كل البراءة من أي تنظيم حزبي سياسي، ولكنه في حالة جيدة من العمل المثمر في خدمة القرآن وعلومه وهدى الله الجميع وهدانا وبصرنا بما ينفع في دنيانا وأخرانا، والله ولي التوفيق.

وممن قابلنا في هذه الرحلة:

١- السفير السعودي الشيخ أحمد الكحيمي؛ وقد قابلنا بما عرف عنه من نشاط وحيوية وحسن استقبال ورغبة في التعاون؛ وله خدمة طويلة في أرض الشام حيث كان سفيراً للمملكة في الأردن خمسة وعشرين سنة كما عمل في لبنان قبل نقله إلى سوريا.

٢- الشيخ حمزة عابد الملحق التعليمي السعودي في سوريا؛ وقد قضى أكثر حياته في خدمة التعليم موظفاً في وزارة المعارف؛ ومن آخر الوظائف التي شغلها قبل عمله في الخارج مدير عام للثقافة؛ ثم مدير التعليم؛ وهو رجل معروف بالإصلاح وحسن الخلق والرغبة في الخير؛ ويمكن الاستفادة منه في بعض المهام مستقبلاً.

٣- الشيخ عبدالقادر قدري الأرنؤوط المحدث المعروف؛ وقد لازمنا أكثر الفترة التي أقمنا بها في دمشق؛ وهو عالم سلفي المعتقد مجتهد يشتغل بالدعوة إلى الله في سوريا ويوغسلافيا؛ كما يشتغل بتحقيق الكتب وتخريج أحاديثها، وهو من أنشط الدعاة وأعلمهم؛ وله دروس منظمة في مساجد دمشق يحضرها عدد جيد من العامة والخاصة.

٤- الشيخ محمد ناصر ترماني؛ طالب علم سلفي المعتقد يقيم في حلب، وقد درس في كلية الشريعة في الرياض؛ وهو من أبرز تلاميذ الشيخ ناصر الدين الألباني، وعلى منهجه في الدعوة.

٥- الشيخ عبدالله علوش في دوما من ضواحي دمشق؛ تخرج في كلية الشريعة في الرياض، ويعمل مدرساً رسمياً في مدارس وزارة التربية السورية وإمام لجامع دوما الكبير؛ ويقوم على مدرسة للقرآن في مسجده.

٦- الشيخ عبدالرحمن الحكواتي يقيم في حلب ولا يمارس عملاً منتظماً في الدعوة؛ قبل المعهد الشرعي في ادلوب الذي كان أحد مدرسيه بسبب الفتنة؛ وقد كان في أوغندا داعية تابعاً لدار الإفتاء.

٧- الشيخ محمد حبش إمام مسجد الزهراء في دمشق (المزه) من أنبل تلاميذ الشيخ أحمد كفتارو، شاب في الثانية والعشرين من عمره؛ يدرس في السنة الأخيرة في كلية الشريعة بدمشق، ذكي يتوقد نشاطاً وحيوية؛ صلينا معه الجمعة، وكانت خطبته في معجزات النبي ﷺ وقد حث المصلين على قبول ما صح منها في القرآن والسنة؛ ونبذ ما لم يصح من الأحاديث الضعيفة والموضوع ورد أقوال من نفاها جملة وتفصيلاً؛ وقد قضينا معه نصف النهار في البحث والمناقشة، وكان يجهر ويرفض الخرافات التي ترد في ذكر بعض الصالحين والموالد.

٨- الشيخ عبدالله دك الباب؛ شاب سلفي المعتقد يدير المعهد للعلوم الشرعية التابع لجمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية في باب الجابية بدمشق.

٩- الشيخ محمود الحلو، شاب سلفي تخرج في جامعة دمشق ومن تلامذة الشيخ ناصر الدين الألباني وينهج نهجه؛ ويؤم ويخطب الجمعة في قطنا غرب دمشق.

١٠ - الشيخ عبدالرؤوف أبو طوق؛ وهو خطيب مسجد كبير في دمشق بناه التاجر أكرم عجه؛ والشيخ عبدالرؤوف من أحباب الشيخ أحمد كفتارو وينهج نهجه.



وممن عرفت في سوريا

الشيخ / أحمد كفتارو

مفتي سوريا وأبرز علمائها الرسميين

تعرفت عليه عام ١٣٨٠ هـ حينما كنت أرتاد مجالس تعليمه في حي الأكراد بضاحية دمشق من جمهورية سوريا، ولم يكن هناك أي لقاء مباشر إذ كان محاطاً بالأبهة الصوفية والاحترام المقدس لدى أتباعه وأشياعه، ولكنني أمضيت شهراً في دمشق أرتاد مجالس تعليمه ومذكراته في الجامع الأموي وفي مسجده بحي الأكراد، عرفت رجلاً ذا ذلاقة لسان وساطع بيان ونعومة في التعبير ودقة في التفكير، كان يستقطب تلامذته ومريديه بضرب الأمثال والحكايات القصصية ليظهر منزلته القيادية بين أتباعه وأشياعه، قال ذات يوم: لقد زار الرئيس جمال عبد الناصر دمشق وذلك أيام الوحدة بين مصر وسوريا فاستأذن علماء الشام للسلام على الرئيس عبد الناصر فرفض مقابلتهم، ولكنه مع هذا ذهب الرئيس عبد الناصر إلى زيارة القساوسة النصارى في بيوتهم، أتدرون لماذا يا شباب يرفض الرئيس عبد الناصر مقابلة علماء الإسلام ويذهب هو بنفسه لزيارة رجال الكنيسة؟ فأجابهم: أنا أدري، السر في ذلك أنتم، فأنتم (المسلمين) لا

تعتبرون علماءكم ولا قادتكم الدينين كاعتبار النصارى لقادتهم وقساوستهم، أليس هذا هو السر؟ فقالوا: نعم.

بمثل هذه الحكاية أو القصة الواقعة يتسلم الشيخ أحمد كفتارو مركز القيادة والمشيخة الكبرى، فهو شيخ الطريقة النقشبندية كما هو مفتي سوريا الرسمي، حضرت جلسات الذكر لمريدي الطريقة فمما قالوه: الرابطة الشريفة، فسألت ما معنى هذا؟ فأجابوني بأن المعنى أن تربط قلبك بالشيخ، والشيخ يوصلك إلى الله، فلا طريق إلى الله إلا بواسطة الشيخ، وربط قلب المريد والتصوير التام لذاته وصورته في قلب مؤمن خاشع مسلم للشيخ على الطريقة النقشبندية.

وفي عام ١٤٠٤ هـ زار هو سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في الرياض وطالب إرسال وفد منه لزيارة مدارسه ومشاريعه التعليمية فوق التكليف من قبل سماحة الشيخ ابن باز علي وعلى زميلي الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين وكلفنا بزيارة الشيخ أحمد كفتارو في دمشق لإعطاء مرئياتنا حول التعاون معه ودعّمه ومساعدته، فالتقينا بالشيخ أحمد بعد عودته من روما وزيارة الفاتيكان، فكان في حديثه عن البابا والفاتيكان ما استغرق جل الوقت إذ كان محجّباً غاية الإعجاب بقدسية رجل الدين النصرائي ومكانته بين أتباعه، فكان الشيخ يطمع أن يكون كذلك.

الشيخ أحمد كفتارو بقي ولا يزال مفتياً لسوريا أكثر من ثلاثين عاماً وهو شخصية لبقة حذرة، وفي حديثه ما يسلب الأبواب مع تصنع التواضع وبعد نظره واستقطابه القادة من غير الإخوان المسلمين، وسمعت أنه قد احتدم خلافه مع الدكتور مصطفى السباعي ومع حركة الإخوان في سوريا، كما كان يختلف مع النهج السلفي كل الاختلاف، لكن السلفيين في سوريا ليسوا أهلاً لرفع الخلاف ولا مساواة بينهم وبين الإخوان في المنهج السياسي والتنظيمي، ولذا كان الشيخ أحمد لا يعتبرهم حركة مناهضة لتوجهاته القيادية في سوريا.

عدنا من سوريا نحمل في حقائبنا التقارير عن مشاهداتنا لمدرسة المفتي وما هي عليه من تنظيم وإتقان وجودة إلا أن المنهج لا يمكن أن يتغير أو يعدل فيه شيء، ومن الجدير بالذكر أن حي الأكراد وهي القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ أحمد فيها حدث محيي الدين بن عربي صاحب (الفصوص) ومن أرباب وحدة الوجود، وهو ليس بحدث وإنما هو مزار ومشهد ووثن يُعبد من دون الله للاستعانة والاستغاثة والتبرك.

وللاختصار أوجزت ما ذكر عن الشيخ أحمد كفتارو وإن كان في ذاكرتي الشيء الكثير عنه، غفر الله له.



إسماعيل بن عتيق في سوريا

(٤) الأردن

لم يعلق في ذهني من ذكريات ما يوجب تحريره وتصديره للقارئ الكريم، حيث كان زيارتي للأردن متأخرة وفي مهمة رسمية لم تدم سوى بضعة أيام، غير أن من قابلته وعرفته أكثرهم من المعارف والأصحاب القدماء فلذا لم يستجد عندي ما يوجب تحريره ولا سيما أن الأعمال الرسمية لا ينبغي تسطيرها لقارئ لا يعرف شيئاً عن خلفيات العمل ولا هوية الكاتب فقد تحمل على غير محملها الطبيعي؛ ومن قابلته في هذه الزيارة بعض المشايخ المهتمين بالدعوة والإرشاد؛ ومن لنا بهم سابقة معرفة:

١ - فضيلة الشيخ يوسف البرقاوي: عالم فاضل يتعاون مع جمعية الأوقاف، أو لعله المسئول الأول في مدينته ببرقا، وهو ذو حماس ونشاط في الدعوة، قوي البنية، قوي الإرادة، سريع الخلاف مع من يجادله وينظره، وهي سمة ظاهرة لجميع السلفيين أو المتتمين للسلفية يعتمدون على قوة الحجة وضعف الخصم وقوة الدليل، وهذا شأنهم مع أصحاب الطرق والبدع، أما في السياسية فإنهم يضربون صفحاً عن الجدل والتفاسير ولا سيما عندما يطرئون إلى تسمية أسماء بعينها، فلذا فإن حكومة الأردن ترضى عن مثل هذا الخط السلفي، وقد تستعين بهم ضد الأخوان أو جماعة حزب النبهاني، فلذا مجالهم مفتوح من غير اعتراض إلا من جهات شعبية غير رسمية.

٢- الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين: المشرف العام على الدعوة في الأردن وفلسطين من قبل رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، والشيخ سعد له تاريخ طويل؛ وسيرته المليئة بالإعجاب والغرائب، فقد تقلب في عدد من المناصب كان آخرها مديراً عاماً للتعليم الثانوي في وزارة المعارف بالمملكة، وثقافته مزدوجة فهو خريج كلية الشريعة بمكة، ولقد تلقى دراسات في أوروبا وأمريكا قرابة سبع سنوات جاب فيها مدن وأقاليم دول الغرب، كان آخر ما توجه إليه أن يكون داعية وخادماً للدعوة خارج المملكة، وضحي بكثير من وقته وصحته وماله في هذا المضمار، ومع علمه وفضله فإنه جم التواضع، يرى خدمة المسلمين ديناً وعبادة، حتى أنه يقوم بطهي وتقديم الأطعمة للفقراء والمحتاجين في الأردن.

حدثني عن نفسه: أنه في رمضان يفطر عنده ما يربو على ثلاثين رجلاً ينفرد هو وزوجته فقط لخدمتهم وتقديم وجبة الإفطار والعشاء للصائمين؛ والشيخ سعد أخ وحميم وصديق وفي، إلا أن الخلاف بيني وبينه حول عدم استقراره في توجهاته الدعوية، وقد يرى اليوم ما لم يره بالأمس، ويتفق مع شخص أو مجموعة في يوم ويختلف معه أو معهم في اليوم الثاني.

وهو حسب توجهه يدين الله بما يراه ويعتقده، ولا يرى التقليد والمجاملة ولو في الظواهر الاجتماعية، ولعله بهذا تأثر بالغرب بعدم اكترائهم إلا فيما اقتنعوا به.

المكتبات في الأردن (عمان)؛

ومما يلفت النظر كثرة المكتبات التجارية الدعوية، وقد تنفس المسلمون بعد الضغوط في سوريا، وأقاموا دور نشر لها إمكاناتها في نشر الفكر الإسلامي، والتوجه الدعوي، وباختلاف التوجهات الدعوية تكثر الخلافات بواسطة النشر والطبع والشريط، فكان للمكتبات أسواق رائجة تتوج بالأفكار والانتماءات الإسلامية، وساعد على ذلك أن حكومة الأردن لا ترى بأساً من اختلاف بين الطوائف أو الهيئات الإسلامية مع إعطاء الحرية للكلمة في حدود مقبولة.

نضرب لذلك مثلاً في وقوع حادثة سمعت عنها وعرفت صاحبها: الشيخ أسعد بيوض التميمي زعيم الإخوان المسلمين؛ حينما خطب في مهرجان نعت الملك حسين بالقزم الماسوني، قال الراوي: وقد اعتقل الشيخ أسعد؛ وبعد فترة استدعاه الملك حسين لمعاتبته شخصياً، قال الملك: زعمت أن لا حرية في البلد، فقال أسعد: وأنا من أين جئت أمن بيتي؟ أم من المعتقل؟ فعجب الملك حسين لبدايته في الإجابة وقوة حجته، فقال له: اذهب فقل ما شئت فأنت في بلد حر، ويعطي الحرية لشعبه، ومع هذا فإن الملك كان يستفيد من التنظيم الإخواني أكثر من غيرهم في مجالات عدة، فوزير التعليم كان من الإخوان؛ والملك يطلع ويعلم جيداً جميع الاتجاهات وموقفها من الدولة، ومع هذا فهو يعاملهم معاملة الملك لشعبه على السواء.

مناخ الدعوة في الأردن:

تعتبر الأردن في نظري من أفضل البلاد الإسلامية، وبالذات العربية مناخاً للدعوة، فمع وجود نظم تمنع من استعمال المساجد للوعظ إلا بعد موافقة الدولة؛ فإن النظام لا يستعمل ضد الداعية إذا هاجم سياسة الدولة مباشرة أو تسبب في إثارة نزاع مع جمهور المصلين يصل إلى تقديم شكوى ضده.

وعلى هذا توجد جمعية نشطة للإخوان المسلمين؛ وتقوم جماعة التبليغ بعمل واسع؛ ولأهل الحديث تأثير واضح رغم ضعف حركتهم، وللأسف لا يوجد تعاون بين الجماعات الرئيسة الثلاث وإن كان هدفها واحد، وكل منها يقوم بجهد مطلوب يكمل بعضه بعضاً، وحتى في المناطق المحتلة لا تعترض السلطة على الدعوة إلا إذا تضمنت تحريضاً على العصيان بأنواعه، وللصوفية وجود يتمثل في الزوايا المتناثرة وحلق الذكر، ولكن ليس لهم من التأثير أو الانتشار ما للصوفيين في مثل المغرب والسودان والقارة الهندية.

ومشكلة الأضرحة تتركز في المناطق الفقيرة والنائية، ولكن نحسبها والله الحمد في أفول مستمر بسبب انتشار المعرفة في المجتمع الأردني أكثر منها في أي مجتمع إسلامي آخر، وفي المناطق الفقيرة خاصة توجد كثير من المنكرات مثل الذبح الشرقي عند الضريح، أو حماية البناية الجديدة

والسيارة الجديدة أو مؤسسة الميث، وهناك حساسية رسمية شديدة ضد إثارة أي نزاع بين المسلمين والنصارى، وكذلك فيما يتعلق بالوهابية ومع كل ذلك توجد حركة جيدة واتجاه قوي نحو الإسلام ورغبة في سماع الموعدة وتقبلها.

تصحيح الاتجاه :

تقتصر الدعوة على موضوعين رئيسيين: العقيدة وأحكام العبادات والمعاملات حيث تقوم الجماعات الإسلامية والهيئات الرسمية بمهمة الوعد العام، ويطلب من كل داعية تنظيم وتحضير درس أسبوعي ينفذ في عدد من المساجد، وكذا الاشتراك في الجماعات الإسلامية الرئيسية، ومن ذلك الكسب السياسي والدعاية.

والدعوة نوع من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله، وكذا مناصرة القضايا والشعوب الإسلامية، وكل هذه من ملزمات الدعوة، وللمشرف العام على الدعوة التابع لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، دوره الإيجابي في مناصرة الدعوة والدعاة وتعاونهم الشخصي الرسمي مع الجهات الدينية والرسمية هناك، وفي تعداد الدعاة التابعين للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، ما يجعل لهم دورهم الإيجابي في التغلغل في صفوف المنظمات الأخرى لغرض الإصلاح والدعوة وتضييق الفجوة بين المنظمات الإسلامية العاملة، ويرتبط عمل

الدعاة في الأردن وفي المناطق المحتلة برباط التعاون وتوحيد الاتجاه في
تصحيح المفاهيم العقائدية، ولا سيما وأن حرية الكلمة تمنح كل داعية أن
يقول ويناقش ويجادل، وهذا دليل على مصداقية ما ورد من الآثار على أن
بلاد الشام تكون مهبطاً للمسيح - عليه السلام - ونزوله من السماء فيها
فيكسر الصليب ويحكم الشرع ويدين الناس بدين الإسلام، والله الهادي إلى
سواء السبيل.



وممن عرفت في الأردن

الشيخ ناصر الدين الألباني الأوشكودري

وفي عمان عاصمة الأردن التقيت بالشيخ ناصر عام ١٤٠٧ هـ وليس هذا أول لقاء بالشيخ بل كان ذلك عام ١٣٨٠ هـ في سوريا بدمشق وبالتحديد في المكتبة الظاهرية.

تابعت مجالسه في دمشق وحماة وحلب، وكان إذ ذاك في بداية نشاطه وظهور نجمه في التأليف والرد والتحقيق، وقد أنشأوا جمعية أسموها جمعية الصراط المستقيم مقرها الرئيسي في حلب، ورئيسها الفعلي الشيخ محمد نسيب الرفاعي، وكان من ثمرة هذه الجمعية أن أوفدوا إلى المملكة ما يزيد على أربعين طالباً للدراسة في المعاهد العلمية، تزامننا مع الكثير منهم في معهد الرياض العلمي عام ١٣٧٥ هـ وذلك بموافقة الملك سعود رحمه الله.

بقيت جمعية الصراط المستقيم وتوجيه من شيخها الشيخ ناصر الدين الألباني ورئيسها الشيخ محمد نسيب الرفاعي تعمل عملها في بيان منهج السلف والرد على المناوئ وبالأخص في باب الأسماء والصفات، وفي الأمور التعبدية في بيان حد الابتداع في دين الله عز وجل، وكانوا إذ ذاك أيام الوحدة بين مصر وسوريا أعطيت لهم الحرية في الكلمة المسموعة والمقروءة.

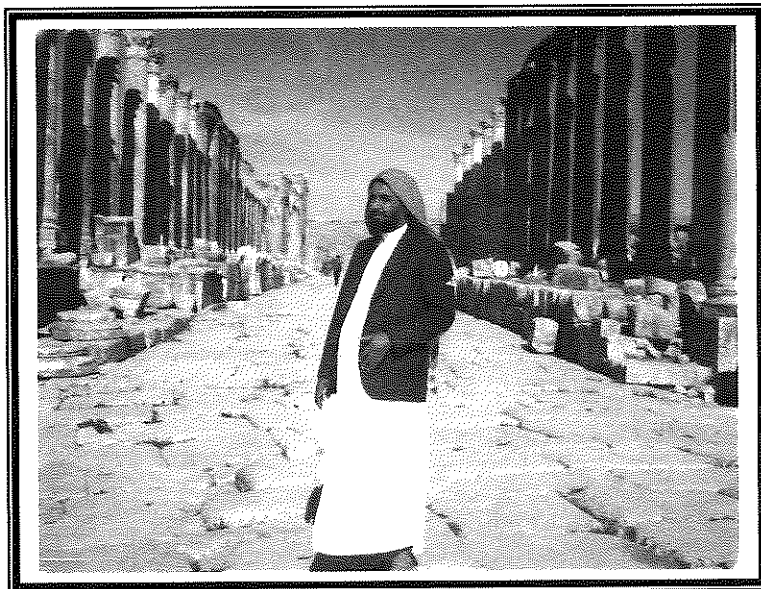
وقد ضمّني مجلس لعلماء حمص أرباب العمام والطرايش التركية، فنالوا في مجالسهم من الشيخ ناصر، وأنه وهابي أشد من الوهابية حينما سألتوني: كم تصلون صلاة التراويح؟ فقلت: عشرين والوتر، ودارت عجلة الزمن واستفحل أمر السلفية في سوريا حتى كاد شباب اليقظة ولو من الحزبيين أن ينضوا تحت لواء السلفية، غير أنه حصل خلاف بين الشيخ ناصر وبين الشيخ نسيب، فانتهى أمر الوفاق بينهم، وأعقب ذلك إلغاء الجمعية، واتهام عبد الناصر لهم بالعمالة للسعودية، وتفرق الشباب، وبقي البحث والتحقيق والتأليف ديدن النابيين منهم كالشيخ عبدالقادر الأرناؤوط والشيخ شعيب الأرناؤوط وغيرهما ممن تتلمذ على الشيخ ناصر، وأخذ طريقه في التأليف والتحقيق، وناصرهم على ذلك صاحب المكتب الإسلامي الشيخ زهير الشاويش الذي يملك مطبعة للنشر "المكتب الإسلامي".

كانت زيارتي للأردن خاطفة وعاجلة، ولكن لمكانة الشيخ ناصر العلمية فلزماً عليّ زيارته، رغم أنه قد برمج وقته وحدد مواعيد زيارته، التقيت به مع الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين المشرف على دعاة رئاسة البحوث العلمية في الأردن والشام، وتحدثنا كثيراً عن الجوانب الدعوية وما يجب أو ينبغي في استعمال الحكمة وبالأخص بين الزملاء والإخوان، وأثرنا نقطة الخلاف بينه وبين الشيخ نسيب: هل أزواج النبي ﷺ معصومات من الزنا أو غير معصومات ولكنه لا يقع؛ لهذه المسألة انشق الصف وتفاقم

النزاع بين الشيخ ناصر والشيخ نسيب، وقد أصر الشيخ ناصر على هجر الطرف المخالف، وعدم الرضا عنه حتى يتوب إلى الله ويرجع عن هواه، ويعترف بما أراه أن أزواج النبي ﷺ معصومات من الزنا، أوردتُ هذا الخلاف لأستشهد به على شؤم النزاع وبالأخص بين علماء الدعوة وقادة الأمة، وقد أشرت إلى الشيخ ناصر بسيرة الإمام في هذا الزمان الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز وأسلوب دعوته مع المخالف، فقال: ذلك له شأن آخر، وأمثاله قليل، وأنتم شعب المملكة تحترمون العلماء، وتأخذون بآرائهم، وقل من يخالف، ولكننا في هذه البلاد أثبتنا بمن لا يعي وإن وعى فلا يفهم، وإن فهم فلا ينقاد - ليست هذه ألفاظ الشيخ ناصر ولكنها من مفهوم كلامه عفا الله عنه -.

ذكرته بلقائي به في حلب عام ١٣٨٠ هـ وما جرى بينه وبين من ينكر الاستواء وقولك له: إما أن تعترف بأن الله في جهة أو لا تعترف، فإن اعترفت فالجهة هي جهة العلو، وإن لم تعترف فأنت تعبد عدماً. فتذكر الشيخ وقال: بهذا الجدل والمنطق نضرب أدمغة أهل التأويل والتعطيل فليس لنا قوة السلطان، ولكنه المنطق والجدل المبني على الدليل والعقل السليم.

بقي الشيخ ناصر وهو يتزعم الحركات السلفية بوصفه مرجعاً للفتيا والرأي. رحمه الله تعالى، وغفر الله لنا وله.



إسماعيل بن عتيق في الأردن

(٥) الرحلة الأولى للبحرين

مضى القول فيما مضى عن دولة الكويت وتسجيل بعض الذكريات والمذكرات في تلك الدولة من عام ١٣٧٩هـ، وهاهو الحديث عن الدولة الثانية من دول الخليج (البحرين) الجزيرة المتاخمة لحد المملكة العربية السعودية شرقاً الفاصل بينهما مياه الخليج، ومن الخبر المدينة التجارية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية؛ الميناء والمرافأ مما يلي دولة البحرين امتطى اللنش أو اللنج الباخرة الصغيرة من الخبر إلى البحرين، وذلك في شهر ذي الحجة لعام ١٣٨٠هـ، حيث مضت بنا السفينة الصغيرة إلى المنامة عاصمة البحرين، ومن الصدف أو التوافق أن كانت الأجرة من الخبر إلى البحرين خمسة أربل سعودي؛ وذلك لمدة خمس ساعات لأنزل في فندق شط العرب بخمس روبيات، نزلت ذلك الفندق، ولم يتحدد لي هدف وغاية في زيارة البحرين، ولكنه علق في ذهني وأنا أقرأ ديوان الشاعر الكبير محمد بن عثيمين مدائحه في آل خليفة حكام البحرين، قدح في ذهني لو حاكيت ذلك الشاعر النجدي بزيارة مقر الحكم والحاكم الشيخ سلمان بن عيسى آل خليفة، وليس لي من وسيلة سوى الشعر، فالشعر بضاعة الأدباء ووسيلة من وسائل الاستجداء؛ ولكن هيهات ذلك الشعر الرزين والقول المتين، شعر شاعرنا الكبير محمد العثيمين وآتى له محاكاته أو تقليده، إن الأمر صعب جداً، ولكن العطاء على قدر الامتلاك.

حاولت أن أنظم قصيدة في مديح الحاكم الميمون الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى فجاء على لساني تسعة وعشرون بيتاً من الشعر؛ بدأتها بالتشبيب كما هو مذهب شيخنا الأديب الكبير وسنة من قبله من شعراء العرب وهي كما يلي:

الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد: فهذه قصيدة في مديح عظمة السلطان سلمان آل خليفة حاكم البحرين قالها الشاعر إسماعيل بن سعد نزيل وادي الدواسر ذلك عند زيارته للبحرين في ١/١٢/١٣٨٠هـ:

خليلي ما أنكى الحياة من السقم
لفقد ذوات الخدر والردف والهضم
عرائس كان العيش رغداً بربعها
بقرب حبيب عز في العرب والعجم
فقد كنا في نعاء يغبطننا الملا
ومسرح لذات مضت كما الوهم
نواصل تذكارات الشباب مع الصبا
فنبكي بدمع ذكره لنا يدمي
فهيئات قد بان الصبا وانطوى المدى
فهيا لفعل الخير نرجع إلى الحلم

فما المرء إلا قارع سن نادم
إذا يكثر الأعمال بالوزر والإثم
فلله أيام تقضت بلا أسى
تمتع فيها كل عضو من الجسم
ولكن رزء الفقء غير محجبي
أقول لشعر في سلاله ضيغم
بلى إنه ذخر لكل مرزاً
فتجلو بذكر الشيخ فادحة لهم
فهذا أصل المجد والمد والندى
فحيه يارب المحب وسلم
فقد كان شيخاً في صباه برأيه
كما كان محبوباً البطولة والفهم
توطد هذه العرش من أصل ماجد
بسمر العوالي والندى للمسلم
فتشهد كارات ويشهد صارم
بأن الوغى في جانب الشهم كالمسلم

فلا عبئها يزجي بنيل عطائه
ولا هو بدع أن يخوض بذى الدهم
فشنة حرب العدى مخضعي الهما
كم منزله يسقي جيوش العرمم
فلله شيخ قد حوى برده الندى
كما هو بؤس النزاعين إلى الظلم
فقد كان طوداً للعلا مرتع السخى
له قصدوا من بالحلال وبالحرم
كما عمت الآفاق مطلع شمسه
ويحدو به الساري بليل مظلم
وإذا العيس تحدوا بلحن مرجع
إذا لم يكن شعر بمدح المكرم
وقد تنكر الأسماع مدحاً لغيركم
كما أن الشعر في غيركم من الجرم
فيا مستو على عرش مجد حكمه
عروش الملا تخضع لعرش الهيذم

هنيئاً لكم آل الخليفة مركزاً

له تشرأب العنق من أبهة الحكم

ومنزلة مرموقة تفلذ العدى

وكل حسود ليس له سوى الغم

فمرحى لكم مرحى أنتم السرى

وغيركم من جملة الصم والبكم

ولا أستطيع العدل إن قلت مدحك

فلا وصفكم يحصى بنشر ولا نظم

ولكن قليل من كثير فإنني

أرجي عفواً من سمو المعظم

فهذا من الجهد المقل أتيتكم

لأقصده في صوت عي ملعثم

وعند ختام القول أختم كلمتي

بحوقلة تنبي عن العجز في النظم

وصلّى الله على محمد وآله وسلم.

تعليقنا على ما تقدم أنها قصيدة قلّتها في تجربة الشعر عام ١٣٨٠هـ،

وهي لا تخلو من النقص في الأوزان في عروض الشعر، ولكن القافية

موجودة، والحافظ لهذه الأبيات في ذلك الوقت هو الاستجداء والتعرف على مسيرة الحكام والقرب منهم، وقد وجدت إكراماً من هذا الحاكم إثر إلقائي هذه القصيدة وقال بلفظه: لا تروح حتى تأكل ذبيحتك؛ يعني الإكرام بذبح الذبيحة. نستغفر الله من زلة القدم واللسان وما جرى به، ولكن أعيد تحريرها للذكرى والاعتبار في سجل تاريخ العمر والله أعلم، وصلى الله على محمد.

الرحلة الثانية للبحرين

وفي ٥/٣/١٣٨٣هـ، عدت مرة أخرى لزيارة البحرين على أمل أن تمتد هذه الرحلة إلى بقية دول الخليج قطر وما بعدها، غير أن الشيخ سلمان قد انطوت أيامه، وأفل نجمه، وخلفه في الحكم نجلة عيسى، بدالي أن أطرق بابه بقريض الشعر مثل ما سبق مع والده، إلا أن هذه الزيارة للبحرين كان بصحبة مجموعة من الأحبة ممن ينتمون للدعوة والإرشاد، وإن لم يكن بيني وبينهم ذاك الارتباط الملزم بصحبته ومعيته، غير أن الضمير يؤنبني في استساغة المديح وقول الشعر مقابل دريهمات أو مكافآت لا تساوي ما يخسر المرء من دينه أو سمعته، وقال حادس آخر: ليس المال هدف وغاية إنما اللقاء بالأكابر ومعرفة أحوالهم ومجالسة الأعيان؛ هي من طموحات الرجال، والشعر وسيلة وليس بغاية المنال والعطاء، ولا سيما أن

أهل هذا البيت لهم أصالة دينية ومشیخة إسلامية ولا زالوا يترسمون خطى أسلافهم في مجالسهم العربية ونخواتهم القبلية، فهم بهذا يكرمون الوافدين ويشجعون القاصدين على مجالستهم ومحادثتهم، فكانت الإرادتان بين الإقدام والإحجام، وتم تنفيذ الإرادة الراغبة في الزيارة للحاكم الميمون الشيخ عيسى بن سلمان وبنفس الوسيلة التي كانت لوالده -رحمه الله-، فحررت أبياتاً قليلة لأزج بها في نادي الأدب مجلس الحاكم الموقر، وعرض ما لدي من العطاء فكانت بمثابة الأولى، وتكرم بالإجازة لما قلته، وكانت هي الأولى والأخيرة إن شاء الله -تعالى-، وماهي القصيدة للذكرى والتاريخ بفصها ونصها:

سعادة الحاكم الميمون الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، لا زال كعبة وذخراً لرواد الحلم والأدب؛ ويمناً لذي الشرف والنسب، لقد سعى بي الحظ أن وفدت إلى والدك العظيم، وقد كساني حلة لا زلت أرفل فيها بثوب العز والكرامة مما أطمعني أن أتزلف لسموكم بهذه الأبيات، وماهي إلا قطرة من بحور جوده تملي عليّ فأكتب:

أحب نجواه لكن الهوى سقم

ويعتريني بفقد صاحب الألم

جُلّ الأنام وشاة في محبتنا

أعوذ بالله أن أكون مثلهموا

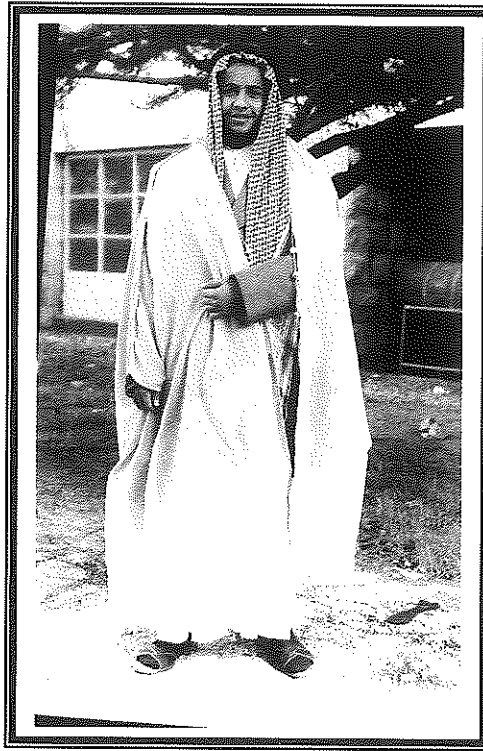
لولا اللبيب الذي أبدى محبته
وثغره في صفاء القلب مبتسم
ما كنت أحسب أني في الهوى كلف
أو أنني في شرك العشاق أقتحم
قبلي من الجن والإنس الذي عشقت
الله يغفر أن يبدولي اللمم
وكم تغنى وأسلى في تلحنه
أرباب فن وأصغت أذنها الأمم
وشنفت مسمعاً أعييت كواهلته
حمل الهموم فولى عنه منهزم
لكن سلواي في دنيائي أو شغفي
مجالس زانها بدر ومتسم
في عالم فاضل أو شاعر لبق
أو من حماة عرين والعلاهم
الكل يستقيهم من بحر همته
وتستقيه بحور عندنا خضم

عيسى عسى عرشكم طود توطده
مادامت الأرض والأنام والنعيم
قد اصطفاكم لنا ربي وأخلدكم
حماة حق وساد الجود والكرم
ومعدن الجود من جرثومة لحقت
آل الخليفة والأصل الذي لهم
ما قلت شعراً ولا جئت سواقيه
ولا استقام لنا نثر ومنظم
حتى رأيت فعلاً وهي قائلة
الآن أكتب ما يلي هي الحكم
أيادي عيسى لها من ونائلها
من قال بالضاد والأعجام بعدهم
حج الحجيج فلا تجزم بحفظهم
إلا الذين سقاها طل عمم
من كفه قد أعار الجود لامسها
قد بارك الله كفاً ربه العلم

ليس الكثير إذا ما أمطرت سحب
عمت سُواقِها من طبعه الكرم
الله يغفر للشيخ الذي حسنت
أفعاله وجميع الناس قد وصموا
بموته زعزع الأكام وارتجفوا
لفقد عرب العرباء والعجم
وحظنا منه نجل سار سيرته
واللاحقون لهم فضل إذا حكموا
المقسطون فلا تخشى بوائهم
والمصلحون نفوس شايها الألم
أناشد الله من شكت حوادثه
هل غيركم في سماء الجود يصتدم
وصلّ ربّي على المختار سيدنا
شفيّعنا يوم نار الكرب تضطرم
البحرين، فندق شط العرب

١٣٨٣/٣/٥ هـ

وتعليقنا على ما تقدم أن هذه القصيدة رتلت في عام ١٣٨٣ هـ، مديحاً
لحاكم البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة تأسيساً بما عليه شاعرنا
الكبير الشيخ محمد العثيمين الذي أشاد وأجاد في مديح الأسر الثلاثة آل
سعود، وآل ثاني، وآل خليفة؛ وهم حكام العرب وزعماءه في هذا العصر،
وهم أهل لما قيل فيهم ما دامت النية حسنة والقصد جميلاً إن شاء الله -
تعالى - ونعوذ بالله من زلة اللسان وسوء البيان؛ والله المستعان.



إسماعيل بن عتيق في البحرين

(٦) قطر

الجزيرة أو شبه الجزيرة؛ عاصمتها: الدوحة ومشايخها: آل ثاني من بني تميم.

ما كدت أودع مجلس الشيخ سلمان آل خليفة حتى قدح في ذهني أن آل ثاني أولى وأحرى بالزيارة وحسن الرفادة، وفي ساعات من الليل أمضيتها من المنامة إلى الدوحة على ظهر سفينة شراعية في ليلة باردة وذلك بتاريخ ١٥/١٢/١٣٨٠هـ، ولمدة ثمان ساعات طيلة الليل فما أن أشرقت الشمس حتى رست السفينة في مرفأ الدوحة، ومن المرفأ إلى فندق (بسم الله) وأردفها بقولي: أعوذ بالله، حيث كان هذا الأوتيل غير لائق في نظافته ومظهره، فقد ترددت طيلة ذلك اليوم في البقاء في هذا الفندق ولا بديل عنه، ولكن الله يهيئ الأسباب ويرزق ابن آدم من حيث لا يحتسب، فقد رأيت شاباً وسيماً ذا خلق وحركة وحيوية تعرف عليّ وعرفته بنفسه كما عرفني هو بنفسه، إذ نسب نفسه إلى النعيم أهل الأحساء، وهو وافد إلى قطر في هذا الفندق؛ يعاني ما أعانيه من ضيق وعنت في هذا السكن غير المريح، تبادلنا الحديث وتم الحوار والتشاور على أن نستضيف الحكومة القطرية فكلانا وافد وغريب، وتم الاتفاق على أن نصلي صلاة العصر في الريان مع الشيخ علي بن عبدالله بن ثاني حاكم قطر، وفي الريان قصره ومسجده وضيافته، فكان ذاك في وقته، فقد صلينا صلاة العصر مع الشيخ

علي، وفور الصلاة نهض المصلون، كما أن الشيخ خرج من المسجد ومعه ثلة من المشايخ وطلاب العلم، وقد جلس خارج مسجده، وبجوار قصره على مجالس من الطين بارتفاع نصف المتر من الأرض، وهي ما تدعى عندنا في نجد (بالحبوس).

وبعد جلوس الشيخ تقدم القارئ عبد البديع صقر (مصري الجنسية) فقد أمره الشيخ محمد بن مانع شيخ الحاكم ومستشاره في البداية بالقراءة، وكان الكتاب (مشكاة المصابيح).

ظل القارئ يقرأ والشيخ محمد بن مانع يوضح ويعلق، وبجواره الشيخ علي يستمع، وقد يسأل، حلقة تعليمية وروضة من رياض الجنة يتصدر هذا المجلس الحاكم العابد التقي الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني؛ وبجواره العالم العلامة شيخ التعليم في الجزيرة العربية محمد بن عبدالعزيز بن مانع -رحمهما الله-، ظل صاحبي يتردد في الحديث مع من رآه خارج الجلسة ليخبره بأننا ضيوف والشيخ في حلقة التعليم لا يحسن السلام عليه ولا التحدث معه؛ فجاء إليّ وقد أشار إليه أحد حراس الحاكم بأن يتوجه هو وزميله إلى ذلك القصر الأبيض والذي يبعد عن قصر الشيخ ومسجده قرابة خمسمائة متر، أشار لي صاحبي بالتوجه إلى ذلك القصر حتى نعرف مصيرنا قبل الليل، فنهضنا معاً وتوجهنا إلى ذلك القصر حيث نادى صاحبي بالاسم الذي أخبره به حارس الحاكم فظهر النادي مرحباً مهلاً

بالضيوف، وأخبرناه بأننا ضيوف الشيخ علي فزاد بالترحيب وفتح باب القصر، ثم تقدم إلى أحد الغرف فقال: تفضلوا هذا مسكنكم، وبادر بإدارة القهوة والتمر ثم قال: بعد صلاة المغرب يكون العشاء إن شاء الله.

فرحنا بهذا الاستقبال وبهذه الضيافة الكريمة من رجل الكرم والعلم والدين، صلينا صلاة المغرب وعدنا إلى قصر الضيافة وليس فيه أحد سوانا، وما هي إلا دقائق حتى جاءنا المضيف يحمل سفرة من الخوص، ثم عاد وأتى بصحن من الرز وعليه ذبيحة ((مفطح)) وقال: سمو بالله عشاءكم ما معكم أحد.

تعشنا على بركة الله، وبعد الفراغ من العشاء طلب صاحبي صابوناً لغسل اليدين، قال المضيف: لا نستعمل الصابون هنا، هذه ضيافة البدو وأنتم حضر فما الذي جاء بكم إلى هنا، أنتم تنزلون في القصر الأزرق في الدوحة حيث ضيافة الحضر وبها الصابون والملاعق والمرق إلى غير ذلك مما يأكله الحضر، بقينا معه في المداعبة فماذا نصنع بهذا الدهن في أيدينا، فقال: جرت عادة ضيوفنا في هذا القصر أن يمسحوا بأيديهم لحاهم وسيقانهم بالدهن وأنتم إن شئتم فافعلوا مثلهم، وغداً تذهبون إلى الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن الشيخ علي بن ثاني لينزلكم في قصر الضيافة الأزرق بالدوحة.

بتنا على بركة الله في ضيافة البدو، وفي الصباح الباكر توجهنا إلى الدوحة للسلام على الشيخ عبدالعزيز وزير الدفاع القطري والذي يطمح أن تكون ولاية العهد له بعد أبيه، فما أن وصلنا إلى القصر حتى تقدمنا

بالسلام على الشيخ الشاب الذي لا يتجاوز عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً، ولكنه يطمح في التعرف على الناس وتعريف الناس به.

بعد السلام عليه وشرب القهوة تقدم صاحبي إليه وعرف بي وبنفسه، وقال: أنتم ضيوفنا حياكم الله، ثم نادى أحد حرسه ليكلفه بإعداد سيارة لحملنا وأخذ أمتعنا ثم إنزالنا في قصر الضيافة بالدوحة، فكان ذلك في فترات قصيرة.

القصر الأزرق أو قصر الضيافة بالدوحة قد صمم على شكل فندق أو مساكن مؤثثة بالفرش والأسرة والدورات النظيفة والمطبخ الذي يعد الضيافة بطريقة غير الطريقة التي كانت في قصر الريان (ضيافة البدو)، والحمد لله استقر بنا المقام وكنا في راحة وطمأنينة وإكرام مدة سبعة عشر يوماً.

رئيس التشريفات هو أبو يوسف الهولي، وهو أشبه بالوزير المفوض في استقبال الضيوف وترحيلهم وصرف الإكرامية للضيوف، حاولنا التعرف على أبو يوسف الهولي ولكنه منصرف غاية الانصراف عن مثل هذين الصبيين أحسائي ونجدي، وكُل بنا إلى مساعدته يدعى بالأعضب وهو مقطوع اليد بالفعل، كان هو الذي يشرف على وجبات الطعام، ويؤكد لنا أن الضيافة لا تتجاوز عشرة أيام، في كل مرة يتصدى له صاحبي بأننا لن نغادر حتى نتسلم الشرهة من الشيخ علي أو من الشيخ عبدالعزيز، ولذا فقد امتدت إقامتنا في هذه الضيافة سبعة عشر يوماً ونحن نطالب بالشرهة وبتذاكر السفر لبلادنا، ولكن الأعضب ليس لديه أية صلاحية.

جاء دور الشعر في الاستجداء وطلب العون، وهل ستكون هذه القصيدة في الشيخ علي؛ أم الشيخ عبدالعزيز؛ أم الأستاذ الأديب أحمد بن يوسف الجابر رئيس التشريفات؛ الأول تقي ورع لا يقبل المديح، أما الثالث: فهو أديب وشاعر قد ينقد مقالاتي وشعري؛ وغير لائق أن نمدحه وهو ليس أهل المدح فهو موظف ومكلف بمهام الضيوف، لكن الشاب الطموح هو الذي يتقبل القصيد والمديح ولو اعتراه نقص أو سوء تعبير، ثم جرى القلم بقصيدة مديحاً للشيخ عبدالعزيز فهو الذي أمر بالضيافة والإكرام؛ ثم بدالي أن أكتب أبياتاً للأستاذ أبو يوسف حتى يتم صرف الشرهة.

وفيما يلي ذكر القصيدتين المشار إليهما، الأولى في الشيخ عبدالعزيز بن أحمد، والثانية في الأستاذ أحمد بن يوسف الجابر رئيس التشريفات. هذه القصيدة قلتها وأنا في قطر مديحاً للشاب الأبي الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن علي آل ثاني في ٢٠/١٢/١٣٨٠ هـ.

لم يكن في نيتي مدح لثاني

غيرك يا عبدالعزيز بن ثاني

ولم يكن من طبعي حب التواني

بشيء إذا قصدت ذو المعاني

ولم يخطر بفكري مدح شخص

إلى أن سمالي شبل الزمان

وأبصرت عيناى شبه أسد
تمثل بالكمال بذى المكاني
فخفة روحه ملكت فؤادي
رشاقة نطقه أملت بياني
فأحمد قد أجاد وجاد أب
وأنت الوتر في شتى المعاني
وأنت الفرد بعد الله فينا
لغيرك لا نبوء ولا نعياني
وإن العارفين أتوني قالوا
وحيث في الأنعام بلا تواني
فقلت الشعر من غير امتلاك
لتحسين البديع من المعاني
فيا عبدالعزيز حجزت فكري
بمدحك والثناء لآل ثاني
باسمك قد تفاءلت الشعوب
بأن الجود في ثبت الجنان

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

وأن الجود فيكم مستمراً
وأنتم أهلوه في كل آن
وأنت يا بطل العريس فينا
بمنزلة القرآن من المثاني
نحييك والترحاب منا
وشيء في القلوب بلا امتنان
فأهلاً أنت لكل مدح
ولا يخفى لشمس من عنان
فهذا من مديحي وليس قصد
لشيء في القصيدة قد دعاني
تعلقنا على هذا أن هذه القصيدة قلتها في زيارتي لقطر، وقد قام
الأمير الشاب بإكرامي وإنزالي في ضيافة الحكومة مدة إقامتي في قطر خمسة
عشر يوماً، أعدت نسخها للذكرى في سجل التاريخ.
كتبت بهذه القصيدة للأديب الأستاذ أحمد بن يوسف الجابر رئيس
التشريفات لحكومة قطر، قلتها وأنا في ضيافة الحاكم الشيخ علي بن عبدالله
آل ثاني وفي ذلك في ٢٠ / ١٢ / ١٣٨٠ هـ.

نرجي عسى فتحاً من الله قدرا
وما غيره يفتح إذا الأمر أعسرا
فقد طال هذا المكث من غير جدوة
ونحن كما طير بفخ تدهورا
فما قصدنا بذل السخا من ذوي الندى
جزى الله عنا آل ثاني وأكثر
فقد ذاع صيت الجود من دوحة الندى
وحج له جواً وبراً وأبحرا
فلا فضلهم ينسى ولا جودهم يخفى
ونشكرهم سراً ونشكرهم جهرا
أبا يوسف لا تعجب من تعجلي
فقد طال هذا المكث والهـم أسهرا
وإني وما كنت بالشعر أبتغي
ولو كان ذا ساغ الشراب وأجدرا
أخي إنها من وصمة الدهر والأسى
إهانة طلاب العلوم كما ترى
ونحن ولا فخر لنا الأسوة التي
ترقى بها جد وعم وأشهر

ونبني كما بنوا ونعلوا كما علوا
بآداب دين والسماحة أثرا
إليك قصيدي لا أقول تكلفاً
ولكنه عفو الخواطر إذ جرى
سأذكر من أفعالك الغر لأخوتي
فيثنوا كما أثنت سراة لمن سرا
ولي جفوة منها استعاذ ذو التقى
وحتى شرار الناس منها تسترا
فيا لائمي دعني فذا من سجيتي
ولا الطبع في مر الزمان تغيرا
فكم طفت في أرض وكم شربت في يدي
حوادث دهر والمعاش تكدرا
فلم أترعزع عن شرفي ولا
أساير أبناء الزمان لأتجرا
أودعك الله فاسمع نصيحتي
لما كان من شعري وللنقص فأعذرا

بضاعتي مزجاة بذى الفن بل ولا

أحيط بما قد حاط من لي تفاخرا

في قطر ثلاثة يُذكرون ولا يُنكرون:

١- الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، من مواليد عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٠هـ، طوح في الديار لطلب العلم، وله مشايخ كثر في الشام والعراق، تولى القضاء في قطر في عهد الشيخ عبدالله بن ثاني عام ١٣٣٩هـ، وعاد للمملكة بأمر من الملك عبدالعزيز ليكون منظماً للتعليم، وكان مديراً عاماً للتعليم في المملكة، والشيخ بن مانع يجمع بين الفقه والإدارة، طلبه الشيخ علي بن عبدالله بن ثاني عام ١٣٧٥هـ، ليكون بجواره مستشاراً شرعياً ومعلماً في مجالس الشيخ علي مدارسته، فكان كما طلب حاكم قطر، قد عاش معه وبمعيته حتى عام ١٣٨٥هـ - رحمه الله -، والشيخ له يد طولى في طباعة الكتب المختارة من كتب المذهب على نفقة حكومة قطر، جزاهما الله خيراً.

٢- الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس محاكم قطر وتلميذ الشيخ محمد المانع، برزت شخصية الشيخ ابن محمود بما ألفه من كتب وما أظهره من اجتهادات واختيارات؛ كان محل البحث والنقاش بينه وبين علماء

الرياض، والشيخ عبدالله يتقد ذكاء وفطنة وله أسلوب بارع في الخطابة والكتابة، وإن غلب عليه السجع غير المتكلف؛ يعتبر الرجل الثاني في قطر من العلماء.

٣- قاسم فخرو الدرويش، ومن أعيان قطر ومن طلاب الشيخ ابن مانع، له دور هام من حيث التعريف بالدوات والأشخاص الوافدين إلى قطر، بل له ضيافة يستقبل فيها كما تستقبل حكومة قطر، وفي مجلس عام من مجالسه تحدث عن خلاف وقع بينه وبين رئيس محاكم قطر في أرض بساحل البحر دفنها ثم عمرها، وانتهت القضية بمراجعة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية حيث اعتذر سباحته عن الإفتاء بوجود الشيخ محمد بن مانع في قطر، قال الدرويش: وقد أفتى الشيخ محمد بن مانع بجواز الإحياء والتملك الشرعي للأرض المذكورة.

الرحلة الثانية إلى قطر

مضت الأيام والسنون، وفي عام ١٣٩٠ هـ عدت إلى قطر في جملة المرشدين والدعاة، وكررت زيارة قطر في كل صيف نجوب قراها وشواطئها في المساجد والمدارس والأندية؛ بمعية من المشايخ والعلماء من المملكة العربية السعودية، وقد انتفعنا ونفع الله بنا إن شاء الله، ولننا كل تجاوب ومحبة من أهل قطر ومن مشايخ آل ثاني جزاهم الله خيراً.

في خيمة بدوي:

في أثناء الجولات ظهر لنا خيمة وبها بدوي قد اتكأ على شداده؛ وأوقد نار قهوته لوحده في هذه الخيمة أو الشراع، دلفنا إليه وبدأناه بالسلام؛ فرحب وهلل وتشرف بالزيارة في خيمته في هذه الصحراء التي قل من يغشاها من المارة أو الغرباء؛ سألناه وسألنا وتبادلنا التعارف فقال: قصتي أنا شاعر نبطي ولي قصائد في كل الملوك: عبدالعزيز وسعود وفيصل وكلهم كافؤوني إلا فيصل؛ أما آل ثاني فأنا ربيب نعمتهم تفضلوا علي وجادوا، وهذه الخيمة لم أمكث فيها عن حاجة وعوز ولكنها هوايتي وطبيعتي البدوية، أنا متزوج من مصر، وكذلك ولدي، ونسكن فلة خضراء بها الحدائق، ولكنني لا أرتاح إلا في هذه الخيمة.

حدثنا الأعرابي عن قصة زواجه في مصر، قال: ذهبت إلى مصر وأنا لا أعرف أحداً؛ فوجدت جندياً وسيماً، فحدثتني نفسي لو كان لهذا أخت لخطبتها، فتقدمت له وعرفته بأنني من أهل قطر ومن أخويا الحاكم وجئت أبحث عن زوجة، وقد توسمت فيك الصديق فهل لك أن تساعدني على طلبتي، قال الجندي: أنا أدلك على من يلبي طلبك إن شاء الله، قال: فتواعدنا بعد نهاية نوبته أن ينطلق بي حيث شاء وأراد للغرض المشار إليه.

في بيت العروسة:

انطلقنا سوياً حتى أتينا إلى حي من أحياء القاهرة فأشار إلى شقة وقال: عليك أن تقرع بابها وتطلب مقابلة صاحب الشقة وتعرض عليه حاجتك؛ ولا تخبره أنني أتيت بك إلى هنا، قال: ففعلت وفتح لي غير أنني لم أجد رجلاً، وطلبوا دخولي إلى حين مجيء صاحب الشقة، وبعد فترة قصيرة دخل رجل على أكتافه نجوم ثلاثة (ضابط كبير) أجمل ممن رأيت، وبعد التعريف عرضت عليه حاجتي فرحب وهلل وقال: ستقضي حاجتك؛ وموعده غداً في وقت حدده لي، وفي الوقت المحدد عدت، فإذا هو جمع ما يزيد على ثلاثين امرأة منهن فتيات ومنهن كبيرات، فدعاني وقال: انظر من تشاء، قال: فخجلت واعتذرت من هذا العرض وقلت له: أنا قصدتك ولم أرد غير ما تختاره لي من أقاربك، قال: فدخلنا داخل المنزل وأتت امرأتان وقال: اختر أيهما، هاتان من أقاربي، قال: فخجلت وقلت:

هن يخترن؛ من يختارني أختاره، قال: فرفعت إحداهن يدها وقالت: أنا أريده، قال: فقلت: والثانية تكون لولدي.

بقينا مع هذا البدوي وهو يحمس قهوته ويدقها ويسقينا فترة ما بين العصر إلى المغرب، وجاء دور الشعر فقلنا له: حدثنا عن قصائدك ومواقفك مع الملوك، فكان موسوعة شعرية نبطية أعطاها الله من الذكاء والفطنة والفصاحة ما يستدر به عطف الملوك؛ بحسن منطقته وبساطة مظهره ولباقته في المدخل؛ البدوي المذكور من آل مرة كما ذكر لنا، وهم يكثر في قطر كما يكثر في قطر بنو هاجر والمناصير، ودعناه ونحن في شغف ورغبة في تكرار الزيارة وفي هذه الخيمة، ولكن كانت هذه الزيارة وداعاً أخيراً ولم نره بعدها.

في قرية الوكير:

حيث يسكن آل عبدالرحمن من آل ثاني لغرض الدعوة والإرشاد، ذهبنا إلى الوكير والوكرة لنصلي صلاة المغرب هناك، وبعد أداء الصلاة تقدمت بإلقاء الكلمة بعد صلاة المغرب في مسجد يغص بالمصلين إلا أن في آخره ضوضاء الأطفال والشباب المراهقين، كان مزعجاً وغير مؤديين في أداء الصلاة في المسجد، مما جعلني أضع موضوع الكلمة في الأدب وحسن أداء الصلاة، وقد اتفقت مع صاحبي على أن ننصرف فوراً وهم منشغلون في أداء السنة حتى لا يلزمونا بالدعوة إلى العشاء والمكث عندهم وفعلنا،

ولكن ما كدنا نصل إلى الخط لنستوقف سيارة الأجرة حتى لحق بنا من يقول: على هونكم على هونكم، الشيخ يقول: ارجعوا للعشاء، فاعتذرنا، وألح علينا حسب ما أمره به الشيخ، فامتنعنا عن العودة، وعاد وأخبر الشيخ بأنهم لم يقبلوا.

وفي وقتنا وبعد دقائق لحق بنا الشيخ سعود بن عبدالرحمن بن ثاني حتى وقف بجوارنا وقال: تفضلوا اركبوا، وكأنه أمر لا خيار فيه، ثم ذهب بنا إلى قصر من قصور أعمامه وفيه العشاء بحضور جمع كبير من البادية، وبعد العشاء استأذنا في الخروج غير أن الشيخ سعود بن عبدالرحمن أمرنا أن نصحبه إلى بيته ففعلنا.

أخذ معنا في الحديث، من أين؟ إلى أين؟ وأخبرناه بمهمتنا فشكر لنا، وبعد شرب الشاهي والقهوة استأذنا في الانصراف فأذن لنا وقال: نوصلكم إلى الدوحة، وتقدم لنا بإعطائنا ظرفين مختومين لا ندرى ما بهما، غير أن صاحبي اعتذر عن قبول مثل هذا فقال الشيخ: نحن نهدي لزوارنا وإخواننا، ولو من آل ثاني مثل هذا، فاقبلوها منا هدية لا صدقة، فأقنعت صاحبي بقبول الطرفين، وتم ذلك بحمد الله شاكرين له.

رحلة دعوية في قطر

الحمد لله وحده: كانت الزيارة لقطر من ٥ / ٥ حتى ٥ / ٢٦ عام ١٣٨٩ هـ حيث أقمنا بها إحدى وعشرين يوماً مارسنا خلالها النشاطات الممكنة، وقد ركزنا على الزيارات الشخصية؛ ومحور الحديث الدعوة والدين؛ كما قمنا بجولات شاملة على أكبر عدد من المساجد لإلقاء المواعظ فيها؛ وقد أتيح لنا الصلاة والخطابة يوم الجمعة بدلاً من الأئمة الرسميين؛ وقد لمسنا بهذا أننا قد أدينا بعض المجهود مع ضيق الوقت وقلة الأنصار؛ ومن برامج الزيارات التي قمنا بها ما يلي:

١- زيارة الحاكم الشيخ أحمد بن علي آل ثاني وذلك لمرة واحدة؛ وكان ذلك بتعريف من الأستاذ عبدالبدیع صقر مدير المكتب الثقافي بالقصر.

٢- الشيخ أحمد بن قاسم آل ثاني في الغرافة بين الدوحة والريان.

٣- آل عبدالرحمن في الوكير؛ وقد التقينا بالشيخ حسن وعبدالرحمن بن سعود آل ثاني وكانت لقاءات موفقة ولها وقع في نفوسهم؛ وعلى وجه العموم لمسنا منهم حب الدين وإقام الصلاة وتقديراً لأهل العلم؛ إلا أن تلقينهم الدين فطري ومن غير دراسة ولا تعمق في مفاهيم الإسلام؛ لذا فإن من السهل أن يذوبوا في المجتمع الجاهلي وأن يتأثروا بمن حولهم؛ ولا زالوا

يعشقون البداوة وحب الجمل؛ وجل من حولهم من بادية آل مرة وقليل من الهواجر والدواسر.

٤- كما قمنا بزيارة العلماء الشيخ عبدالله بن محمود؛ والشيخ أحمد بن حجر؛ والشيخ عبدالله الأنصاري؛ والسيد طه أحمد الحسيني؛ وهؤلاء الأربعة هم المشار إليهم كعلماء يحملون مسمى العلم ويمثلون القيادة الدينية في قطر؛ وقد جرى الحديث معهم في أكثر من مناسبة حول ضرورة القيام بالدعوة وملء الفجوات في نفوس الشباب.

٥- وزارة المعارف استخلصنا منها بعض المعلومات عن المناهج وسير الدراسة في المواد الدينية وبعض معلومات عامة عن التعليم.

٦- المحاكم الشرعية، وهي محكمتان الكبرى وبها فضيلة الشيخ عبدالله بن محمود؛ جهاز مستقل ويتبعها إدارة الأوقاف؛ وشؤون المساجد في قطر، والصغرى وبها فضيلة الشيخ أحمد بن حجر، والظاهر أنه ليس بينهما ترابط في الإدارة والتنظيم ولكن الكل يحكم بما يحال عليه من قبل المحكمة العدلية التي يرأسها الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد ونائب الحكم.

٧- دار الكتب التي تعتبر المأثرة لآل ثاني لإحياء التراث الإسلامي وتوزيع ذلك مجاناً؛ والمشرف العام هو الأستاذ عبدالبديع صقر ولها بناية ضخمة وجهاز مستقل.

٨- عرجنا على القرى التالية وألقينا فيها مواعظ، وهي الخور والريان والغرافة والوكرة والوكير ودخان وأم سعيد؛ وهذه أهم مدن وقرى قطر، والمنطلق لهذه القرى الدوحة العاصمة المعمورة وعلى ضوء ما عرضناه فإننا نحصر الحديث في أربع نقاط، وعليها يدور فلك الأعمال وبها يعرف جوانب الإصلاح وهي:

- آل ثاني الأسرة الحاكمة.

- العلماء القضاة ومن يحاكيهم في المظهر والمخبر.

- الشباب يدخل فيهم عمال الشركة والمدرسون والطبقة الواعية

فيهم.

- السواد الأعظم: أعني عامة الشعب ما سوى الأصناف الثلاثة؛

والحديث عن هؤلاء الأربعة حول نقاط الضعف التي قد تكون حجر عثرة في سير العاملين، أو تكون سبب هزيمة للمقومات الدينية في المجتمع؛ وقد تحرينا في ذلك كل ما هو صحيح وواقع، ولا نزكي على الله أحداً والله المستعان.

أ- آل ثاني وعلماء رأسهم الحاكم وأسرته القريبة يحكمون البلاد

حكم قبلي؛ جرياً على ما هم عليه قبل موارد الثروة وعجزاً منهم عن إدارة الأعمال وفق مقتضيات العصر ومتطلباته؛ ولم يتجه آل ثاني للإصلاح الجذري لا في نظام الحكم ولا في المقومات المعنوية؛ حتى في صفوف

شبابهم فضلاً عن الشعب أو رجال العمل؛ وقد لمسنا تدمراً يبدو من فلتات الألسن على نظام الحكم القائم؛ وخاصة التصرفات في موارد البلاد بما لا يتفق مع مصلحة الجمهور، والأنانية الكاملة من آل ثاني، واعتبار غيرهم أمراً ثانوياً؛ وهذا شيء مؤذن بخطر، وأخذ في التزايد وليس له من مقاومة غير التسليم المطلق لما تجري به الرياح؛ ويكثر الحديث عنهم في الخلافات الجزئية بينهم وانقسامهم على أنفسهم وما يملكه كل منهم؛ سواء كان في قطر أو خارجه وتكاليف القصور المترامية الأطراف بالحدائق الغناء ووسائل الراحة؛ ورغم هذا فإنه لم يطرأ إصلاح وتجديد حول رغبات الشباب مما قد يخفف من سورة الغضب عليهم؛ اللهم إلا في مجال الترفيه وعدم الرقابة الجادة على وسائله.

ب- العلماء: وهم أقل من عدد أصابع اليد الواحدة وعلى رأسهم فضيلة الشيخ: عبدالله ابن محمود القاضي الشرعي الأسبق؛ بعيد عن إدراك تطورات العصر؛ عندما سألناه عن النوادي الرياضية في قطر ومدى صلاته بالشباب أجاب: بأن هذه النوادي شر محض؛ ونحن نطالب بإغلاقها وعدم السماح بتجمعات الشباب؛ إلا ما شرع فيه التجمع كدور العلم والمساجد؛ وهو بهذا يطلب محالاً ويسعى لمعدوم؛ كما ذكر لنا عنه أنه إلى عهد قريب لا يصدق بخبر الهلال إذا كان مصدر الخبر من الإذاعة؛ هذا نموذج من جموده وعدم اعتداده بكل ما هو جديد وصالح؛ ولكنه في مجالسه عالم فقيه يمثل

الطبقة الأولى من علماء نجد وصالحيتها؛ وللناس عليه مأخذ قد يكون أكثرها ناتج عن سبب طبيعة العمل؛ ولأن هنا من يسخط بعد سقوط الحكم على خلاف ما يهوى وعلى العموم فهو رجل فاضل من الطراز الأول؛ له ما كسب وعليه ما اكتسب.

ج- الشيخ أحمد ابن حجر: مطلع ويريد أن يفهم كل شيء على وجهه الصحيح؛ ويقتني كل كتاب يصدر مما جد من الكتب الإسلامية؛ إلا أنه انزوائي لا يختلط بأحد ولا يعمل في غير وظيفته؛ لعل ذلك ناتج عن شعوره بأنه ضعيف في البلد وليس من أهل البلد الأصلي، أو أن ظروف عمله تقتضي ذلك.

د- أما العالم الثالث فهو الشيخ: عبدالله الأنصاري قطري المنشأ والولادة؛ وهو عالم فاضل غيور يتشبت بالدعوة ويقوم على تغيير المنكرات؛ وهو يقوم بإدارة الشؤون القروية؛ وقد كان له كلمة مسموعة لدى الحاكم، ولكثرة ما يراجعهم في انتشار المنكرات فقد خفت كلمته وضعف جانبه؛ إلا أن له شعبية ومحبة عند الناس، وهو على ما يظهر من الرجال العلماء والقائمين بأمر الله؛ وله ابن شاب صالح خريج الجامعة الإسلامية يرجى له مستقبل حسن وتوفيق من الله.

هـ- أما السيد أحمد طه الحسيني؛ فقد قدم قطر منذ عشرين سنة كما قال بعد جولاته في الحجاز والظهران؛ وقد استقر به القرار إذ عينه الشيخ

علي بن عبدالله الحاكم الأسبق إماماً وخطيباً لمسجد جامع أم سعيد؛ وهو أزهري، وقد شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م كما يقول؛ يحسن الوعظ والخطابة الارتجالية وهو على جانب من الدين وحب الخير والعطف على الغرباء وخاصة جماعته اليمنيين الشماليين؛ ورغم أن وظيفته مرشد فهو لا يقوم بغير الخطابة في المسجد يوم الجمعة؛ ومن حيث المعتقد فقد ذكر لنا عنه أخطاء عقائدية، والظاهر أنه لا يعدو أن يكون أشعرياً في الصفات؛ وله حديث في السياسة وإطلاع على الأنباء العالمية وتتبع السياسة العربية؛ وهو يميل حيث القوم مالوا؛ هؤلاء هم العلماء لنستطيع أن نقول من خلال ذلك: إن قطر قفر من العلم والعلماء صفر اليدين في التوجيه الديني؛ وكلهم سوى الأنصاري وافدون إلى قطر.

الشباب ومن في حوزتهم من مثقفي عمال الشركة خريجي المدارس ومن يدعون بالطبقة الواعية إذا صحت التسمية.

قطر في سطور:

- ١ - تعداد السكان ثمانون ألف نسمة في الدوحة سبعون ألف.
- ٢ - تعداد المساجد ٣٦٠ منها ٢٤ جامعاً.
- ٣ - القضاة الشرعيون والقاضي المدني واحد نائب الحاكم.
- ٤ - المدارس الابتدائية ٧٤؛ والمتوسطة سبعة؛ وثانوي عام اثنين، مهني اثنين، ثانوي معلمين اثنين، المجموع ثمان وثمانون مدرسة في جميع المراحل.

- ٥- لا يوجد غير وزارتين المالية والمعارف.
- ٦- أسرة آل ثاني يتجاوزون ستمائة رجل.
- ٧- تكثر النوادي الرياضية غير الثقافية سوى نادي الشركة.
- ٨- تعرض أفلام سينمائية وبشكل غير رسمي وبكثرة.
- ٩- تعتمد قطر على المملكة في كثير من الواردات الاقتصادية.

الخاتمة: قد يلاحظ في التقرير ذكر الشخصيات والتعرض لأسرة الحكم وهذا الشيء نراه ضرورياً لزاوية البناء؛ حيث صار أغلب الفساد من جهتهم، فهم أيضاً عوامل إصلاح متى استخدموا لذلك ولم يكن القصد التشويه والتشهير بنقاط الضعف؛ ولكن ذلك جاء للمصلحة؛ هذا وقد أغفلنا كثيراً من المشاهدات والأعمال التي قمنا بها بغية الاختصار ولعدم أهمية ذلك في مجال العمل المستقبلي؛ والله ولي التوفيق.

حرر بتاريخ ١٠/٦/١٣٨٩هـ

حضرة الأستاذ الجليل عمر تهاني ناجي مختار سلمه الله وعافاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وقع في يدي كتابكم (تحفة الودود) في ترجمة علامة قطر عبدالله بن زيد آل محمود؛ وهو البحث الفائز بجائزة المسابقة الأولى عام ١٤٢٣هـ. نهنتك لهذا التوجه إبراز الأعلام وترجمة علماء الإسلام فإنهم القادة والمثال للاقتداء والتأسي، والعلامة الشيخ عبدالله من أفذاذ العلماء ومن له

الصدارة في العلم والقيادة مع شرف النسب وطيب المحتد؛ إذ يتسبب إلى البيت الشريف وهو داخل إن شاء الله فمن دعا للنبي - صلى الله عليه وسلم وآله - وقد عرفت الشيخ مثل ما يزيد على أربعين عاماً بل بالتحديد عام ١٣٨٠ هـ ومن بعد هذا التاريخ تكررت زيارتي لقطر في زيارة شخصية وأعمال رسمية؛ منها القيام بالدعوة إلى الله في مناطق الخليج عام ١٣٩٥ هـ وما بعده؛ وكان يصحبني في هذه المهنة أخونا الدكتور سعود الفينسان وجرى اللقاء بالشيخ مراراً وتكراراً ولذا كتبت عنه ضمن من كتبت في كتابي: (أعلام وعلماء عايشتهم) وأوضحت بعض ما يجب له من الإكرام والتقدير وما هو عليه من مكانة علياء ومقام أسمى؛ وهو يستحق الإكثار، فمناقبه عديدة ومساعيه حميدة؛ لا سيما وأنه قد أمضى حقبة من عمره في خدمة الدين والدولة في المملكة وفي قطر فهو بحق زعيم ورائد ومصلح ومجدد يغفر الله له؛ وبعد الاطلاع على كتابكم (تحفة الودود) وبالأخص ما أوردتم في صفحة ٩٢ مما نقلتموه عن الدكتور محمد الشويعر وما قاله الشيخ زهير الشاويش؛ وما قاله إسماعيل بن عتيق؛ كان بودي قبل تحرير ما كتبتم الاطلاع على كتابي (تاريخ من لا ينسأه التاريخ) بدون قراءة جمل مقطعة ونقل ليس فيه توضيح؛ كما وددت أنكم اطلعتم على فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم؛ وبالأخص الجزء الخامس وفيه كتاب الحج الذي ضمنه الرد على الشيخ عبدالله بن محمود؛ وقد ذكر سماحة المفتي في فتاويه أن

الشيخ عبدالله بن محمود أطلعه على كتابه بعد أن نشره ووزعه وطبع منه الألو ف فرغب من سماحته إعطاء رأيه في الكتاب؛ فعجب الشيخ المفتي كيف يطلب رأيه وقد وزع الكتاب في الداخل والخارج؛ ثم إن سماحة المفتي هم بالرد عليه غير أنه رأى إبلاغ ولي الأمر الملك سعود عن هذه الرسالة وما كتبه الشيخ ابن محمود في مناسك الحج مناهض لما عليه العمل؛ قال الشيخ: وبعد مدة ليست بالطويلة؛ حضر ابن محمود الرياض وجرى البحث معه في ما كتبه بحضور بعض المشايخ والإخوان؛ فأظهر الشيخ ابن محمود الندم والتوبة والرجوع عما قاله وكتب هذا بقلمه؛ قال المفتي: فحمدنا الله على توبته وإنابته؛ إلا أنه رغب أن يكتب كتاباً فيه تفصيل وتوضيح يناقض ما كتبه في المناسك؛ فكتب ابن محمود كتاباً آخر ووعد بإعداد كتاب ينقض ما كتبه في الكتاب الأول؛ ونص الرسالتين من الشيخ عبدالله بن محمود مضمنة في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم بنصها وفصها؛ ثم ذكر سماحة المفتي أنه مضى زمن ليس باليسير ولم يف الشيخ عبدالله بوعدته وتوبته ورجوعه؛ فلذا قام الشيخ محمد بن إبراهيم بكتابة الرد؛ وما نقلته عن الشيخ زهير أنه لم يتراجع عن رأيه فعل هذا أخذاً بما استقر عليه رأي الشيخ في عدم الرجوع بعد ما استقر في قطر وابتعد عن المحاسبة والمناقشة؛ وفي ما نقله الدكتور محمد الشويعر: (عني لم يكن الشيخ محمد صاحب قلم وردود على أحد) العبارة فيها نقص كثير؛ إذ أنني عللت هذا

بعلل منها: انشغال الشيخ في التعليم قرابة خمسين عاماً؛ وقد يكون في المردود عليه شهرة وإثارة لشبه مغمورة؛ كما ذكرت أن السلطة إذا كان لها يد في الاصطلاح فهو أولى من الردود التحريرية، وذكرت ثلاثة أمثلة وهي أن الشيخ: عبدالرحمن بن سعدي ألف رسالة ذكر فيها أن يأجوج ومأجوج هم الصين؛ فاستدعي إلى الرياض من عنيزة بحضور الملك عبدالعزيز وجمع من العلماء؛ فرجع الشيخ عما رآه وذكر أن الكتاب لم يطبع وإنما هو رسالة مخطوطة؛ وإذا يرى العلماء خلاف ذلك فلإني لا أخالفهم؛ والمثال الثاني الشيخ: عبدالله بن محمود حينما ألف رسالته في الحج استدعي في مجلس الملك سعود وبحضور العلماء وجرى ما جرى مما ذكرته؛ أما الثالث فهو ما كتبه الشيخ: سليمان بن حمدان في عدم جواز نقل مقام إبراهيم من مكانه توسعة للمطاف؛ فسماحة المفتي رد على ابن محمود وعلى ابن حمدان؛ أما ابن سعدي فلم ينشر كتابه إلا بعد وفاته.

وقد ورد في كتابكم عبارة المناظرة بين الشيخ عبدالله وعلماء الرياض؛ والصحيح ألا مناظرة ولا جدل؛ وإنما هو بحث ومذاكرة؛ فالشيخ عبدالله يعتبر من رعايا السعودية مولداً ونشأة وتعليماً وعملاً؛ كما أن تواصل الدولتين السعودية والقطرية إلى عهد قريب تواصل محبة وإخاء ووفاء؛ بحكم التوجه العقدي والمذهب الفقهي وصلة الأسلاف بين آل سعود وآل ثاني؛ وبهذه المناسبة فإنني أذكر لك أنني كنت في مجلس الشيخ علي بن

عبدالله بن ثاني حاكم قطر آنذاك وهو في لبنان بعالية (الجبيل)؛ وقد جاء الخبر بدخول شهر رمضان في المملكة؛ غير أن الشيخ عبدالله بن محمود لم يعلن دخول شهر رمضان حسب رؤية المملكة، فأمر الشيخ علي أن يبرق لابن محمود بدخول رمضان؛ وقال: نحن تبعاً للسعودية في القديم والحديث.

هذا وفي الختام أشكر لكم زيارتي في منزلي المتواضع بصحبة الأخ الأستاذ عبدالإله الشايع بعد عصر يوم مبارك؛ كما أتمنى لكم التوفيق والتسديد في توجهاتكم إبراز العلماء والأعيان؛ ولا يكون هدفكم نيل الجائزة فتحملكم على التصنع والمجاملة فإن الحق عليه نور فاصدقوا الله يصدقكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم:

إسماعيل بن سعد بن عتيق

وممن عرفت في قطر

الشيخ عبد الله بن زيد ابن محمود

علامة قطر ورئيس قضاائها ينتسب إلى البيت الشريف آل النبي ﷺ

كانت ولادته في حوطة بني تميم، وتعلمذ على علماء الرياض، وطلبه آل ثاني حكام قطر ليكون مفتياً ومعلماً فكان كذلك، فقد أكمل دراسته على العلامة الكبير الشيخ محمد المانع.

وفي عام ١٣٨١هـ كان لقائي بالشيخ عبدالله بن زيد ابن محمود في الدوحة عاصمة قطر، حيث كنت ضيفاً على حكومة قطر، والتقيت بالشيخ عبدالله في منزله وفي مكتبه حينما كان رئيساً للمحاكم الشرعية، وقد أكرمني وزاد في إكرامي حيث كان ممن يعتز بضيافة الأضياف، وبالأخص من يقدم عليه من جنوب الرياض، ولقد رأيت في الرجل حب الزعامة والقيادة والظهور على أضداده وأنداده، بارع اللسان، ساطع التبيان، جهوري الصوت مع دقة في صوته، ولكنه يرفعه ويعليه، رأيته وهو يملئ على كتبه وموظفيه بصوته العالي ويكرر ما يملئ به حتى يكاد يحفظ من كثرة ترداده، وذلك للتأكيد على كتابة ما يقوله وتحضيره.

بلغ الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود السؤدد والمنتهى عند أهل قطر وبالأخص آل ثاني وأعيان البلد، وقل أن يصدر أمر فيها يخص الدين إلا وللشيخ عبدالله رأيه المقدم فيه، كما كان يصلح ويتدخل في شؤون الأسر

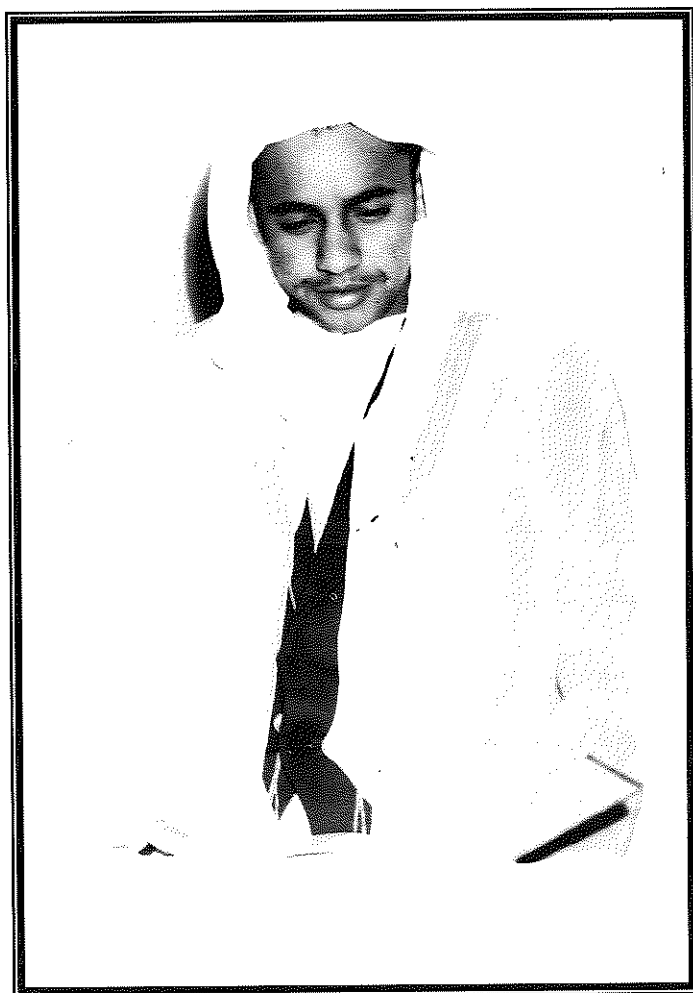
والقبائل إذا لم يجر الأمر مجرى الحكم الشرعي، وقد ألف وكتب في مسائل اتفق عليها أو رآها علماء المملكة في مثل ما كتبه في جواز رمي الجمرات قبل الزوال في أيام التشريق، ومثل ما رآه في مدائن صالح من أنه لا حرمة لها ولا بأس من السكنى فيها، وفي أشياء كثيرة رد فيها على العلماء، وكانت بينه وبين الشيخ عبدالعزيز بن رشيد تبادل ردود، وأخيراً ألف كتاباً عنونه بقوله (لا مهدي يُتَظَر بعد خير البشر) رد عليه الشيخ حمود ابن عبدالله التويجري في مجلد، وكان سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم رد على المحمود في المناسك رداً قوياً، لأن الشيخ عبدالله بن محمود وعد بالتراجع عن ما قاله فلم يفعل.

تكررت زيارتي لقطر وفي كل حين أتوجه إلى منزل الشيخ أو مكتبه للسلام عليه، فأجد الترحيب والإكرام، وهو لا يضيق ذرعاً بالضيوف ولكنه يفتح صدره، ويُسر بمن يقدم عليه، وقد أوسع الله عليه بدنياء، كما أن في ذريته من خلفه في رئاسته المحاكم الشرعية وهو ابنه الأزهري الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله ابن محمود.

حدثنا قاسم درويش فخرو وهو من تجار البلد وأعيانها، قال: كنت دفنت ساحل البحر فأقمت عليه البناء، وكنت بهذا قد أحييت أرضاً ميتةً بالدفن والبناء، إلا أن الحكومة اعترضت عليّ ورفعت ضدي قضية لدى الشيخ عبدالله ابن محمود، قال: فحكم عليّ الشيخ عبدالله بأن أرفع يدي واعتبر ما فعلته تعدياً على الأرض الموات، ولكنني راجعت الشيخ علي بن

عبدالله بن ثاني الحاكم في وقته، وطلبت منه أن يأذن لي باستفتاء الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية، أو يطلب الشيخ محمد المانع بأن يعطي رأيه في المسألة، قال الشيخ قاسم درويش: فطلب الشيخ علي بن ثاني من الشيخ محمد المانع وكان آنذاك جليسه وأنيسه فاعتذر الشيخ محمد المانع عن الفتوى، ولكن أنا أكتب للشيخ محمد بن إبراهيم في الموضوع فكتب للشيخ محمد بن إبراهيم فكانت الإجابة أنت والد الجميع ولا يمكنني أن أفتي في بلد وأنت فيه. قال: وكلف الشيخ محمد بن مانع أن يفتي في المسألة قال: فأفتى بما هو في صالحنا.

وأخيراً فإن الشيخ عبدالله يُعد الشخصية العلمية البارزة لا منافس له، ولوجود بعض العلماء كالشيخ أحمد بن حجر بن طامي، والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ عبد المعز وغيرهم كثير إلا أنهم يتقاصرون عن الشيخ عبدالله بن محمود لطول باعه العلمي، وصلته بالأفراد حكام البلد وأعيانها، وما امتاز به الشيخ عبدالله من كرم وسخاء وحدة وذكاء وفطنة يعرفه القاضي والداني، يشفع لذلك مركزه بصفته رئيساً للمحاكم الشرعية تصدر منه الأحكام فيجري تنفيذها، وكان الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد في وقته هو الآخر يقضي في بعض ما يرفع له ويعطي فيها أحكاماً مدنية بمشورة من حوله من قضاة القانون. والله أعلم.



إسماعيل بن عتيق في قطر

(٧) سلطنة عُمان

ما كادت مشكلة البريمي تنتهي ويتم تسوية الخلاف مع المملكة العربية السعودية وأبو ظبي وعمان حتى تنبّهت الجهات الدعوية في المملكة بضرورة اللقاء وتبادل المعارف، ولا سيما وعمان يدين أهلها بالمعتقد الأباضي.

كلفتم مع زميل لي من العلماء للشخصيات هناك عام ١٣٩٣ هـ لاختيار الأرضية وإعطاء فكرة عن مشروع إقامة عمل إسلامي دعوي يتجه إلى تخفيف الفوارق بين الدعوة السلفية وما عليه الجماعة الأباضية. كان طريقنا على دبي حيث بقينا خمسة أيام ننتظر الفيزة أو تأشيرة الدخول إلى عمان رغم تدخل السفارة في دبي ورغبة السفير السعودي في عمان الملحة في تواجدها قبل بداية شهر رمضان حتى يكون لنا دور إرشادي بمناسبة الشهر الكريم رمضان، وبعد حصولنا على التأشيرة ((سمة الدخول)) لعمان كان وصولنا إلى مطرح حيث المطار، ومطرح مجاور لمسقط العاصمة.

كان السفير آنذاك الشيخ صالح الصقير، وقد بذل كثيراً من التسهيلات لمقابلة بعض من الشخصيات؛ وبالأخص وزير الداخلية والخارجية ومفتي البلاد ورئيس علمائها الشيخ الخليلي، لقد أثلج الصدر وفتح باب الأمل حينما تبلغنا أن الحاكم السلطان قابوس قد أمر بإقامة

الجمعة في المساجد بخلاف ما عليه مذهب الخوارج أو الإباضية، وهو أنه لا تقام صلاة الجمعة إلا في خمسة مساجد، كما هو في عهد عمر - رضي الله عنه -، وهي الحَرَمَان والقدس ونزوى والشام، وهي في زعمهم الأمصار الرئيسية وغيرها لا تجوز إقامة صلاة الجمعة فيها.

كذبة سياسية:

ونحن نتجه إلى مكتب وزير التعليم ثم مكتب وزير الخارجية، تأخرنا عن مواعده عشر دقائق ونحن بمعية السفير صالح الصقير، فقال الصقير مداعباً: سنكذبها كذبة سياسية عن تأخرنا في الموعد؛ وفور السلام على الوزير والتعريف قال الصقير: نأسف عن التأخر حيث كنا في الميناء لنرى السيارات القادمة هدية من وزارة التعليم في المملكة إلى أشقائهم في عمان وعددها مائتي سيارة، أراد السفير بهذه الكذبة شيئين: الإخبار بوصول السيارات والاعتذار عن التأخير، وهو كاذب فيما قال، فلم نر السيارات ولا المرفأ ولكنه تحقق من وصولها فأخبر بها من غير مباشرة.

ومن الجدير بالذكر أن سفيرنا المحترم العبقري في سياسته وأسلوبه قد باشر أعماله السياسية في كثير من الدول: الهند والعراق، وأخيراً قابلته في تركيا وحدثته عن الكذبة السياسية في عمان؛ وأخوه الدبلوماسي الفاضل الشيخ علي الصقير الذي زاملناه في نيجيريا عام ١٩٨٧م، والآخرون له سمة العقل والسمت والدين والسخاء، كثر الله أمثالهما.

بقينا مع الوزير العماني فترة دقائق لنخبره بالمهمة فرحب وقال:
الإعلام في خدمتكم، وأين الإعلام آنذاك ليس سوى خيمة منصوبة في
البرية وفيها الأجهزة الصغيرة البدائية هي نواة الإعلام العماني، ومع هذا
فقد تهيأت لنا أسباب التحدث في هذه الإذاعة المحدودة الصغيرة، وكانت
المواضيع حول بعض الشبه التي تزخر بها حضارة الغرب وموقف الإسلام
منها كالاختلاط وتعدد الزوجات والمواريث إلى غير ذلك.

مع الشيخ الخليلي وعلماء مسقط:

اتسمت زيارتنا للعلماء بالمجاملة وعدم الخوض في الخلاف، حيث أن
الخلاف السياسي قد انتهى ولا نريد فتح الخلاف الديني، فتحوا لنا
صدورهم بالتحدث عن حضارة الإسلام وتقدم المسلمين وعن ما يجب أن
يكون في وحدة الأمة الإسلامية، وأهدوا لنا كتباً تاريخية عن عمان وتاريخه
المجيد كتراث، وأشار فيما كانت عليه عمان وهم في ما يظهر أنهم يلحنون في
عدم خضوع عمان وما جاوره للنفوذ السعودي في أي عصر من العصور،
وهو خلاف الواقع، ومع هذا فإننا نحجم عن الخوض في تاريخ ما مضى
وانقضى.

الشيخ خليل شخص قيادي له نفوذه وهو بارع في الكلام والجدل
وله شخصية نافذة، وظل كذلك حتى كان ولا زال هو العلم الشامخ بين

علماء عمان مما جعله يستنكر النشاط السعودي خشية التأثير على مذهبه، وقد قامت الحكومة السعودية بدورها الدعوي حيث تم افتتاح مكتب للدعوة والإرشاد في عمان كما فعلت ذلك في دول الخليج عامة، ولكن الخليلي يسير الحركة ويرقب التأثير، فما كادت الأعمال تسير وفق مخططها حتى قامت قائمة علماء الأباضة بطلب إغلاق هذه المكاتب وتوقيف النشاط السعودي، أقول: من مهمتنا فحص الأرضية والاستعداد، وعلى أثر ذلك قام النشاط المذكور إلا أنه انتهى من غير تأثير يذكر، والآن ما تزال ترفع راية المذهب العقدي للخوارج والأباضية، وأصدروا مجلة العقيدة للبرهنة على مذهبهم القديم، والله المستعان.

(٨) الإمارات العربية المتحدة

أبوظبي - دبي - الشارقة - عجمان
أم القيوين - رأس الخيمة - الفجيرة

في عام ١٣٨٨هـ، كانت الجولة الأولى لدولة الإمارات العربية المتحدة، وكان وصولنا إلى دبي وهي المركز التجاري والميناء العالمي لدول الخليج، كان طابع الرحلة دعوياً محضاً مع جملة من المشايخ العلماء، فقد انفتحت الإمارات العربية إلى العالم الخارجي بعد تولي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان عام ١٩٦٦م، وقيام الاتحاد عام ١٩٦٨م، مما يجعل الخوف يساور الحكومة السعودية من تسرب مبادئ إلحادية أو ديانات ومبادئ خرافية، ولذا فقد بادرت بمد الجسر بينها وبين دول الخليج بإرسال الدعاة إلى الله - تعالى - وترشيح عدد من القضاة السعوديين أصحاب الكفاءة والخبرة والمرونة ليقفوا بجانب القضاة المدنيين، كما تم افتتاح معهد علمي تبعه دراسات عليا تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في إمارة رأس الخيمة ؛ والإمارات تدعو حاكمها بالشيخ مصطلح متعارف عليه.

وفي ذلك الوقت كان الحاكم للشارقة الشيخ محمد القاسمي، وحاكم رأس الخيمة الشيخ صقر بن محمد القاسمي؛ وحاكم عجمان الشيخ راشد ابن حميد النعيمي؛ وحاكم أم القيوين الشيخ أحمد بن راشد المعلا؛ وحاكم

الفجيرة الشيخ محمد بن حميد الشرقي؛ وحاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد المكتوم؛ وحاكم أبو ظبي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

كان مقر البعثة في دبي ومنها منطلق العمل في المساجد وزيارة الأعيان ومنهم الحكام والمدارس والأندية؛ وجدنا تقبلاً وارتياحاً وبخاصة من الإمارات الأربع (الشارقة، عجمان، أم القوين، رأس الخيمة)، ومما يذكر أن هناك وشائج قريبي بين القواسم والدعوة السلفية والحركة المرضية في الجزيرة العربية منذ القدم مما جعل الاستمرارية في الإكرام والتلقي باقٍ إلى يومنا هذا.

في منزل الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي للمرة الأولى نلتقي بالشيخ في مجلسه العام الذي يضم نخبة من التجار المستوردين للبضائع عن طريق البحر؛ والشيخ راشد هو رئيس أولئك التجار، كان مجلسه لا يمثل مجلس حكم أو إدارة أو مظاهر سياسية، وإنما كان مبسطاً للغاية.

جاءه رجل يشتكي إليه من أن شركة الكهرباء قد غرست عموداً كبيراً بجوار جداره الذي قد يشكل عليه خطراً؛ فقال الشيخ راشد: إن لم يرضك هذا فسنغرس العمود في رأسك، بهذه الإجابة انصرف صاحب الدعوى من غير تكرار لمطالبته، وكان الشيخ راشد يقول ذلك الحكم وهو يهز يده تهديداً وتخويفاً لمن يعارض المصلحة العامة.

جاء دورنا في الدعوة، عرضنا عليه أن يبر دبي قبراً يعبد ويعظم، فقال لهجته الدارجة: هذا مال العيم، والمعنى أن هذا القبر يخص الأعاجم، ويعني به مسلمي الهند والباكستان، فقلنا له: ولكنه في إمارتك، ومثل هذا لا يقر لأن فيه صرف عبادة لغير الله - عز وجل -، فاعتذر جدياً عن تغيير أو إزاحة هذا القبر، ولكن لا يمانع أن نذهب إليهم لنصحهم وإرشادهم. انصرفنا آيسين من تجاوب الشيخ راشد في أمر كهذا؛ ولكن شاءت القدرة الربانية أن يقوم بعض أهل الغيرة بنسف ذلك القبر ليلاً وما عليه من المباني وأماكن الاعتكاف، ولم يحدث شيء من الاحتجاجات ولكنهم عادوا فبنوه مرة أخرى.

وسمعت فيما بعد أنه كلما بُني هُدم والحمد لله، وأظنه في الوقت الحاضر مهديم وبأمر من الحكومة أن لا يعاد بناؤه، وهذا يعطي صورة مصغرة عن موقف الشيخ الحاكم من مثل هذه المظاهر الشريكة البدعية. في جزيرة أبو ظبي أو شبه الجزيرة حيث يحزر البحر؛ استعلمت الأخبار عن وضع هذه الجزيرة قبل السفر إليها، ومما علمته أنه لا توجد فنادق ينزل فيها الضيف القادم غير ضيافة الحكومة، أو بالأصح ضيافة الشيخ زايد، فأبرقت برقية لسموه من دبي بواسطة مكتبه الذي أشبه بالسفارة أو القنصلية لأستخبر أحوال المسافرين إلى أبو ظبي، وفي اليوم الثاني ورد الموافقة على سفري إلى أبو ظبي في الضيافة.

غادرت دبي بالطائرة، وعند سلم الطائرة في أبو ظبي استقبلني مسئول التشريفات، ومن المطار إلى الضيافة حيث أسكنوني فيما يشبه

الفندق من الدرجة الأولى فكان مريحاً للغاية، توقعت أن يسألونني عن برنامج عملي ومهمة رحلتي؛ فلم أجد من يستجوب سوى تقديم خدمات الطعام للوجبات الثلاث والمبيت والضيافة.

وبعد يومين فوجئت وأنا أتقدم إلى غرفتي وجود ضجيج في الغرفة وازدحام فيها بالشباب المراهق ممن قدموا لدورة رياضية (كرة القدم)، ووجدت في غرفتي ما يزيد على خمسة عشر شاباً، النائم منهم والمستيقظ والمتفكه، وكان دخولي عليهم في غرابة المظهر أدى إلى تعجبهم، وهل يمكن لهذا الشيخ أن يظل مع الشباب، والحالة هذه تناولت حقيتي وخرجت فوراً لأنام في بهو الضيافة حتى يأتي المسئول وأخبره بما حصل، وفعلاً جاء المشرف وعرضت عليه الحال، فقال: الأمر ما ترى هؤلاء شبابنا ولا بد لهم من سكن، خرجت مسرعاً في اليوم الثالث لأبحث عن مقر حتى أؤدي رسالتي على الوجه المطلوب، مع ما شاهدته من المتابعة لحركاتي وجولاتي في أبو ظبي مما يدل على تخوفهم من الوافدين أياً كانوا، حيث كانت الإمارات في دور تكوين الاتحاد، وقد شاهدت جنسيات مختلفة في الضيافة.

في بيت الخزرجي:

الشيخ الخزرجي عالم فاضل مرموق في أبو ظبي وإن كان على خلاف مع العلماء أو أكثرهم في منطقة الخليج، صلينا صلاة الظهر في مسجده وسرت معه حتى دخل بيته وأخبرته بأنني أرغب السكن، ولم أجد سكناً، فعرض عليّ المكث في المجلس أو الديوانية بصحبة الشيخ ساطع الجميلي

العراقي الوافد من دولة أوروبية، وهو الآخر كان في الضيافة، ثم فر منها إلى بيت الخزر جي عفا الله عنه.

رضيت بالإقامة لسبيين: عدم وجود سكن مريح في أبو ظبي، والسبب الآخر التعرف على العلماء والاستفادة منهم أو التأثير عليهم؛ حيث أن المهمة تتطلب لقائي بطلبة العلم والمشايع العلماء، بقيت في ضيافة الشيخ ومع الشيخ الجميلي وطال الحديث معه، وكان فرحاً مرحاً بالضيوف والوافدين إليه، وإن كانوا قلة حيث كان لا يشغل منصباً ذا أهمية مما جعله يستقطب الوافدين وبخاصة طلاب العلم.

بقيت خمسة أيام حتى دبر الشيخ الجميلي مؤامرة لأغادر بيت الشيخ ويتفرد هو بالحديث معه، قال لي الشيخ الجميلي وقد دخلنا المسجد لصلاة العصر: إن الشيخ يعتذر عن الإمامة والصلاة في هذا الوقت وعليك أن تتقدم لتصلي بالناس، فعلاً أمرت المؤذن وتقدمت للصلاة بالناس، فجاء الشيخ الخزر جي ونحن نصلي، وبعد الصلاة انفعل الشيخ وغضب، كيف تقام الصلاة من غير إذني؟ ومن أذن لك بالتقدم، وكان الجميلي قد أدرك مقصوده في استثارة الشيخ وغضبه عليّ، مما جعلني أعتذر إليه فيما بعد؛ ولكن مع مغادرة البيت والسفر إلى مدينة العين، المدينة الثانية بعد أبو ظبي.

في مدينة العين ومقر الشيخ زايد

لم تكن العين بأسعد من أختها في تسهيل إقامة الوافد إليها، بل هي أشد وأنكى حيث يتحصن الحاكم في قصره ولا سبيل إلى الوصول إليه، سرحت طرفي وترددت في أمري كيف أصنع ولهيب الحرارة يكاد يشوي الوجوه، والمدينة لم تكن في مستوى المدن بل هي بيوت معدودة وأكثرها من العريش وصنادق الباعة من الهنود.

وقع نظري على بيت مجاور لقصر الشيخ زايد قد فُتح على المصراع الكبير، فوقع في نفسي أن هذا بيت يمكن أن يستضيفني صاحبه، فتقدمت من غير استئذان حيث لم أرَ أحداً ودخلت المجلس وانتظرت طويلاً فلم يأت أحد، فتناولت واحداً من المتكآت ووضعت رأسي ونمت تلك الظهيرة، وقبل أذان الظهر أيقظني شاب لعله من خدم ذلك البيت، فقلت له: متى يأتي عمك؟ فأخبرني أنه لا يأتي إلا في العصر، وطلبت منه الغداء أو القهوة أو ما شاء حيث أنني أحتاج إلى سد رمقي ذلك اليوم، ولم أطعم شيئاً، فقال: بعد صلاة الظهر يمكن تقديم الغداء، أذن لصلاة الظهر فصليت مكاني خشية أن يقفل الباب وأُحرم طعام الغداء.

بعد الصلاة وقّى بها وعد وجاء بغداد ليس بالكثير، ولكنني وجدت فيه لذة وطعماً، حاولت أن أستنطق ذلك المستخدم عن صاحب هذا البيت أهو من الأمراء أو من الأعيان والتجار، ولكنه كان يلوذ بالفرار وعدم الإجابة، وقبيل صلاة العصر جاء صاحب الدار ورآني وهو يعبس وجهه ويسأل: من أنت؟ أخبرته بقصتي وحالي فقال: بيتي بجوار بيت الشيخ زايد، يريد أنه مراقب؛ ولكن والذي يحب السعوديين وسأذهب بك إليه لتكون ضيفاً عليه.

أمرني بالركوب معه إلى والده، والذي يقيم في العين، إلا أنه في مزرعة، وبيته من القش والخص أشبه بالعريش، عرفته فيما بعد أنه من شيوخ البريمي وإن كان من القبائل البلوشية، لكنه ذو ثقل ومكانة عند ابن جلوي وعند زايد.

رحب الشيخ بالسعودي الذي قدم لغرض ديني؛ وبقي يحدثني عن موافقه مع سعود بن جلوي حيث قال: والله إني أحبه وأخافه، ونحن في هذه البلاد أمننا واستقرارنا بفضل الله ثم بهيبة ابن جلوي، ثم أخبرني بقصته حيث دعاه ابن جلوي هو ومن يحب إلى الأحساء، قال: فما توانيت أو ترددت في استجابة أمره ولكن الخوف يساورني من ابن جلوي؛ فلعله يرى حبسي أو بقائي بجواره حيث كانت مشكلة البريمي قائمة؛ وبعد وصولي إليه أخبرني بأنه سيحج على السيارات ويرغب أن أصحابه إلى الحج، فوافقت على ذلك من غير ارتياح ولا رغبة، ولكن هيبة الأمير تمنعني

من الاعتذار، تم الحج معه والحمد لله، وبعد الانصراف من مكة قال لي:
سنذهب إلى حائل وأنت ستكون معي لوحداً، فقال: قلت في نفسي:
حسبي في حائل والله المستعان، ولكن تبين بعد ذلك أن ابن جلوي يريد
الزواج من بنت ابن مساعد ويرغب صحبتي معه.

أمضيت قرابة أسبوع في بيت هذا الشيخ، فإن لم تخني الذاكرة اسمه
محمود البلوشي شيخ البلوشين في البريمي؛ جزاه الله خيراً وغفر له.

في مجلس حاكم الشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي

لم نر في المظهر والمخبر ممن يمثل الإمارة حق التمثيل مثل الشيخ خالد، فقد كانت مجالسه تكتظ بالزوار والوافدين والمحبين له غير المستجدين الراغبين في عونه، ولكن خلقه الكريم وتواضعه الجم وتعرفه على أحوال الزائر وانفتاحه في الحديث يجعل له في الناس منزلة تفوق أرباب العطاء والهبات الرسمية.

لقد تكررت الزيارة في مجلس الشيخ خالد حتى كادت أن تكون رتيبة، يجري البحث في مسائل اجتماعية ودينية وتاريخية، حدثنا هو قال: جاء إلى مجلسي الشيخ محمد نور من علماء دبي ومن المجاورين في مكة المكرمة، وأنكر عليّ حلق لحيتي فأجبت فوراً: أيها أشد في رأي الشيخ حلق اللحية أم إقرار الوثنية والعبودية لغير الله - عز وجل -، يشير بذلك إلى أن ابن مكتوم ملتحي لكنه يقر عبادة القبور في بلده، قال: فما كررها بعد ذلك ولا غرابة، فإن جلسه ومشيره العالم والعلامة ذو الواجهة الشيخ: عبدالله بن محمود آل محمود لا يكاد يفارق مجلسه، وعن طريقه تسير إليه قاطرة العلماء وبخاصة من المملكة، والشيخ عبدالله له مواقف صلبة وقوية مع بقية أمراء الخليج، وكان ناصحاً واضح الهدف فيما يدعو إليه - رحمه الله - وغفر له.

ومن الجدير بالذكر أن جميع الإمارات أقرت كل دعم وتأييد من المملكة تجاه الدعوة والتعليم والقضاء، عدى إمارتين هما دبي وأبو ظبي وحيثهم أنهم على مذهب الإمام مالك، ولهذا يستقطبون فقهاء المذهب المالكي من الأحساء وموريتانيا والسودان.

عجمان وأم القيوين

أشبه بقريتين نائيتين عن كل معنى في الحياة، غير أن عجمان يحكمها الشيخ راشد بن حميد النعيمي وهو يمثل في مظهره الزي السعودي يلبس عقال (المقصب المذهب) ويظهر العمل بما عليه الأئمة الخابلة في الفقه وما عليه السلف في المعتقد، وأخبرونا بأنه يقيم الحدود الشرعية على مرتكبي من يستحق الحد، كالخمر والزنا، بل وقد أفادوا أنه بنفسه يباشر إزالة المنكر حينما يراه؛ ويدعو الناس لأداء الصلوات في المساجد، وهذه ميزة انفرد بها الشيخ راشد، وهو كثر اللحية وسيم، حاد النظر -رحمة الله عليه.

أما أم القيوين ويدعوها بأم القوتين وحاكمها الشيخ أحمد المعلا فلم نر فيها ما يذكر غير أننا استضفنا في يوم حار من الشيخ عبدالرحمن بن عتيق الذي يُعد شيخ الإمارة، فقد أتى إليها منذ زمن وهو من أهل الخرج في نجد، لقد أجاد بإكرامنا ومعى أحد الأخوة بتقديم غذائه المتواضع؛ مع اعتذاره من عدم وجود إدام من اللحم أو السمك في مثل بلدنا هذا في هذا الوقت.

قبلنا عذره وطلبنا مساعدته في تسهيل تجميع الناس لنا في المساجد حتى يتم قيام الدرس، ولكن اعتذر لأن أكثرية سكان البلد في البحر، وإذا جاءوا ليلاً فإنهم على قدر من الجهد والتعب لا يتمكنون من الجلوس

والارتياح، كان هذا في عام ١٣٨٩هـ، والآن وقد تبدلت الأحوال أصبحت الإماراتين أم القيوين وعجمان من المدن الكبيرة، والذي تمت فيها الخدمات الضرورية كالكهرباء والماء والتعليم، وذلك بفضل الله؛ ثم باتحاد الإمارات وقيام دولتهم.

رأس الخيمة

في نهاية الإمارات الخليجية تقع إمارة رأس الخيمة والتي يحكمها الشيخ صقر بن محمد القاسمي ابن عم حاكم الشارقة.

تعرفنا على الأمير صقر ودعانا لمأدبة عشاء ليلاً في بيته المتواضع، والشيخ صقر فيما حكي عنه أنه من أهل الطاعة والتوجه إلى الله - عز وجل - في أداء الصلوات وقيام الليل.

استجبنا لدعوته وحاولنا التأثير عليه بتخفيف بعض المظاهر المخالفة في الإمارة، ولكنه يظهر من حاله أن النصائح قد تكررت على مسمعه من أمثالنا، غير إنه يخطو خطوات إلى تقدم البلد والنظرة السائدة. أن حرية الفرد وعدم مضايقة الأجانب هي من أسباب تقدم بلاد رأس الخيمة وتوابعها، لا زالوا يعيشون عيشة البساطة وعدم التكلف، أدركنا ذلك من بيت الشيخ ومأدبته التي قدمها لنا كضيوف، كان ذلك الوقت أي عام ١٣٨٩هـ، كل الإمارات في هذه الحال وقد تبدلت الأحوال، قامت المملكة العربية السعودية بافتتاح المعهد العلمي ليكون نواة لجامعة إسلامية تحتضن أبناء الخليج لتخريج الدعاة والمدرسين والقضاة، غير أن مما يؤسف له عدم التقبل الكلي من أبناء الخليج خاصة بعد الثروة البترولية وميول الأكثرية إلى

الترف بل وإلى المدارس الأجنبية، ولكن بحمد الله استمر المعهد وتم فتح دراسات عليا فيه، وظهرت آثار هذا المنار العلمي والحمد لله؛ فجزى الله حكومة المملكة وعلماءها خير الجزاء في استنقاذ هذه الإمارات من التشيع أو التعبد الخرافي كالصوفية وأرباب المقابر والحمد لله.

أبو ظبي

من ١٥ / ٤ إلى ٤٠ / ٤ / ١٣٨٩ هـ أي خمسة عشر يوماً مدة الإقامة عشرة أيام في أبو ظبي، وخمسة أيام في العين ومن خلال هذه المدة مارست جميع النشاطات الممكنة واستخلصت فيها بعض معلومات أسجل منها ما له مساس طبيعة العمل هي:

١- أبو ظبي إحدى بلاد ساحل عمان؛ تقع في الساحل الغربي منه بين دبي في المشرق وقطر والمملكة من الغرب.

٢- تنقسم إلى قسمين رئيسيين أبو ظبي والعين؛ وأبو ظبي تقع في عرض البحر على رأس جزيرة مساحتها ١٢ ميلاً وفي حالة الجزر تكون شبه جزيرة والعين على بعد ١٤٠ كيلومتر من أبو ظبي من حدود مسقط وإمارة عمان تلي البريمي جنوباً.

٣- السكان من ثلاث سنوات وبعد عزل الحاكم الأول شخبوط بن سلطان من الحكم والذي دام حكمه أكثر من أربعين سنة؛ تولى زايد بن سلطان وفتحت البلاد ذراعيها للأجانب؛ وفق مقتضيات الحال وضرورة إنجاز المشاريع التي أمر بها الحاكم الجديد؛ لذا نجد الخليط من الناس عرباً وعجماء؛ ويكثر الفلسطينيون ويقدر عددهم بسبعة آلاف؛ ثم السودانيون

فالمصريون فعرب الجزيرة من اليمن وعدن وبعض من قبائل مسقط وعمان؛ ومن غير العرب يكثر البلوش واللبنانيون والإيرانيون الشيعة والهنود والباكستانيون ولكنهم على مستوى منحط من العلم والثقافة؛ أما الأوروبيون فيندر أن تراهم لقلتهم وترفعهم على مستوى الأعمال البسيطة التي تستدعي مخالطة الناس أو بروزهم على صعيد العامة؛ وقل أن تجد من غير ما أشرت إليه من أجناس البشر؛ أما تعداد السكان الأصليين فبسؤال الشيوخ الكبار من أهل البلد أجابوا بأنه منذ عشر سنوات لا يتجاوز سكان أبو ظبي ثلاث مائة رجل؛ والعين في حدود المائتين رجل؛ وقد يعنون بهذا القاطنين من الحاضرة غير البوادي ومن ليس له ملك في البلد؛ أو أن ذلك جاء في سياق كلام للتعجب من تطور البلاد وتقدمها وقد لا يخلو من المبالغة في قلة التعداد للسكان؛ أما من يعمل في الإحصاء فيقولون: أهل أبو ظبي والعين الأصليين لا يتجاوزون خمسة آلاف أو سبعة آلاف فقط، وقد نشر في كتاب عمان والإمارات المتصالحة أن تعداد سكان أبو ظبي ثمانية عشر ألف؛ كما نشر في كتاب نهضة أبو ظبي أن تعداد السكان خمسون ألفاً حسب آخر إحصاء في شهر مارس ١٩٦٨م؛ والأمر لا يخلو من مبالغات ومناورات في تعداد السكان.

٤- الإدارة والحكم لا يكاد يذكر في البلد غير اسم الحاكم؛ حتى لقد قيل: إنه كان يخطط الشوارع بنفسه ويرسم البيوت الشعبية برجله ويخططها

بعصاه؛ وقد ولي بعض أقاربه إدارة بعض الأعمال فجعل ابنه خليفة حاكم منطقة العين؛ ونائب الحاكم في غيبته وولي عهده؛ كما رشح مبارك بن محمد آل نهيان لإدارة الشرطة والأمن العام؛ والشيخ أحمد بن حامد لإدارة العمل؛ والشيخ خليفة بن محمد الكهرباء؛ والشيخ محمد بن خالد للمالية؛ والشيخ سرور بن محمد للعدل؛ والمعارف والصحة والمياه للشيخ حمدان بن محمد؛ وفي خطة الأعمال الخمسية ٦٨ - ١٩٧٢ إحدى عشر مصلحة المعارف والصحة والزراعة والصناعة والمواصلات والبلديات والإسكان والعمل والسياحة والمباني العامة قروض؛ ويدير أكثر الأعمال الفلسطينيين تحت إشراف المشايخ الحكام أو أسرة الحاكم؛ ومن حيث الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ففي أبو ظبي الشيخ محمد بن أحمد بن حسن الخزرجي من طلاب العلم؛ فقد نصبوه قاضياً شرعياً يحكم ويصلح على المذهب المالكي وهو رجل فاضل لا بأس به من حيث المعرفة والكفاءة.

وفي العين الشيخ مقرن؛ كبير السن ضعيف المعرفة عسى أن يكون في قدوم الشيخ أحمد المبارك إلى أبو ظبي ما يلفت أنظار الحكام إلى ضرورة تنفيذ حكم الشرع وإبطال الأحكام سواه؛ إلا أنهم أخيراً طلبوا من الأردن قضاة مدنيين؛ في العين واحد؛ وفي أبو ظبي واحد؛ وقد استنكر الرأي العام سير القضاة الخلقية وما يصدر منهم من أحكام مخالفة للشرع ويمجها العقل السليم؛ فقد حدثني أن امرأة زنت فحكم القاضي الشرعي بجلد

البكر ورجم الثيب، ولم يرض الحاكم بهذا الحكم فأحالتها إلى القاضي القانوني؛ فحكم أن يسلم الرجل مبلغاً من المال مقابل الاستمتاع بها، وأن يتزوجها، وله أن يطلقها فيما بعد إذا لم تصلح الأحوال؛ فكان حكماً غريباً يتحدث به الناس، فهم ما زالوا على الفطرة، إلا أن الشعب وخاصة الكبار منهم في السن لا يقدرّون على مجابهة الحاكم؛ لاستنكار هذه الأحكام والحاكم نفسه يستجمل أهل البلد ولا يراهم أهلاً للاعتداد بأرائهم واستنكار ما أنكروه؛ ولو كان ذلك من تعاليم الشرع وأحكام الدين.

٥- يبلغ عدد المساجد في أبو ظبي قرابة خمسة عشر مسجداً؛ وفي العين أقل من ذلك إلا أن القرى التابعة للعين عدد المساجد أكثر بقليل من أبو ظبي؛ وقد ظهرت أحياء جديدة ومساكن شعبية لم يخط فيها خطة مسجد فضلاً أن تقوم الحكومة ببنائها؛ ومن المؤسف جداً أن الشيخ خالد بن سلطان أخو الحاكم قام ببناء كنيستين للنصارى في أبو ظبي في الحي المسمى بالخدية؛ وهذا يعطي صورة لا يستهان بها عن مدى الاستهانة. وجميع ما في أبو ظبي من المساجد يقوم ببنائها محسنون عدى المسجدين الرسميين في أبو ظبي وفي العين؛ وإذا كان هذا من شأن عمارة المساجد من باب أولى عدم رعايتها للأئمة والمؤذنين إلا ما كان من قبل المحسنين؛ كما أن من الملاحظ أن المصلين من غير العرب ونادراً أن ترى العربي يقصد المسجد للصلاة وقد يوجد ذلك في أطراف البلد.

٦- التعليم كان في ما سبق يدير المعارف إنجليزي؛ وأخيراً انتدبوا الدكتور الهاشمي عراقي من بغداد؛ وفي مقابلي له ظهر لي منه شخصية العالم؛ كما قيل عنه: إنه متدين؛ وقد اختاروه لإعداد المناهج الدراسية من الابتدائية منهج الأردن؛ وقد فتحوا منذ سنتين معهداً سموه المعهد العلمي يضم فصلين أولى وثانية ويقوم بالتعليم بعض أساتذة من سوريا والأردن ويرجى له مستقبلاً حسناً؛ هذا وتقوم الحكومة بابتعاث عدد من طلاب الخليج إلى أوربا لندن والقاهرة وبغداد للدراسة الجامعية والثانوية وبعضاً للابتدائية؛ وعلى العموم فالطابع في التعليم في أبو ظبي طابع مادي لا يقوم على روح التدين لندرة المدرس المسلم؛ هذا وقد فتحت حكومة أبو ظبي معهداً دينياً في عجمان وسارت الدراسة فيه سيراً حسناً.

٧- سياسة: تتجه أنظار أبناء الساحل وخاصة دبي والشارقة وعجمان وأم القيوين نحو إمارة أبو ظبي وحكومتها المهيمنة عليهم؛ فبفضل تدفق البترول جعلت الحاكم يبدي سخاء ويبدل من وسعه على الإمارات المذكورة؛ فقد بنى أحياء شعبية وعمل الطرقات؛ بل لقد وفر تكاليف الكهرباء، وبعث أربعمئة وسبعين طالباً لتلقي الدراسة في الخارج، وفتح المعهد في عجمان؛ وبهذه المساعدات السخية العلنية منها والسرية يلهج الناس بالشناء العاطر على حكومة أبو ظبي وعلى الشيخ زايد خاصة؛ كما أن الوافد لأبو ظبي يلقي كل إكرام وإجلال؛ والفنادق في أبو ظبي هي ضيافة

الحكومة؛ وبهذا أخذت شوطاً في الدعاية، وهي في طريقها إلى تثبيت شخصيتها والاعتراف بها كحكومة ترعى شؤون الخليج وتبث فيه روح الحياة وتؤمن له مستقبله؛ ويتحدث الناس في أن مطار أبو ظبي سيكون أكبر مطار في الشرق الأوسط.

وقد كان لفتح المعهد العلمي في رأس الخيمة ووجود مدرسين من السعودية أحدث ظاهرة من نوعها؛ ولها أبلغ الأثر في تقوية الروابط والصلة الروحية وتبادل المشاعر العامة لدى المواطنين أنفسهم وأسرّة التعليم في المعهد.

٨- أوجه الإصلاح: يمكن حصر أوجه الإصلاح في الأمور التالية الممكنة: المدرسة والمسجد؛ فالمحكمة؛ وفض الخصومات بين الناس على هدي من الله ونور؛ والمدرسة: تنشئ التعليم الصحيح والاطمئنان على مستقبل الجيل العقائدي، والمسجد ينبوع الطاعة والإيمان بالغيب والحاجز المنيع لتسرب الشر لدى المصلين؛ وهذا جل ما يتطلبه المجتمع الإسلامي وينبغي عليه قواعد الأمن ودعامات الإيمان؛ والطريق إلى إصلاح هذه المعازل طريق شائك وعسر للغاية لا يكفي جهود الأفراد ولا تنفع فيه الشكليات والروتينيات الرسمية ولكن بتعاون الحكومات الإسلامية مع الهيئات الدينية ورجال الدعوة والإصلاح مع حسن المقاصد وسلامة النية ويمكن إصلاح ذلك وعلى ضوء ما تقدم نقترح ما يلي:

أ- بالنسبة للمحاكم إرسال وفد على مستوى رؤساء محاكم وعرض المساعدات التي يمكن للحكومة السعودية تقديمها كتعزيز لإقامة الحكم الإسلامي والتعاون في مجال الدين وذلك لكافة الإمارات.

ب- الإيعاز لرؤساء الجمعيات الإسلامية خارج المملكة بتعهد أمراء الخليج بالمناصحات ومناشدتهم إياهم تحكيم الشرع في بلادهم سواء كان ذلك بالمراسلات أو الاتصالات الشخصية؛ ويعطى لطلاب العلم فرصة لزيارة الخليج المتكررة للاحتكاك بالعامّة والخاصة وللقيام بالتوعية الدينية حول قضايا معينة.

ج- أما بالنسبة للمدارس فالعلة التي نراها في أبو ظبي هي ما نشكوها في مدارسنا في المملكة؛ وذلك جلب المدرسين الدهريين، توظيف من يتخرج من الجامعات الإسلامية في كل عام وهم عدد لا بأس به؛ وإيجاد صلة بين رئاسة الجامعة وإدارة التعليم في أبو ظبي ليتم بذلك التعاقد مع الراغبين للتعليم والإعدادي والثانوي في أبو ظبي.

د- أما بالنسبة للمساجد فهي لا تقل أهمية عن ما تقدم؛ ومن السهل جداً أن يكثر عدد المساجد وينافس الناس في رفع مناراتها وزخرفتها ولكن هذا شطر من عمارتها؛ وأما بالنسبة للشطر الثاني وهي عمارتها المعنوية وإقامة الصلاة على الوجه المطلوب فيها واختيار الرجل الصالح فهذا الأمر

لا يقل أهمية من الشطر قبله بل هو الأساس لعمارة المساجد؛ ولا أدري هل من الممكن أن تتفق الجهات الدينية في المملكة وفي أبو ظبي على اختيار أئمة مساجد خاصة لجمع من طلاب العلم في السعودية؛ ويقوم بجانب ذلك بالتدريس والوعظ ومواصلة النشاطات الدينية؛ إذا تم هذا فسيكون للمساجد أثرها النافع في التوجيه وهذا يحتاج إلى تفاوض من الجانبين وليس بذلك أهمية في النواحي السياسية الداخلية.

هذا وفي الختام وبعد إعداد هذا التقرير الذي مضى على إعداده أربعون عاماً لم يكن سوى مذكرات شخصية وأراء فردية؛ لا يبنى عليها إجراءات رسمية ولا دراسة؛ ولم يكن في الذاكرة أن هذا التقرير يبقى في أرشيف مكتبتي الخاصة لأعيد النظر فيه وإدراجه ضمن مذكراتي في جولاتي عبر القارات؛ وليعلم القارئ الفوارق الزمنية بين إعداد هذا التقرير وبين الواقع الحالي؛ وما بين الزمانين من تباين شاسع واختلاف كبير؛ فللتاريخ سجلت وللمعلومات كتبت؛ والله يتولى عباده الصالحين.

وممن عرفت في الإمارات

الشيخ محمد الخزرجي

في عام ١٣٨٩ هـ كنت ضمن البعثة الدعوية التي تنطلق في صيف كل عام إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، وكان من نصيبي أن كلفت بالوعظ والإرشاد في مساجد أبوظبي، ما كدت أصل الجزيرة أو شبه جزيرة أبوظبي حتى ضاقت بي مسالك السكن والاستقرار، إذ لا يوجد بها سوى بيت الضيافة التابع للحكومة، وأماكن لا يسترجع بها المستريح، فتقدمت إلى الشيخ الخزرجي وعرضت عليه ما أنا في من حال، حيث إنني أرغب البقاء في أبوظبي للغرض المشار إليه ولا سكن ولا استقرار، وقد استلهمت قول المتنبي:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فلبي الشيخ طلبي وأذن لي واستضافني لمدة خمسة أيام أنست بحديثه وكنت جليسه صباح كل يوم وعصره، كان طلق المحيا، كريم السجايا، شيق الحديث، أنيس المجلس، لا يمل من الحديث عن ماضيه، فهو يجيد البيان بأدب وروية، فلا يجرح شعوراً، ورغم ما نحن عليه من خلاف معه في التمثذهب والسلوك والاعتقاد فإني لم أسمع منه كلمة جارحة أو خدش

كرامة بالنيل من توجهاتنا السلفية، ومذهبه مالكي، وتلمذ على علماء شيعة في الأحساء.

أعود فأقول: إن الشيخ الخزرجي يختلف معه تماماً في توجهاته السلوكية والعقدية، فهو إلى التصوف أميل وإلى الأشاعرة المؤولة للأسماء والصفات أقرب إلا أنه لم يقل حديثاً يؤذي به جليسه ولا يمن بحديثه في أمور عامة، مكثت معه خمسة عشر يوماً ومعني الأخ الشيخ ساطع الجميلي، عراقي يسكن الأرجنتين بأمريكا الجنوبية، وودعت الشيخ الخزرجي بعد تلك المدة ولا زالت ذكرياته بالذاكرة، وكما قلت هو مالكي في الفقه، صوفي في السلوك، أشعري في العقيدة، ولكنه ذو ذوق رفيع ورجل سياسة وقيادة وقد لا تحكم عليه ولا له في ضبط توجهاته وتحديد غايته إلا بعد تجربة وروية، وأخيراً وُزِّر في الدولة وكان وزير الشؤون الإسلامية وانضوى تحت وزارته المساجد والأوقاف وشؤون الدعوة فأنحسر لنا من معتقده وأعلنها صريحة ضد النهج السلفي، وظهرت تهجماته على الدعوة المباركة في الجزيرة العربية دعوة الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب، وانفصمت تلك الأخوة بينه وبين علماء المملكة، وقد احتضن جمعاً من المتعلمين من مصر والشام واليمن والسودان فلهم أفضلية التعيين في المساجد والتعليم وها هو الخزرجي وقد تجاوز عمره السبعين ولا نعلم خاتمة أجله ومنتهى عمله، سجلته لبروز شخصيته ومعرفتي له ضمن من أكتب عنهم ومن

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

لقيتهم من العلماء والأعيان، ولا أعرف له مؤلفاً أو مشاركة في البحث إلا أنه رجل سياسة ورائد رئاسة.

والله من وراء القصد وهو القادر على كل شيء، ونستغفر الله ونتوب

إليه.



(٩) اليمن الشمالي وعاصمته صنعاء

ما كادت الثورة اليمنية تزول زوبعتها وتهدأ عواصفها بعد مضي سبع سنوات، كانت سنيماً عجافاً من الحرب والسلب والنهب بين المواطنين أنفسهم وبمناصرة عدو في صورة صديق، الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر عليه من الله ما يستحق، إذ حشد ما يزيد على خمسين ألف من الجنود المصريين في اليمن لمناصرة الثورة العربية الاشتراكية، في زعمه المكذوب.

أقول: ما كادت تهدأ تلك العواصف حتى انفتحت للشعب اليمني أبواب المملكة العربية السعودية بالدعم والمساعدة والمنشآت التي ترى الدولة السعودية أن ذلك واجب أخوي، وكان من ضمن الدعم والتأييد إيجاد النشاط الدعوي، ومد يد التوجيه والإرشاد للشعب اليمني الغافل المستغفل لهدايته وإرشاده.

صدر التكليف من جهة رسمية للشخص إلى اليمن لتقييم العمل الإسلامي وطرق وأساليب الدعوة التي يمكن أن تستخدم لمناصرة اليمنيين القائمين على الدعوة والتعليم الديني، فكان ذلك بحمد الله وبمعيّتي من يُعينني على أداء مهمتي على الوجه المطلوب، فقد كان الأمن في ذلك الوقت لا يزال في اضطراب وغير مستتب، ولا زالت بعض

النفوس المريضة تسيء الظن في الدولة السعودية من عدم ارتياحها للثورة أو معاكستها خط التقدم الثوري، ومع هذا فقد استعنت بالله وتوجهت مع رفيق إلى صنعاء في عام ١٣٩٥هـ، ومن مطار الرياض إلى مطار صنعاء بتأشيرة عادية وبدون توجيه رسمي أو اتصالات بجهات رسمية في اليمن، وإنما علاقتنا مع المواطنين وبالذات العاملين في حقل الدعوة والإرشاد، وهم ممن سألهم أو بعضهم.

في مدينة خولان وبعد جولة سريعة في عاصمة اليمن صنعاء، وهي العاصمة الزيدية المتأصل فيها المذهب الزيدي الإمامي والشيوعي، لم نلمس في صنعاء أي قبول أو توجه أو رغبة في الحديث عن العلم والتعليم، غير أن المستمع في المساجد بالذات المساجد في أطراف العاصمة كثيرون، ففي أثناء إقامتي في صنعاء كنت ألقى بعد كل مغرب من كل يوم محاضرة أو كلمة بعد الصلاة ولم نلمس أي مخالف أو معارض، فلعل الجميع يأخذون كلامي مأخذ الواعظ المتجول من غير قصد في هدف أو اتجاه سياسي، ثم من صنعاء إلى مدينة خولان المعهد الإسلامي ورئيسه الشيخ صلاح، وذلك المعهد الذي كان ولا زال منارة للتعليم الإسلامي رغم ما كيد له ولصاحبه الشيخ صلاح، فقد شاهدنا أثر القذائف النارية على بناية المعهد تهديداً لطلابه وتخويفاً لصاحبه من قبيل الشيوعيين والقوميين العرب ممن

تتلمذوا على المدرسة الناصرية، غير أن الشيخ صلاح سار بمعهد سير الصابرين والمحتسين، وكانت زيارتنا له زيارة دعم وتأيد ومناصرة، فقد تم التوثيق والتعارف بين صاحب هذا المعهد ورجالات العلم والدعوة في المملكة العربية السعودية، فكان بحمد الله معهداً إسلامياً لا نقول: سلفياً، ولكنه لا يعارض السلفية، وهو أشبه بالمعهد التحرري من المذاهب الفقهية التقليدية على حد سواء، ولعل هذا بتأثير من العلامة الداعي إلى الله الشيخ عبد المجيد الزنداني وفقه الله لكل خير.

أمضينا في خولان ثلاثة أيام نرقب حركات الطلاب، وبرامج تعليمهم والنشاطات التي يمارسها الطلاب، وكان من بين الأساتذة أخوة من السودان لهم توجه دعوي واضح وهو النهج الإخواني، ولعل هذا كان من أسباب غيظ الشيوعيين والقوميين على هذا المعهد، وكان الطلاب ينشدون الأناشيد الإخوانية:

هو الحق يحشد أجناده

ويعتد للموقف الفاصل

إلى آخر القصيدة، وهي من إنشاد وهتافات الإخوان المسلمين في مصر، وهم ألد أعداء عبد الناصر.

جرى التشاور بين أبناء الشيخ صلاح وأساتذة المعهد حول رسم خطة منهجية في العمل ، لا تشعر بأي انتماء واضح لغير الكتاب والسنة مع احترام وتعزيز مقام أولئك العلماء في البلاد، كالإمام الصنعاني والإمام الشوكاني، وأشرنا عليهم بتقرير عقيدة تطهير الاعتقاد وهي عقيدة ضد الإلحاد، ومثل ذلك تواريخ أعلام اليمن الذين لهم يد في الإصلاح، فإن النزعة الوطنية لا تزال في أذهان الكثير من اليمنيين ولا يمكن إنكار فضل من سلف أو غمط حقوق من جاهد، ولا سيما والتاريخ قد سجل لهم أمجادهم، هذا بجانب الفقه الإمامي مع ملاحظة الأخذ بالدليل في المسائل الخلافية، وكان للمباحثة في هذا المجال الأثر الطيب مما جعلهم يعدون بتنفيذ تلك المشورة والتوصيات.

من صنعاء إلى مأرب ببلاد قحطان وبالطائرة، توجهنا إلى مأرب البلدة السلفية والتي حماها الله من التأثير الزيدي في صنعاء، أو الإسماعيلي في نجران.

مأرب هو كما في القرآن الكريم حيث كان بلد الحضارة والعمران:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سورة النساء]. لقد بقينا في مأرب خمسة أيام في ضيافة شيوخ مأرب وطلاب العلم فيها، ولعل من أسباب

عدم التأثير عليهم في المذهب الشيعي أو الإسماعيلي انتمأهم القبلي إلى قحطان وارتباطهم بقبائلهم في المملكة، وقد شاهدنا ما أثلج الصدر من قيام المدارس القرآنية والدعوة والإرشاد في مدينة مأرب، وقد لا نسميها مدينة، فهي قرى ومزارع على ضفتي الوادي، وقد شاهدنا سد مأرب المذكور في القرآن، وقد تهدم وبقيت آثاره، غير أن الشيخ زايد بن نهيان رئيس دولة الإمارات العربية - رحمه الله - أبدى عرضاً لحكومة اليمن بتبني إعمارهِ وتشييده للاستفادة منه، وكان هناك حوار بين مشايخ مأرب وحكومة صنعاء، وقد رفض المشايخ أي اتفاق بين حكومة صنعاء والشيخ زايد فيما يخص السد إلا بدخول المشايخ في الرأي واشترآهم في المشورة حول تنفيذ مشروع إعادة السد، ثم بعد مضي سنوات تم الاتفاق وتم المشروع على نفقة الشيخ زايد بن نهيان - رحمه الله -.

في مدينة إب مدينة الشوافع أو أرباب المذهب الشافعي، وبها نلتقي في المعهد العلمي والتي أسماها صاحبها بالمدرسة العربية، وهو الشيخ أحمد راشد الأبى، والشيخ أحمد راشد من الزملاء في الدراسة بالرياض، وتخرج في كلية اللغة العربية عام ١٣٨٣هـ.

وكان ضمن المدرسين في معهد صامطة بمنطقة جيزان، ثم بدا له أن يقيم عملاً إسلامياً بواسطة التعليم وافتتاح معهدٍ علميٍّ بواسطة يمكن إيصال المعلومات واختبار من يتلقى هذا العلم، فكان له ما أراد.

حدثني الشيخ أحمد راشد وقال: زار الرئيس إبراهيم الحمدي مدينة إب، وقد شاهد المعهد ونشاطه فقال: كيف تأسس هذا المعهد وبأموال من؟ قال فأجبت: من التسول والشحاذة، فقد كنت أكلف كل طالب يأتي بكيس أسمنت أو بأبلكة واحدة في كل مرة حتى تكون البناء، قال: فعجب الرئيس الحمدي بهذا، وأمر بدعم المعهد دعماً سخياً دفعنا للعمل أكثر.

وقد شاهدنا من التنظيم والترتيب لسير الدراسة في هذا المعهد ما يثير العجب، مما جعل أبناء اليمن يسارعون في إقامة تنظيم للمعاهد الإسلامية في جميع مدن اليمن يبدأ العمل فيها بصفة شعبية ثم تطالب الدولة بدعمها وتشجيعها، فكان ذلك، حيث تأسست المعاهد العلمية في كثير من مدن اليمن على غرار المعهدين المذكورين، معهد خولان ومعهد إب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



الرحلة إلى اليمن مرة أخرى

من الرياض بداية الرحلة إلى صنعاء، أمضينا ثماني ساعات، دخلنا صنعاء يوم السبت في اليوم السادس عشر من الشهر السابع ١٤٢٩ هـ كان ميعادنا من مطار الرياض إلى صنعاء، لإنهاء إجراءات السفر على الخطوط اليمنية، وبعدها تم الوصول إلى صنعاء وكان في استقبالنا الأخ الفاضل العقيد علي حمود الجايفي، إذ كنا على موعد معه حين زيارته الرياض ومقابلته بمعية بعض الإخوة اليمنيين منهم الأخ محمد النهاري، وكان الأخ علي بلباسه الرسمي، لذا انتهت إجراءات المطار بسهولة واحترام، وإلى بيت الأخ المذكور كان استقرارنا، تفضل بالدعوة، وألحّ بتناول العشاء وكان بصحبته أبنائه الأربعة، أمضينا ساعة ونصف الساعة في بيت الأخ علي قَدَم من جوده وكرم الضيافة بالأكلات اليمنية ومنها ما يسمى: (بنت الصحن) المكونة من البر والعسل والسمن، وأضاف المأكولات مما نعرفه وما لا نعرفه شكر الله له، ثم استأذنا الأخ علي كي يختار سكناً في وسط صنعاء؛ فلبى الطلب بعد عرضه المؤكد أن نكون ضيوفاً له في البيت، وكنا ثلاثة: إسماعيل بن عتيق، وعبدالإله الشايح، وعبدالرحمن الشتري، وقبل أن ننصرف من بيت الأخ علي وصل الشيخ شاعر الهتاوي أحد أعضاء

البرلمان، وخريج المعاهد العلمية في صنعاء، وبصحبة الأخوين توجهنا إلى اختيار السكن في صنعاء، وكان نزولنا في فندق الشلال.

يوم الأحد ١٧ رجب كانت جولة في صنعاء بمعية الأخ الفاضل الشيخ: علي فرأينا صنعاء مزدحمة بالحركة المتتابعة بالسيارات والمشاة وعرفنا بهذا أنها من كبريات عواصم الدول العربية، يقطنها ما يزيد على مليوني نسمة، والازدحام فيها ظاهرة من ظواهر مدن عواصم العالم، بدأنا بزيارة المكتبات التجارية، ومنها مكتبة الجيل من المكتبات التجارية القديمة التي تعنى بالقديم والحديث، ولها فروع عدة في داخل صنعاء وخارجها، ومن أبرز ما في هذه المكتبة: الكتب التراثية التاريخية لليمن.

وفي جولة دامت نصف ساعة انتهينا منها إلى مكتبة الحضارة وهي: مكتبة حديثة متعاونة مع كثير من دور النشر في داخل اليمن وخارجها اقتنينا منها بعض الكتب التاريخية ومنها (النهضة الأدبية في اليمن) جزأين، ثم توجهنا إلى صنعاء القديمة والتي يذكر أن تأسيسها مضى عليه ما يزيد على ثلاثة آلاف عام، ومما أشار إليه صديقنا الفاضل جهة في صنعاء قال: هذه تسمى: البيت الحرب وهو المكان الذي أراد أبرهة أن يجعله عوضاً عن الكعبة المشرفة أو يضاهي به بناية الكعبة المشرفة ولا يزال خرباً تلقى فيه القاذورات والنفايات وكان يدعى قديماً (القليس) دخلنا أسوار صنعاء

القديمة وهي من الطين المرمم، ورغم أن بيوت صنعاء من الحجارة والجبس إلى أن السور كما شاهدناه من الطين، دخلنا مسجد الجامع الكبير جامع صنعاء الذي تقدر مساحته بما يزيد على ألفي متر، وكان الأتراك قد بنوا في ساحته بنية جعلوا فيها المخطوطات ومنها: الخط العثماني للمصحف الشريف كما ذكر الأخوة.

أُذِّن لصلاة الظهر وزادوا في الأذان ((حي على خير العمل)) كما فعلوا في الإقامة ولم نر حرجاً في الاقتداء بالإمام الزيدي، إذ أن الخلاف بين ما نحن عليه وأهل اليمن خلاف لا يؤدي إلى عدم الإهتمام بهذا لاسيما أن الكثيرين من اليمنيين يعتبرون الإمامين الشوكاني والصنعاني ممن يقتدى بهم. مكثنا في المسجد مع التجوال فيه، وشاهدنا اكتظاظه بالمصلين من القراء والحفاظ، ومما شاهدناه: تميز السادة وآل البيت بالعمامة البيضاء والثوب الأبيض مع سعة في الأكمام وهم يَلْقَوْنَ الاحترام والتقدير من الجماهير، وإن كان البعض منهم لم يرق إلى درجة العلم.

عدنا إلى منزلنا وقد كان في استقبالنا: الأخ الكريم الشيخ شاعر عضو البرلمان، فأبى إلا أن يضيفنا بطعام الغداء، وقد أوسع في الإنفاق ونوع المأكولات مما نعرفه، وما لا نعرفه؛ فجزاه الله خيراً، وقد أنسنا بحديثه الممتع، وبيانه المبدع لما كانت عليه المعاهد العلمية، وما لها من تأثير عقدي وسلوكي في الناشئة اليمنية إذ كان هو أحد خريجيها، وقد أزالته هذه

المعاهد الجفوة بين ما عليه أهل السنة والجماعة وبعض مقلدي الزيدية وبالأخص الجهات التي فيها المعاهد الدينية، وهذا شيء لمسناه في كثير من المساجد التي صلينا بها غير المسجد المركزي (الجامع الكبير)، والشيخ شاعر شاب يافع متحدث يتسم بصفات الشجاعة والبلاغة والبيان مع حسن الخلق والأدب الرفيع، وقد كنا معه في شجار أخوي؛ حيث أراد أن يقوم باستضافتنا في الفندق طيلة المدة التي نقيمها في صنعاء نحن الثلاثة، وتجاذبنا معه الأحاديث الأخوية وأفهمناه أننا بخير، ولا نسمح ولا نرضى أن يقوم بتسديد فواتير الفندق من سكن وإعاشة، وتوصلنا بالأخ علي حمود أن يكون في صفنا وإعانتنا على الأخ الشيخ شاعر، ولا شك أن هذه الصفة عربية وأرومة أصلية في العرب المسلمين غير أن الزمن تغير بتغير المدن، وتقارب البلاد، وتسكين السكن التجاري للزائر والسائح بما يسمى: بالفنادق أو الشقق المفروشة مما يبرر عدم قبول ضيافتنا للأخ الكريم الشيخ شاعر.

وبعد استراحة قصيرة بين الغداء والعصر توجهنا لزيارة العالم الشيخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع الذي طار ذكره وعلاصيته بين الأدباء والمؤرخين، وأبرز ما كتبه مؤلفه المشهور: (هجر العلم ومعاقله في اليمن) ستة أجزاء، ومع أن الشيخ إسماعيل تجاوز التسعين عاماً فإنه بجانبه الهاتف يحيب من سألته ويستقبل من طلب زيارته وقد وعدنا حينها هاتفناه أن تكون

الزيارة بعد العصر أي بعد ساعة إلا ربع من الاتصال به، ومن هذا التحديد عرفنا دقة الرجل وانضباطه.

وجرى السلام عليه بتقبيل رأسه، وكنا أربعة، وقد سألت الأخ المرافق الشيخ علي بأن عادة اليمنيين تقبيل أيدي العلماء والسادة، فهل نفعل ذلك فأشار علينا بأن مثلكم يستحسن منه أن يقبل رأس العالم كما تفعلون مع علمائكم، وبالنسبة إلى عادة اليمنيين في تقبيل أيدي العلماء فإن الأولى تقبيل رؤوسهم، وفعلاً تتابعنا على تقبيل رأس الشيخ ومصافحته، وكل منا يُعرّف باسمه، وهو يتثبت منه الاسم ويعيده بلفظه، جلسنا حوله، وظل يسأل عن أحوال البلاد والعلماء، وذكر لنا الشيخ عبدالله التركي وأثنى عليه خيراً، كما ذكره الأخ عبدالإله الشايع بزيارته لمركز الملك فيصل قبل أعوام وإلقائه محاضرة في المركز عن المخطوطات في اليمن، فذكر وأثنى على علماء المملكة وقادتها^(١) ومما ذكر أن ابن الشيخ إسماعيل من الساسة اليمنيين وكان سفيراً في المملكة، وقد قابلنا من أبنائه المسمى محمداً، وابنه محمد الذي كان في استقبالنا وتوديعنا.

أما الشيخ إسماعيل فقد بلغ من العمر عتياً حيث لم يستطع القيام للزائر وكان جالساً ولكنه متمتع بسمعه وبصره ومع خفة في وزنه، أمضيت مع الشيخ الأكوع عشرين دقيقة تقريباً، وكان منزله مما يشار إليه من البيوت

(١) توفي - رحمه الله - بعد زيارتنا له بشهر تقريباً.

الأثرية الفخمة مما يدل على تراثه ومكانته الاجتماعية، وقد طلبنا من حفيده محمد أن يتحفنا بترجمة لجده مما هو مكتوب ومطبوع؛ حيث سمعنا بذلك، ولكنه اعتذر بعد البحث؛ بسبب عدم وجود نسخة، ووعد بتحضيرها عند زيارته مرة أخرى إن شاء الله، ودعنا الشيخ قبل المغرب، واتجهنا إلى زيارة شيخ آخر من أعلام صنعاء وعلمائها المشهورين، وهو الشيخ العلامة القاضي: محمد بن إسماعيل العمراني يذكر أنه كان قاضياً في عصر الإمام يحيى حميد الدين، كما ذكر بعض طلابه أن ولادته عام ١٣٤٠ هـ وقد اعتاد أن يجلس بعد كل عصر وقبل المغرب؛ لاستقبال الاستفتاءات والمراجعين والمسلمين فكانوا ممن أتوا للسلام فقد اقتربنا من الشيخ فرفع رأسه لينظر من يسلم عليه إذ جاء جالساً على متكأ، وقد وضع له فراش خاص مرتفع عن الأرض بعشرات السستمرات، سلمنا على الشيخ واحد بعد الآخر مصافحةً، وكنا أربعة وكان يرد السلام بتحف وإكرام، ويسأل عن أحوالنا وعن أحوال البلاد، ومما سأل عنه: هل بقي من آل الشيخ أحد في الدرعية، فأجبناه بأن آل الشيخ كلهم سكنوا الرياض قال أحد المجالسين له: أنت إمام أهل السنة في اليمن؛ فلم ترضه هذه الكلمة وقال عن نفسه: إنه لا شيء في العلم، قال: إن زيارتكم هذه؛ لما سمعتم عني ممن يدعوني بالعلامة وأنا لست كذلك.

كان شيخاً مرحاً خفيف الظل يستقبل الاستفتاءات التحريرية ويجيب عليها بقلمه تحت الاستفتاء، ويرد كثيراً من الاستفتاءات إلى المحاكم الشرعية وإلى الدولة إذا كان فيها طرف منازع، وقال عن نفسه: إنه يفتي في الصلاة والطهارة، والحج، وما إلى ذلك من المسائل الكبرى والتي لها مساس بأطراف متنازعين فالأمر يعود إلى المحاكم، يذكر أن الشيخ عندما يكتب فتوى أنها تعرض على الجهات الرسمية لتصديقها وإن لم يكن مفتياً رسمياً إلا أنه محل ثقة من الدولة والشعب.

سأله الأستاذ عبدالإله زميلنا في الرحلة أن يعطينا الإجازة العامة، ذلك بعد أن ذكر الشيخ سلسلة سنده إلى الإمام الشوكاني، وسماه شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وبينه وبين الشوكاني ثلاث رواة، وطلب ورقة بيضاء وكتب بقلمه أسماءنا، وكان يدعونا بالعلامة، فاعترضت عليه، فقال: الجزاء بالمثل؛ أنتم سميتوني كذلك، وكتب لنا الإجازة، وذكر الأخ عبدالإله أن يجيز أولاده معه فأجاب لذلك بسرعة خطه صفحة كاملة وقال: إن رغبتم تصويرها وإعادتها إلي لأصادق على كل صورة فعلت، وحن وقت صلاة المغرب، وأذن المؤذن من غير أن يقول: ((حي على خير العمل)) لا في الأذان ولا في الإقامة، مع أن المسجد من كبريات مساجد صنعاء وفي الحي القديم وهي مركز المذهب الزيدي.

يذكر أن الشيخ العمراني ممن يأخذ بالسنة وينهى عن البدعة في العقيدة والشريعة؛ بهذا التف حوله عدد كبير من الطلاب الراغبين في العلم وقد رأينا بعض جنسيات من شرق آسيا لعلهم من ماليزيا أو إندونيسيا في درس الشيخ، وكان الدرس بعد صلاة المغرب في كتاب ((سنن ابن ماجه)) مع أحكام الشيخ الألباني، وكان الباب في كتاب الأطعمة، وقد كان مع كل طالب كتاب، وكان عدد الطلاب يتجاوز الخمسمائة طالب، وكان الشيخ يلقي درسه بالاقوط (المكرفون) ومما يلفت النظر: كثرة المصورين بآلات التصوير الفيديو، والجوال، والتسجيل الصوتي لدرس الشيخ، ومع أن صوته جهوري إلا أن لهجته اليمنية ومداعبته للطلبة والنكت كانت في دراسة عادة يتخذها، استمعنا إلى درس الشيخ وكان يمرُّ الدرس إمراراً من غير إطالة شرح ولا استنباط أحكام ولا تعرض للغة إلا أنه يقرأ أحكام الشيخ الألباني، بقينا في درس الشيخ إلى قبيل العشاء حيث أنهى الشيخ درسه وأخذ يستقبل الأسئلة، استأذنا الشيخ وودعناه ودعونا له بالتوفيق، وقد ذكر أحد الاخوة أنني سافرت كثيراً للعديد من الدول وكتبت بعضها، فقال لي بروح المرح والمداعبة: لعلك جئت إلى هنا؛ لتضيف لمذكراتك هذا اللقاء.

عدنا إلى منزلنا وكنا على موعد مع الشيخ عبدالرحمن العيزري أحد مدرسي جامعة الأندلس في صنعاء ويحضر الدكتوراه في علم الحديث في

جامعة صنعاء وله مصنفات منها: ((اختيارات الشوكاني)) و((مصنفات الشوكاني وموارده)) وغيرها سألناه عن جامعة الأندلس فقال: هي أهلية مسجلة رسمياً بتمويل من بعض تجار وأخيار المملكة العربية السعودية. بقي معنا ما يقرب من ساعة نتبادل معه أطراف الحديث وكان شاباً مرحاً يظهر منه الجد والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله، وكل دراسته في صنعاء، ذكر لنا أن من علماء اليمن قديماً وحديثاً من يكره الشوكاني؛ وذلك لما عُرف عنه من التجديد والإصلاح وعدم التقيد بالمذهب الهدوي الزيدي، وذكر أن كثيراً من علماء اليمن قد كتبوا عن الشوكاني ولكنهم لم يعطوه حقه ولم ينصفوه حق الإنصاف؛ فلهذا جعلت من صالح أعماله خدمة مؤلفات الإمام الشوكاني - رحمه الله.

الشيخ المذكور له تواصل مع بعض طلبة العلم في المملكة منهم الأخ الفاضل الشيخ صالح العصيمي يواصله بالمراسلة وتبادل كتب، وأخيراً ودّعنا الأخ الكريم ولم يكن لنا به تواصل بعد ذلك؛ إذ عرفنا من حاله أنه ليس كثير الاختلاط بالناس، وأنه متجه لتحصيل العلم، ولا شك أن هذا التوجه سليم وحميد لمن أراد العلم وتحصيله؛ فإن الانشغال بالأمور الاجتماعية والخلافات السياسية تُذهب على طالب العلم وقته مع عدم القدرة على التغيير والتبديل، شكرنا الأخ وشكرنا له الزيارة، وبتنا على خير في فندقنا الشلال الذي وجدناه فندقاً مريحاً فيه جميع الخدمات الضرورة

للمسافرين مع الأدب والاحترام ولم نر في هذا الفندق ما نكرهه أو سمعنا ما لا نريده؛ حيث كان اختياره لنا من الأخوة الفضلاء الشيخ علي حمود والشيخ شاكر الهتاوي.

يوم الاثنين ١٨ رجب أعددنا برنامجاً لزيارة جهات عدة في صنعاء ومنها المكتبات الأثرية في صنعاء، وفي الساعة العاشرة من هذا اليوم وصلنا إلى المكتبة في زحام السكك والأزقة الضيقة داخل صنعاء، ومما يلفت الأنظار في داخل صنعاء كثرة المتاجر المنزلية القديمة، والألبسة المتنوعة من تقاليد اليمن فهي لا تزال تحتفظ بتقاليدها وأعرافها؛ فلذا ظل العرض المتميز لما هو قديم في هذه الأسواق الشعبية القديمة.

وصلنا إلى المكتبة، وكان في بوابتها جندي تطفنا له بالقول في فتح الباب ودخلنا المكتبة، وفي بهوها أربعة رجال طلبنا منهم فتح باب المخطوطات؛ فاعتذروا بأن الأمين المدعو عبد الملك المقحفي غير موجود حالياً وأنه سيعود بعد قليل، وفعلاً عاد عبد الملك وعرفنا بأنفسنا، فتفضل مشكوراً بفتح المكتبة، وزودنا بنشرة عن هذه المكتبة الأثرية وهي تابعة لوزارة الثقافة، أخذنا جولة سريعة على مركز ترميم المخطوطات، ومما رأيناه: الورق الذي صنع من جلد الغزال، وقد أوضح لنا عبد الملك أن جلد الغزال نوعان؛ الكبير منها يستخدم في تجليد الكتب، أما الصغير فإنه تصنع منه الأوراق مثل التي في أيدينا مع إضافة مواد أخرى لصقله، ومن

عجيب ما ذكره أن هذا الورق الجلدي له جهتان: جهة فيها الصوف وهذا أقل وضوحاً في الكتابة، والجهة الثانية أوضح، وقد عرض علينا أنموذجاً من هذه الأوراق الجلدية، وقسم الترميم يذكر أنه في بداية التطوير وكأنه يُعرض بضرورة دعمه ومساعدته؛ لتطوير هذا القسم، صعدنا إلى أعلى وفتح باب الخزانة للمخطوطات، فكان أول كتبنا إياه ما خط عام ٣٦٠هـ، كما أطلعنا على ((مقامات الحريري)) بخط جيد ونقوش وصور ورموز تعرب عن محتوى المقامة، وأطلعنا على كتاب ((تسهيل المنافع في الطب والحكمة)) وهو كتاب ضخيم غير أن المطبوع أقل بكثير، شرح لنا عبد الملك وضع المكتبة، وأنها تابعة لوزارة الثقافة، ومحتواها أحد عشر ألف عنوان، ولا حرج عندهم في أخذ الكتاب وتفتيشه والاطلاع على عنوانه وإعادة مكانه، كما أطلعنا على الفهرسة ثلاثة أجزاء بطريقة بدائية لم يستخدموا الحاسب، هذا ومن قابلناه في المكتبة: الشاب عبدالله الطير وقد ذكر لنا أن في صنعاء مكتبة أخرى تابعة للأوقاف وهي محتويات مكتبة الإمامين يحيى وابنه أحمد أئمة اليمن سابقاً قبل الثورة، وطلب منا زيارة المكتبة غير أنه لم تسنح لنا الفرصة للزيارة.

عدنا نتجول في أزقة صنعاء ومعنا الأخ الفاضل الشيخ علي بن حمود حتى صلينا صلاة الظهر في مسجد الجامع الكبير كما فعلنا بالأمس، ومع أننا بالزري السعودي فلم نر أحداً لا من العلماء ولا من العامة من يبادلنا

التحية ابتداءً أو يحادثنا وكأن الأمر عندهم عادة ولا يستنكر الزائر لهذا الجامع الكبير، كما أننا لم نتعرف على أحد، في الجامع ولم نحاول الاحتكاك بأحد إلا أننا رأينا كثيراً من المأمومين عند أداء السنة والفريضة يرفعون أيديهم عند التكبير وعند الرفع من الركوع ويقبضون أيديهم على صدورهم مما هو خلاف المذهب الزيدي.

عدنا إلى منزلنا بعد صلاة الظهر وتناولنا طعام الغداء، وبعد الساعة الخامسة عاد إلينا الأخ الكريم الشيخ علي، وكان في مخيلته ضرورة زيارة الحجر خارج صنعاء وهي أودية وجبال يزورها السائح، إلا أننا انشغلنا حتى لم نصل إليها إلا بعد صلاة المغرب، وقد تناولنا على قمة هذا الجبل شيئاً من الفواكه؛ العنب والرمان والتفاح، ومكثنا قرابة نصف ساعة في هذا الهواء الطلق العليل، وهو أشبه ما يكون بالسودة الجبلية في أهبها، عدنا بحمد الله وبتنا على خير.

مشهدان لا ينسيان:

يوم الثلاثاء ١٩ رجب عام ١٤٢٩ هـ مشهدان لا ينسيان على بعد ٣٥ كيلو توجهنا من صنعاء إلى مشهد ومنظر تاريخي ذلك هو دار الحجر قصر العجائب في وادي ظهر، ذلك القصر الذي أشيد على صخرة مستديرة ثمانية أدوار أربعة جانبية وأربعة أدوار فوق الصخرة، وبداخله بئر في قمة الجبل

وقد أعد للسياح وبتذاكر رمزية، دخلنا هذا القصر ومرشدنا الأخ الفاضل صديقنا الشيخ علي الجايقي، ومما زفت أنظارنا في أول وهلة أن سعر التذكرة للمواطن اليمني (١٠٠ ريال) يموني بينما السائح (٥٠٠ ريال). دخلنا القصر دوراً بعد آخر ورأينا غرفاً منه مؤثثة تأثيثاً قديماً قالوا: إن هذا مجلس الإمام يحيى حيث كان يصطاف في كل سنة ثلاثة أشهر وليس في الأثاث ما يلفت النظر حيث كانت متكآت عادية والأرضية مفروشة بما يسمى عندنا بالساحة التي لا ترقى إلى درجة الزوالي، وفي مكان منعزل ذكروا أن هذا المكان هو سفرة الإمام أو مكان الطعام، كما رأينا مكان إعداد الأكل من الأفران مجاوراً لمكان تقديم الطعام (السفرة) وعلى العموم فإن هذا القصر مظهر تاريخي وحضاري لليمن واليمنيين وهو من أهم أماكن السياحة في صنعاء، أمضينا قرابة الساعة والنصف وعدنا إلى أمكتنا لتتجه إلى المشهد الثاني وهو بين جبال همدان، قرية ضروان التي ذكرت في القرآن في قوله تعالى: (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين) [١٧] الآيات من سورة القلم، وقد رأينا آثار ذلك العذاب وهو سواد الحجارة وظلمة الأرض وذكر لنا الأخ المرافق أنه تأتي إليه الرياح مختصة بهذه المنطقة يستوحش منها من حولها، كما أنه لا حرث فيها ولا زرع ولا رعي ولا يرتادها أحد إلا للعبرة والعظة.

ومما شاهدناه في عودتنا قرية معمر وقرية ذهبان، وهذان الاسمان للقريتين يشبهان ما هو في خميس مشيط وظهران الجنوب في المملكة العربية السعودية، عدنا إلى منزلنا وبعد صلاة العصر كان قد أُعد لنا جدولٌ عمليٌّ من قِبَل الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع محافظة ريمة، ومن هذا البرنامج زيارة الدورة لتعلم القرآن الكريم للنساء والرجال، وبعد استئذان الأخوات الحافظات جرى إلقاء كلمة من غير ستار مع أنهن محتجبات قرابة (٧٠ طالبة) تم إلقاء كلمة أمامهن في حدود عشرين دقيقة، ومن العجب في الأمر أن هؤلاء النسوة جئن من محافظة ريمة متفرغات للدراسة والحفظ من تاريخ ١٦ / ٧ إلى تاريخ ٣ / ٨ مكفولات بالإعاشة والسكن والتعليم مجاناً فعاتبنا المسئولين عتاباً أخوياً كيف تقدمونهن ولماذا لم تقيموا الدورات حول بيوتهن؟ فأجابوا بأن الأمر يتطلب ذلك، أولاً للتفرغ الكامل ولإيجاد مدرسات أكفاء علماً بأن المدة قصيرة ولا يخل بواجب البيت أو الزوج.

توجهنا من قسم النساء إلى قسم التلاميذ وكان في استقبالنا المسئول عن هذه الدورة وبمعبتنا رئيس فرع الجمعية الشيخ شاعر حسان الهتاري وقد زدنا بنشرات استطلاعية عن مشاريعهم وأنشطتهم في محافظة ريمة وفروعها مع ذكر المزيكين لهذه الجمعية ومنهم الشيخ عبدالمجيد الزنداني، وصلنا إلى مكان الطلبة حيث اجتمع ما يقرب من (١٠٠ طالب) وجرى

الحديث معهم وحثهم على حفظ كتاب الله والتفرغ لطلب العلم، كما نشكر الجمعية التي أسست هذا العمل الخيري لحماية أبناء المسلمين ورعايتهم وتحفيظهم كتاب الله - عز وجل -، وقد رأينا شباباً متهيئاً للدراسة لاسيما أن ظروفهم المالية تحتم عليهم ملازمة الدرس وعدم الانشغال لاسيما وأنهم في الإجازة الدراسية الصيفية، شكرنا الاخوة القائمين على هذا العمل الخيري المبارك، وتوجهنا إلى جامعة الإيمان، وفور وصولنا أذن للصلاة المغرب ودخلنا المسجد.

جامعة الإيمان:

التي أسسها ورعاها فضيلة الشيخ الدكتور رئيس الجامعة عبدالمجيد عزيز الزنداني ونائبه محمد بن علي الأنسي، تأسست هذه الجامعة سنة ١٤١٤ هـ وهي عضو في اتحاد الجامعات العربية، تهدف إلى تخريج العلماء العاملين، وتعتمد الوسطية والاعتدال، وبها أربع كليات: كلية الإيمان، وكلية الشريعة، وكلية الدعوة والإعلام، وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الدراسة في الجامعة عشر سنوات، لا تكلف الجامعة الطالب دفع رسوم دراسية، ويقوم أهل الخير والإحسان بتمويل الجامعة، وقد زكاها عدد من العلماء والأعيان منهم رئيس مجلس النواب الأسبق الشيخ عبدالله الأحمري، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وسماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وغيرهم كثير، ومما لفت

أنظارنا في المسجد تنوع الجنسيات من دول آسيا والبلقان وأفريقيا وأوروبا، ومن المؤسف أن هذا المسجد الذي يقدر طوله بحوالي ٢٠٠ متر وعرض ١٠٠ متر قد صنع من الشينكو الذي لا يقي من حر الشمس ولا من شدة البرد، ولكنهم في طريقهم إلى إعداد مشروع كبير لبناء مسجد في الجامعة قد أسست قواعده، وهم منتظرون أهل الخير لإكماله إن شاء الله، لم نلتق بأحد من مسئولي الجامعة، لأن زيارتنا كانت في الليل.

ثم توجهنا فوراً إلى دار الفرقان، وهي جمعية خيرية تعنى بتحفيظ القرآن وتعليمه بعد الإعدادي وقد شاهدنا ما سرّنا من حسن المنشآت المعمارية والفصول الدراسية ومقر سكن الطلاب وهم كذلك من أجناس مختلفة، وقد خرّجت هذه الجامعة عدداً من الطلبة، يرأس هذه الجمعية الشيخ سعد أحمد حتتوس، والأمين العام صالح أحمد حتتوس هذا والله ولي التوفيق.

يوم الأربعاء ٢٠ / ٧ / ١٤٢٩ هـ أزمعنا السفر للواء إب والذي يبعد عن صنعاء قرابة مائتين كيلومتراً، دفعنا عشرة آلاف ريال للتاكسي بمعدل مائتين ريال سعودي، كان القائد الشاب اليمني صاحب التاكسي له لباقة ولياقة في الحديث، أمضينا معه أربع ساعات في حديث ونقاش وهو يعرفنا بالمدن والقرى، خريج الثانوية المهنية قسم ميكانيكا سيارات، وصلنا مدينة ذمار فقال: ((تشتهو صبح)) بمعنى: الإفطار، ونزلنا وتناولنا الإفطار الساعة الثامنة، وكانت بداية الرحلة الساعة السادسة صباحاً، وفي الساعة

العاشرة هاتفنا الأخ الدكتور علي حاج ونحن على أبواب إب؛ فوصف لصاحب التاكسي الشارع والمنزل، التقينا بالشيخ الدكتور علي حاج أحد اليمنيين المغتربين في المملكة منذ طفولته درس من السنة الثالثة الابتدائية حتى نال شهادة معهد القضاء العالي في الدكتوراه هناؤه الله بمواهبه وقدراته الفكرية والعلمية لقد أفاض علينا من كرمه ومن حسن خلقه ما حببنا إلى بلده إب بكسر الهمزة وسكون الباء وهي أحد الألوية العشرين من المدن اليمنية وتدعى بالمحافظة واللواء في مصطلحنا المقاطعة التي يتبعها عدد من المحافظات، أخرجنا الشيخ علي بكرمه؛ حيث ألزمننا بالإقامة في منزله وقد هياً لنا أربعة أسرة على باب مستقل مما يلي مسجده، ومن الجهة الأخرى مجلسه، وكنا ثلاثة ينتابنا بثلاث وجبات؛ الإفطار والغداء والعشاء، يا له من كرم في عصر الفندقية، جدول الزيارة بأن يكون يومان للسياحة وبقية الأيام للدعوة والمشاركة في الأنشطة ومع وجود الوزارة الاجتماعية والآثار اليمنية إلا أننا لم يكن لدينا من الوقت ما يوجب التقصي لمعرفة الآثار ولكن يمكن أن نعرف بعضاً من ذلك بواسطة الأخ الكريم الدكتور علي حاج مما يخص مدينة إب.

الخميس ٢١ / ٧ وصلنا إلى قمم الجبال الخضراء والتي تزهو على مصائف أوربا في الخضرة والجمال وقد يكون للمزارع اليمني القدرة على سحق سفوح الجبال؛ لتكون مزارع مثمرة بالحنطة والشعير والذرة وأشجار القات، كان الهواء طلقاً والرياح معتدلة والسماء قاتئة ومن أبدع ما رأيت:

الشلالات المنحدرة من جبال شاهقة تصب في الأودية وذكروا أن ذلك طيلة العام وفي الجبال الشاهقة الأودية المنحدرة (وادي الجنات) الذي يمتد ويصب في البحر الأحمر وعلى جنبتي الوادي المزارع، ويمكن لسائق السيارة الجيب أن يتوسط الوادي بسيارته ليختار على ضفافه مجلساً ومتجعاً ليقيم فيه يومه ونهاره من إب إلى عدين ومن عدن إلى النهر والوادي ساعتين من زحام في الطرق المختلطة بالأبقار والأغنام والمشاة، ناهيك بأصوات المنبهات المزعجة ولو من غير حاجة، ولكنها ظاهرة عند قائدي السيارات لكثرة ما يصطدمون به من المواشي وقل منهم البادية هذان العلمان الشلالات والوادي أشهر ما تمتاز به محافظة إب إلا أن الإعلام السياحي لم يصل إليه على وجه الدعاية والكسب وأكثر ما نشاهده هم مواطنون جاءوا من ساحل عدن والحديديّة، ولذا فإنه لا يوجد حول هذين العلمين مقاهي أو استراحات أو أماكن مخصصة للزائر والسائح، عدنا إلى مدينة إب بعد أن خضت ما في بطوننا المرتفعات والمنخفضات مما جعل البعض يغمض عينه حين السرعة في ملتويات الجبال وجلادم الحجارة الصماء.

يوم الجمعة ٢٢ / ٧ كنا على موعد لزيارة العالم الفاضل عبده عبدالله الحميدي خريج الجامعة الإسلامية في المدينة وأحد أعلام البلد، وكان متزيناً بعمامة ويلبس الباطو الطويل الشتوي، تحدثنا مع الشيخ عن وضع

المسلمين من النواحي السياسية والاجتماعية، وكان ملماً بالأحوال، وهو خطيب مسجد الرحمن من أكبر مساجد إب، كما أدينا صلاة الجمعة في مسجد يؤمه أحد العلماء المبرزين: الشيخ عبدالله عبداللطيف كان خطيباً مفوهاً يخطب بحماس، ويلهب مكاناً وأحاسيس الشباب في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، مع الإشارة إلى بعض الاحتفالات المبتدعة في شهر رجب كالإسراء والمعراج إذ أن الإعلام اليمني يفسح المجال لكل متحدث عن سنته أو بدعته فكان بعض المثقفين، لا أقول المتعلمين، ولكنهم من المتدينين يركزون على جانب الذكريات التاريخية في أجهزة الإعلام الرسمية ولعل الإدارة لليمن الجنوبي كان من أسباب الانفتاح وعدم ربط الإعلام بتوجه معين إذ يكثر في الجنوب هذه الرغبة أو بالأصح التوجه البدعي بأنواعه ومثل الإعلام المرئي والصحافة التي تزيد على أربعين صحيفة كل صحيفة تعرب عن توجهات أصحابها فمتى يلتئم اليمن والديمقراطية شعار الكل ودثاره؟! ومن أعجب ما رأيت في لباس الشعب تنوع لباس الأعضاء فمنهم بالبذلة الإفريقية مع ربط العنق وقص الشعر، وآخر بإزاره المربوط وسطه مع الخنجر التي تتطيل إلى ذقنه، وثالث ورابع، فإذا كان المظهر الوطني غير موحد فكيف بغيره.

يوم السبت ٢٣ / ٧ مسجد الرحمن في حي الرحمن بمحافظة إب هنا يكون نشاط الشيخ محمد محمد المهدي، مكث في القصيم خمس سنوات للدراسة، ومن مشايخه الشيخ صالح البليهي صاحب كتاب ((السلسيل))

ويتبع لهذا المسجد أنشطة منها مدرسة الإمام البحاني، والإمام الشوكاني، والشيخ لديه جمعية الحكمة، وقد أهداني أحد تلامذة الشيخ كتيباً عن الزيدية في اليمن قرأت ما احتواه مع معلومات وربط بين الزيدية المعاصرة والقديمة، وقد أبدع فيما كتب ونقل بحسن أدب وصياغة علمية وتقريب بين فئات المسلمين، وإن كان قد أكد أن الزيدية من الفرق الشيعية إلا أنها لا تقول بحصر الأئمة في اثني عشر إماماً، وهي أقرب إلى أهل السنة من بقاية الفرق الشيعية، وسمى كتابه: ((الزيدية في اليمن حوار مفتوح)) ومما ذكر الشيخ في كتابه: ((منهج الدولة))؛ فقد اتخذت الدولة منهجاً يدرس في المدارس بعيداً عن الصراعات المذهبية مستفاداً من كتب الإمام الشوكاني، وذكر أسباباً أخرى دعت إلى تضيق الفجوة بين أهل السنة والزيدية، قلت: إلا أن السياسة دمجت بين الشيعة الاثني عشرية والزيدية بدعوة الإمامة لأهل البيت تكون سرّاً إلا أن يظهر ويبرز سلطانها، ولا حصر للإمامة عند الزيدية في اثني عشر، بل كل ما هو صالح من أهل البيت.

يوم الأحد ٢٤ / ٧ / ١٤٢٩ هـ توجهت من إب إلى مدينة السياني وبها قرية ذي أشرف، وبمعية الشيخ ياسر قائد الصلاحي كان وصولنا الساعة العاشرة صباحاً، وقد كان ياسر يتحدث عن ما نمر به من القرى ومسمياتها، وهي متواصلة تواصل المزارع بسفوح الجبال وقممها، ومما ذكر

أن قرية عرف أهلها بقطع الطرق والاعتداء على من يمر بقريتهم، وقد تحولت هذه القرية إلى قرية آمنة وقرية أخرى تروج الخمر وتبذله للشباب كما شاهدنا أضرحة مقببة على مزارات باسم الأولياء والصالحين قد اندرست بقيت آثارها ومما رأيته في قرية ذي أشرف فيلا محاطة بالأسوار تابعة لمنظمة اليونسكو مهجورة أيضاً كان بها مبشرات نصرانيات بدعوى تعليم الشباب الأعمال اليدوية ولكنها لم تفلح وبقي البناء، إذ القرية لم يستجيبوا لطلباتهم ولم يتعاونوا معهم، أما قرية ذي أشرف وهي تعد من أقدم القرى في مديرية السياني بدليل مسجدتها المعمور بالحجارة والرخام الأبيض، وقد أحدث الترك فيه تهدمات إذ كان أهل القرية يقذفونهم من فوق المنارة وذكر الأخ ياسر أن اليهود كانوا يسكنون في هذه القرية إلى ما قبل أربعين عاماً ثم هاجروا إلى إسرائيل، المقصود من زيارة القرية: الاطلاع على مؤسسة عمر بن عبدالعزيز الخيرية وهي مؤسسة حديثة تمتلك بيتاً لتمارس فيه جميع الأنشطة النسوية والشبابية طوال العام يتركز نشاطها على الحلقات القرآنية، وبعدها توجهنا إلى جبل أعلاه قصر لشيخ قبائل بكيل: أبو لحوم الشيخ سنان وهو يمتلك ما حول هذه الجبال من مزارع، مناظر رائعة وهواء طلق لولا التضاريس والمنعطفات الخطرة.

يوم الاثنين ٢٥ / ٧ / ١٤٢٩ توجهنا إلى مركز الخنساء لحفظ القرآن الكريم وقد أخبرني المرافق أن ما يزيد على سبعين حافظة للقرآن تخرجن من

هذا المركز الصيفي تم إلقاء الكلمة في عشرين دقيقة مباشرة من غير حجاب إلا حجاب الوجه والكفين متخمرات بمروطهن غير العينين، وهذه المحاضرة السادسة للنساء في صنعاء وإب.

ومن الجدير بالذكر أن في مدينة صنعاء مراكز، منها مركز الزهرة للقرآن الكريم النموذجي لتعليم القرآن الكريم للنساء.

وفي مسجد الشيخ عمر المختار يقيم الشيخ عبدالله عبداللطيف درسه بعد المغرب في جمع من طلبة التحفيظ للبنين وموضوعه ((الإيمان)) وكان يضرب الأمثال بالمجاهدين الذين آمنوا وصدقوا وأبلوا بلاء في سبيل الله، وهذا توجه أخذ به الكثير من الدعاة ممن تتلمذ على الشيخ عبدالمجيد الزنداني أو تأثر بكتبه ومؤلفاته، وكلها تدور حول الإيمان، ولا شك ولا ريب أن الإيمان هو مصدر الطاقة للمسلم في الجهاد والبذل والتضحية ولكن الذي عليه نهج الدعوة النجدية في نجد: دعوة الناس إلى توحيد العبادة وما تفيض به من الإيمانيات، والتركيز على تفسير ركني التوحيد؛ الإخلاص والمتابعة مع التحدث عن مراتب الدين الثلاثة؛ الإسلام، والإيمان، والإحسان، وقد أكد لي هذا التوجه عند الشيخ عبدالله عبداللطيف -أعني التركيز على الإيمانيات- ما سمعناه في خطبة الجمعة، وهو المعنى الذي قاله في مسجد عمر المختار ثم ربط الشيخ بين الموضوع وجهاد عمر المختار، حيث قال: يا أبناء مسجد عمر المختار، صافحت

الشيخ مصافحة بدون تعريف أو محادثة وهش وبش، وودعني، وتولى كل إلى وجهته.

يوم الثلاثاء ٢٦ / ٧ / ١٤٢٩ جرت عاداتي في صباح كل يوم قبل طلوع الشمس أن أخطو خطوات يتبعها خطوات في الشوارع العامة الرئيسة، وبعد الإشراق أعرج على أقرب مطعم للإفطار كان ذلك في مطعم الحديدية (إيش تشتي صبح) ماذا تريد أن تفطر؟ (أشا خبز ملح ولحم مدقق) خبز بالفرن ولحم مفروم، وفي الساعة العاشرة منه توجهنا إلى قرية اليهاري على بعد ستة كيلو من إب ولكنها في تقديري ستون كيلومتر حيث التعاريج والطرق الملتوية كانت الرحلة لمشاهدة أنشطة دار القرآن الكريم الخيرية في قرية اليهاري يشرف على هذه الدار الشيخ عبدالكريم قاسم اليهاري، حدثني مرافقي أنه أنشأ مائة وخمسين مسجداً في خلال عشرين سنة في القرية وما جاورها، ومن جهود هذه التي تضم أنشطة عدة: إعداد الدورات التدريبية، والدورات التأهيلية والقسم الداخلي، وقسم الإمتاع.

شاهدت المنشآت لهذه الدار وبها المبنى الرئيس أربعة أدوار في كل دور أنشطة، ومنها قسم النساء الحافظات، وبلي المبنى المسجد والذي يتسع لألف مصلي على أحسن طراز، وقد ساهمت الندوة العالمية ببناء ملاحق لهذه الدار، ومما شاهدته في طريقي إلى اليهاري: مبنى على الخط الرئيس شيدته اليابان هدية لحكومة اليمن مدرسة أهلية للمواطن، وفي اليوم نفسه توجهت إلى جمعية الحكمة الخيرية ومركزها السياسي في تعز، ولها فروع في

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

جميع المحافظات ومنها فرع إب أنشئت عام ١٤١١ هـ، أهدافها إدارة المساجد وإدارة مدارس تحفيظ القرآن، والإدارة العلمية، والإدارة الاجتماعية، إدارة القطاع النسائي، زكّائها عدد من الأعيان العلماء؛ كالشيخ ابن باز والشيخ الزنداني يرأس فرع إب: العالم الفاضل محمد محمد المهدي التقينا بالشيخ محمود المدير العام للجمعية وأخبرنا أن الشيخ سليما المهنا القاضي بمحكمة الرياض سيأتي يوم الجمعة؛ لافتتاح مسجده في إب بناه على نفقته.

يوم الأربعاء ٢٧ / ٧ / ١٤٢٩ هـ ديت إلى مدينة جبلة بفتح الجيم وسكون الباء المتاخمة لمدينة إب في أعلى جبل وقد كتبت الدعايات في الشوارع العامة: (متحف الملكة أروى بمدينة جبلة) وكان ذلك في الساعة العاشرة، والملكة أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي ولدت في عدن عام ٤٤٠ هـ وتوفيت في جبلة عام ٥٣٢ هـ عن عمر بلغ اثنين وتسعين سنة ودفنت في الجامع في جبلة خارج المسجد، وقد شيدت قصراً من ثلاثمائة وستين غرفة عدد أيام السنة القمرية لكل يوم غرفة تبيت بها وتستقر بها، وبكل غرفة منفذ على مطلع الشمس لتشرق عليها ذكروا أنها كانت عالمة تحفظ الأشعار والأخبار وتواريخ وأيام العرب ولها تعقيبات وهوامش على الكتب، وكان تدعى بلقيس الصغرى، قال شاعرهم:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهلال

ورثت الحكم من زوجها أحد بن علي بن محمد الصليحي ودولته تسمى الدولة الصليحية لها انتفاء للفاطمية في مصر، كانت قاعدة ملك الدولة الصليحية صنعاء، ثم اختارت الملكة أروى جبلة لتوسطها لأنها بين نهرين، وأنشأت قصرها وأسمته بيت العز، كما بنت مسجداً مجاوراً له، وبقي من آثارها المتحف المكون من أربعة أذوار، إلا أنه في حجمه لم يكن قصراً، يحتوي المتحف على وصيتها بخط جيد أوضحت وعددت أصناف محتوي خزينتها من الحلى والجواهر مما يقرب من عشرين صفحة بخط متوسط، كما احتوى المتحف على مخطوطات منها: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ونسخاً من القرآن الكريم، والهودج، والمطارح، والمتكآت، وغيرها. وقد أعدت إدارة المتحف مذكرة من ٥٣ صفحة للتعريف بالدولة الصليحية والملكة أروى أنصار الدولة الفاطمية في مصر عصر الخليفة المنتصر، وهل كانت كسوة الكعبة المشرفة تصنع في مدينة جبلة أو في اليمن لعل ذلك لم يكن ولكنهم أوجدوا كسوة الكعبة في المتحف كمثال لصنع الكسوة فيها، والذي تأكدت منه وجود مساكن اليهود على مقربة من دار العز قصر الملكة أروى ولكنها والحمد لله خربة غادروا إلى فلسطين عام ١٩٤٨م وما بعده ويقال: أن جبلة اسم يهودي كان يسكن فيها ويعمل الفخار في الموقع الذي بنى فيه دار العز فاشتراه السلطان عبدالله بن محمد الصليحي عام ٤٥٧هـ وسمى مدينته النهرين؛ لأنها بين نهرين جارين صيفاً وشتاءً، هذا واعتبرت طائفة البهرة أنها من آثارهم التاريخية، وهم

يردونه تعبدًا، وإحياء لذكراهم. من الطريف أن المرشد السياحي في هذا المتحف فتاة في العاشرة من عمرها وهي تجيد اللغة العربية ولغات أخرى ليست إنجليزية بل لغات آسيوية مقابل مائتي ريال يماني؛ أربعة ريال سعودي، ومن محتوى المتحف تجسيد ثلاثة أوروبيين قتلوا في مدينة جبلة قبل أربع سنوات بدعوى أنهم مبشرون نصارى، وهم في الحقيقة يعملون في المستشفى مرضين، والمستشفى تابع للإرساليات التبشيرية، وقد أجري الحكم على القاتل بالقتل، وكتبت عبارات التسامح بين الديانتين الإسلام والمسيحية، واعتبروا فعل هؤلاء يعني تعطيل المنافع ولكن هذا الحادث أحدث رد فعل لدى الإرساليات في اليمن خاصة في القرى والأرياف.

الخميس ٢٨ / ٧ / ١٤٢٩ مطالعة في الصحف اليمنية الديمقراطية ملحق أسبوعي في صحيفة الجمهورية في الصفحة الأولى ثلاث رسوم الرسم الأول: الأكوع في لباسه الإفرنجي مع ربطة العنق (الكرفطة)، الثاني: الأنسي بالزي الوطني الجاكت مع لبس الخنجر والعمامة، الثالث: صورة امرأة سافرة كاشفة الوجه وتحت هذه الصور التحالف الوطني الديمقراطي هل يختلط أوراق التوازن على رقعة السياسة.

وعنوان آخر: العولة وأثرها في الشباب، وتحت صورة امرأة محتجة: القطاع الخاص لا يتفاعل مع تشغيل النساء وهي مقبولة عندما تكون غير متزوجة في العمل بمجرد أن تصبح حاملاً، صحيفة الثورة عدد خاص ٥٦ صفحة الرئيس حضر حفل تخرج أكثر من ٢٨ ألف من طلاب وطالبات

الجامعات، والصحيفة بجملتها سياسية دعائية محلية وعالمية خالية من التعرّيج على شيء من الدين، صحيفة الجمهورية أنجزت ٥٠٪ من المسح الاجتماعي للأسرة الفقيرة رئيس الجمهورية: الإنسان هو الثروة الحقيقية للوطن، توجه الحكومة بإعادة النظر في المناهج التعليمية لتعميق قيم الولاء الوطني، الحكومة تنفق ٢٧٢ مليار ريال على التعليم، ومن كلام الرئيس علي صالح: لا أحد وصي على الشعب اليمني ومن المستحيل عودة الإمامة بعد التضحيات بقوافل الشهداء، ويعني بالإمامة: الحكم الملكي بيت حميد الدين الذي انتهى بالثورة عليه عام ١٣٨٢هـ وقد حكمت أئمتهم قروناً من آخر القرن الثالث الهجري إلى آخر القرن الرابع عشر من عام ٢٨٤هـ إلى ١٣٨٢هـ.

تابع يوم الخميس ٢٨ / ٧ ساقط بنا الأقدار إلى زيارة مؤسسة الصحابة الخيرية، مؤسسها ومديرها جمال بن علي غندل، تأسست قبل أربع سنوات، وزكاها عدد من العلماء في اليمن والمملكة، مشاريعها دعوية ومراكز صيفية وكفالة أيتام وإفطار الصائم وتوزيع التمور وكسوة العيد وأضحية العيد والزواج الجماعي، وفي السنوات الأربع نفذت وشيدت عشرة مساجد، وزوجت ثلاثين شاباً،

وكفلت مائتي يتيم، المقر الرئيسي مستأجر في شقة، والجهاز الإداري أربعة وللجمعية أعضاء مؤسسون وأعضاء عاملون ومساهمون للعمل الخيري، وفي يوم دعيت إلى وليمة عرس كان من الليل، والغداء بعد الظهر،

بحضور مساعدة المحافظة يكثر على المائدة أنواع الأطعمة المحلية الوطنية؛ ومنها الحلبة، ويكثر اللحم المقطع، كلما كاد أن ينفد ما في الصحن زاد المضيف لحماً مقطعاً ويجري الحديث والمداعبة على مائدة الطعام؛ حتى ينسى الآكل، مقدار ما أكل، ويسهل بالحديث المتواصل في ليله ويومه كما التقينا بأخ كان في العراق للدراسة في مرحلة الماجستير وأخبرته بما نشر في وسائل الإعلام الشيعة بأن زائري مشهد موسى الكاظم بلغ سبعة ملايين زائر فقال: هذا من كذب الروافض، فالمدينة بأكملها لا تسع نصف مليون، والمشهد ذاته لا يتسع لعدد المئات فكيف بالألوف والملايين، وذكر أنه عاش في العراق وتعرف على مزارات ومشاهد الشراك فيها مما جعله يؤسس مكتبة أسماها المكتبة السلفية بجوار جامعة إب، وذكر أنه يرُدُّها عدد من الطلاب الجامعيين ورواد البحث والمراجعة.

يوم الجمعة ٢٩ / ٧ شرفني بالزيارة خطيب جامع إب القديم الشيخ عرفات، ووعدته بالصلاة معه يوم الجمعة فكان ذلك بمعية الأخ الفاضل بدر الحاتم من عودة سدر ومن يصطاف عادة في مدينة إب على التاكسي، وليس بتاكسي ولكنه الباص الصغير الذي يحمل عادة جمعاً من الركاب، الجامع وسط المباني الحجرية الجبلية التي تعج بشكمانات الدراجات النارية، لضيق وصعوبة الصعود إلا على أهلها ولو من كبار السن، وصلنا مسجد الجامع الكبير في بنائه الصلب وأعمدته الحجرية، يتوسط المدينة، ومنها تشعبت الشكليات والطرق التي خططت على مقدار سير الماشي والدابة من

الحجر عبر الجبال إذ يقل استخدامها، خطب الخطيب وأبدع بروح الشباب وقوة المجاهد، وصلى غير الخطيب، سألت فقيل: هذا هو الإمام الراتب. دعاني الأخ عرفات، وليست دعوة، ولكنها إلزام كعادة اليمنيين على الغداء. ما هذا يا أخ عرفات؟ قال: هذه سفته، وما هذا؟ هذا شفوت، وما هذا الخبز؟ هذا ملوح. وما شهدته: الموز المقشور على الأرز بجانب اللحم المقطع أكثر الله لحمه وموزه.

يوم الجمعة بعد المغرب في مسجد الرحمن يلقي محاضرة فيه الشيخ عبدالرحمن المهنا القاضي بمحكمة الرياض جاء يفتح مسجد الإمام شُيّد على نفقته أو بواسطته. وما يشار له: تلك الأيادي السعودية الباذلة في سبيل الدعوة والدعاة، فقد شاهدت المنشآت الخيرية ومعظمها المساجد وعلى نفقتهم وبواسطة الجمعية والأفراد من أهل اليمن كجمعية التكافل الاجتماعي الخيري وجمعية الحكمة ومركزها الرئيسي في تعز، ولها مكاتب في صنعاء وحضر موت وعدن والحديدة.

إب رمانة اليمن

لك أن تصف الرمانة باستدارتها وخضرة قشرتها، وحلو وحموضة طعمها وتراكم حبوبها من الفواصل الرقيقة بين حباتها وهي إب المدينة الحلوة بهذا الوصف تخلق بيئة اجتماعية وسلوكية يتناسق مع طبيعة التضاريس.

إب تتنامى بها الأنشطة الدعوية بمسميات الجمعية الخيرية العامة ساعد على ذلك ترسيم كل عمل ولو بصفة فردية رسمياً، يسجل في وزارة الشؤون الاجتماعية وبهذا الاعتراف أثرت الجمعيات بموارد مالية من الخارج كما تم تشغيل سواعد تعمل لصالح الوطن باسم الدين والوطنية، ومما زاد في النشاط الدعوي السني وجود كتل غير منهج أهل السنة يزاحمون العمل الخيري والديني في اليمن، سألت أحد سائقي التاكسي عن هذه العمارات المزينة بحجارة أشبهت بما يسمى عندنا بالسرّاميك فقال: هذه آثار المغتربين، أما المواطن المقيم في بلده لا يمكنه الحصول على مثل هذه، وقد أعجب بعمارة مجاورة لبيت الشيخ علي حاج فقال: صاحب هذه العمارة أمريكي متجنس متزوج أمريكية ويمنية، ومثله كثير في دول عربية وأوربية وأمريكية مما يصدق قول صاحب التاكسي: إن هذه الظاهرة العمرانية من كسب اليمني خارج بلده وهناك عمارات متشابكة نلفت النظر بتصميمها وهندستها فقال: هذه للبهرة يصطافون بها عادة في الصيف ثم يعودون إلى وطنهم.

يوم السبت ٣٠ / ٧ سمعت أنشودة وطنية هيجت القريجة بالأبيات التالية:

أشجاني منك لحن وأنت اللحن والطرب
يا منشداً شعر أوطان بها العجب
شمخ الجبال بها الأشجار سامقة
خضراء تربتها وأرضها ذهب
من سفح مرتفع شلالها سكبت
عذب المياه زلال الشرب لو شربوا
أنهار وداي الجنات^(١) لو عقلت
طيورها أنشدت شعراً به الطرب
يا إِب^(٢) أنت ملاذ الشاجي تغمره
أشجانه من يراك يهرب التعب
انظر لجبل^(٣) ما آثار من سلفو
ملوك حمير من شادوا فخرها العرب
ما قبل الألف وفوق الألف قل مائة
أروى^(٤) تشيد مناراً قصراً وهي تحتجب

(١) وداي يسير طوال السنة يصب في البحر الأحمر.

(٢) هي المدينة الثانية بعد العاصمة صنعاء عرفت بجمالها وجبالها.

(٣) عاصمة الدولة الصليحية في القرن الثالث إلى الرابع الهجري في اليمن.

ما ضر شمساً بتأنيث لها وصفت
ولا الهلال إذا ذكرت يقرب
عد المنازل عد العام جملتها
في كل يوم تحل الشمس ثم تغرب
كم شيد وأهلها حصناً ومرتفعاً
قلاع حرب إذا ما الحرب تلهب
هذا الرقاع رقاع الخط تكتبه
أنامل من طغى عليها الدهر والحقب
تدعى السعيدة وهي اليمن مطلعها

فأبدلوا الفتح ضمّاً صح الصدق لا الكذب
الأحد ١ / ٨ / ١٤٢٩ هـ وصلت بنا عجلة التاكسي إلى جامعة إب
الجامعة الحديثة تأسست عام ١٩٩٦ م وهي خامس جامعة حكومية في
اليمن من حيث تاريخ إنشائها وتهدف إلى:

- ١ - تنشئة مواطنين يؤمنون بالله متمينين إلى وطنهم وأمتهم.
- ٢ - العناية باللغة العربية وتدريسها وتطوير المعرفة بإجراء
البحوث العلمية في مختلف المجالات إلى آخر ما ذكر من أهداف وعدّد ١٣.

(١) ملكة الدولة الصليحية المتوفاة سنة ٥٣٢ هـ شيدت قصر العز من ثلاثمائة وستين غرفة
عدد أيام السنة القمرية.

وجامعة إب عضو في اتحاد الجامعات العربية، وعضو في اتحاد الجامعات الإسلامية العالمية وللجامعة أقسام عدة: الكليات الإنسانية وتشمل: كلية التربية، وكلية الآداب، وكلية التجارة، والكليات العلمية وتشمل: كلية العلوم، وكلية الزراعة، والهندسة، والطب، وهي وإن كانت حكومية إلا أنها تأخذ رسوماً رمزية: رسوم الدليل خمسمائة ريال، ورسوم الدراسة ألفان وثلاثمائة، ورسوم الحكومة خمسمائة، وتقبل الجامعة الطلبة من داخل اليمن وخارجها سواء على منحة دراسية أو على النفقة الخاصة تقع على الخط الدائري تحيط بها الأسوار من جهاتها الأربع ولا حرج أن ترى الطالبات يراجعن القبول والتسجيل مع الحجاب الكامل والأدب الإسلامي دخلت الجامعة وسألت عن المكتبة فقالوا: لا يوجد مكتبة خاصة للطلاب وإنما هي المكتبة السلفية التابعة لجمعية الحكمة خارج الأسوار وعند البوابة الرسمية عند الجامعة.

يوم الاثنين ٢ / ٨ / ١٤٢٩ هـ اتجهت إلى تعز بالنقل الجماعي بستمائة ريال يماني قيمة التذاكر ما يعادل اثني عشر ريال سعودي على بعد ستين كيلو من إب تختلف المناظر اختلاف التضاد، فالجبال التي تكسوها الخضرة اختفت عن الأنظار بجبال سود غرايب، وأبهة المنظر عند الرجال في إب بالعمامة والخناجر الجنبية وصفاء البشرة تستبدل عند أهل تعز بالإزار الملون والقميص نصف الكم والإحتباء عند الجلوس بخيط أعد لذلك بعرض عشرة سنتيمتر، فإن لم يكن فبغترته، اختلفت عوامل الطبيعة فاختلف

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

الطبع، وفي فندق النصر تعمل المراوح ليلاً ولا يوجد مكيف حتى في المساجد مع الحاجة إليه وحرارة الجو، وقد تعد من الكماليات، ومما لفت نظري عند دخول تعز لوحة كتب عليها: مركز جباية الضرائب على القات، إنه القات القاتل لأونات المدخنين المدمنين عليه، وفي جولة سريعة في شوارع تعز رأيت منارة طويلة ومأذنة مسجد على مرتفع جبل تلفت النظر بزخرفها الملون بالأخضر، وبعد وصولي إليه رأيت ما كتب عليها: مسجد الحسن بن علي -كرم الله وجهه- فإن لم يكن مسجداً شيعياً فهو مسجد بدعي.

لم أتصل بأحد في تعز مع رغبتني في رؤية مسجد معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قيل: إنه نزل أول ما نزل في اليمن هناك، غير أن تبدل الحالات وصور المعاملة أوجبت سرعتي بالتوجه إلى عدن مع وجود بعض عناوين الجمعيات والأفراد في تعز في الصباح الباكر يوم الثلاثاء ٣ / ٨ / ١٤٢٩ هـ كان توجهي إلى النقل الجامعي بثمانمائة ريال يماني قيمة التذاكر، وعلى بعد مائة وستين كيلومتراً من تعز صادف أن كان بجواري في المركب رجل يماني من شبوة بالجنوب جرى الحديث معه إلى درجة الإغلاق في الأحوال السياسية والاجتماعية والدينية، كنت أظنه عاملاً لا يعرف شيئاً في الحياة فإذا هو قاموس مرجعي في شئون الحياة اعتنق الشيوعية فالبعثية العراقية فالناصرية، وقال: جربت المبادئ، وخضت غمار الأفكار المستوردة وقال:

ليس هناك حياة بغير الإسلام، هاأنا أعود إلى التوجه السلفي السعودي وكل ما تلقينه ليس عن قناعة، ولكن الجو السياسي والاجتماعي يملي علينا إرادته من غير قناعة ولا التزام عقدي وإنما هي المظاهر والشعارات وهاهي تذهب أدراج الرياح.

يوم الثلاثاء ٣ / ٨ / ١٤٢٩ هـ دخلنا عدن وفي المنصورة نزلت فندق قصر المنصورة فندق شعبي بألفين ريال يماني أربعون ريالاً سعودياً اليوم الواحد واللييلة، وعلى بعد أمتار منه مسجد الرضا الذي أصلي فيه صلاة الظهر فأجد مئات المصلين تضيق بهم مداخل المسجد ومخارجه على سعته وكبره.

عدن التي نعمت بالاستعمار الإنجليزي أمنأ واستقراراً ورخاء حتى كانت طعمة للشرق الشيوعي الماركسي وفي ذلك العهد كنت في عدن عام ١٣٩٧ هـ فرأيت من كتم الحرية وإظهار لإباحية، ومنار الإلحاد قد ارتفع سنه، ودارت الحرب بين شمال اليمن وجنوبه حتى كانت الجمهورية الديمقراطية حلت محل الشيوعية، فكانت المتنفس للإسلاميين بالكلمة والموعظة الحسنة، حنانيك بعض الشر أهون من بعض واتحدت اليمن وأصبحت دولة واحدة مع طول الانفصال وتباين الفعال جبت شوارع المنصورة وهي مدينة تبعد عن عدن قرابة أربعة كيلو يفصل بينها وبين عدن القديمة بحر ولكنه مردوم أشبه بالجسر بين المدينتين ومجاورة لمدينة

المنصورة مدينة الشيخ عثمان وفيها أسواق تجارية وكثافة سكانية، ومن مآثر الإنجليزي التخطيط لمدن عدن بالشوارع الواسعة المستطيلة المزدوجة، هاتفت الشيخ عارف دحلان رئيس جمعية الحكمة في عدن وعقدت معه موعداً وكان ذلك صباح يوم الأربعاء ٤ / ٨ / ١٤٢٩ هـ.

الأربعاء ٤ / ٨ / ١٤٢٩ هـ توجهت إلى جمعية الحكمة فرع عدن، وهي على مقربة من الفندق، فكان لقائي بأعضاء الجمعية وعدد من الدعاة المعبر عنهم مديرهم الشيخ عارف دحلان، وبعد التعريف أهديت له كتابي ((حقائق في مرآة الزمان)) قرأ التعريف على الغلاف فسر بذلك وتمتم بكلمات الترحيب إذ أن بلسانه عجمة أو لثغة، سألت هل تجدون معوقات ومصادمات مع الآخر قال: نعم: الرفض على أشده، والصوفية في أوجها، والسياسية من وراء ذلك، سألت: من أشد من يعارضكم؟ فقالوا: جماعة الشيخ مقبل الوداعي، فقد مات - رحمه الله - وتبنى تلامذته حركة سياسية تلتقي مع الحوثي بل مع إيران، وهو القول بأن إمامة أهل البيت باقية، ومع سلفيتهم إلا أنهم يتحالفون مع جماعة الحوثي بهدنة على أن يكف كل عن الآخر. هل لهم وسيلة إعلام تبرهن عن أفكارهم؟ نعم أشرطة وصحف ومنها صحيفة البلاغ وخطب على المنابر وفي المساجد، طلب الشيخ عارف أن أعود إلى المركز ليلاً؛ ليكون اللقاء بالدعاة المنضمين في جمعية الحكمة ليجري الحديث معهم، فكان ذلك، وكانوا قرابة العشرة، جرى الحديث

معهم في أساليب الدعوة وأهم ركائز العمل، وبينت ثلاثة طرق هي الخطوط العريضة للدعوات القائمة؛ تفسير التوحيد بالحاكمة أو توحيد الربوبية، أو توحيد الانقياد هو ما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.

أمضيت معهم ساعتين أعقبه العشاء والانصراف، ولا أعرف لمن لقيت فيهم الحماس والاندفاع إذ أن وسيلتهم قاصرة وأساليبهم تحتاج إلى إعادة نظر، سألوني عن وسائل الدعوة فقلت: الإكرام والمحبة والاحترام وإشعار الآخر بعدم التعالي عليه، وتعليمه ما يجهل وخاصة المتسمين بالعلم ثم تظهر الحقيقة بالواقع العملي. سألت عن مزار العيدوس الذي ملئت الكتب من ذكره ومدحه وقدحه، ركبت الباص بثلاثة قروش مع جمع من الركاب، وصلت المسجد وأمامي لائحة بترجمته وذكر موته وولادته في القرن الثامن الهجري، وعلى جانب المسجد الكبير مسجد صغير فيه ستة قبور وقد غطيت باللون الأخضر وبارتفاع نصف متر والمصلى بجانب القبور يكون عن يساره المقابر. رأيت شاوين كل منهما يقرأ القرآن متجهين إلى القبور بصوت خافت، عرجت على الجامع الكبير وهو جامع أثري قديم قدم مقبرة الشيخ عيدروس وعلى بعد أمتار منه تكون المقابر لآل العيدروس ولكن لا قباب عليها. تجولت في المسجد وسألت عن المكتبة فلم أجد القائم عليها، خرجت لأصلي في مسجد ليس فيه مقبرة تجولت في

عدن فرأيت مقبرة اليهود مسورة، وذكر لي أن اليهود يدفعون إيجاراً؛ للحفاظ عليها. كما شاهدت معبد البهرة في المباني القديمة المهجورة، وشاهدت المتحف الوطني سكن السلطان القعيطي ولم أدخله إذ أنه مغلق بعد الظهر، واكتفيت برؤية المتحف الحربي في عدن.

في يوم الخميس ٥ / ٨ / ١٤٢٩ هـ أتوجه إلى جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية في عدن القديمة، وبواسطة تاكسي توصلت إليها فكانت في مبنى دائرة حكومية مؤجر للجمعية، التقيت بالأمين العام ومدير العلاقات وعرفتهم بنفسي فكان ترحيباً يوحى بالتمازج الروحي ووحدة الاتجاه الدعوي، بحثنا جوانب عدة وأوضح الأمين العام ركائز العمل في الجمعية مراكز دعوية وإغاثية وتحفيظ القرآن وتعليمه وعدد أنشطة عدة كما زودني بنشرات إعلامية عن منجزات الجمعية فرع عدن. ثم عرضوا علي زيارة الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم وجمعية اقرأ فكان ذلك بصحبة الأخ أيمن على سيارة الجمعية، كانت جولة مباركة تعرفنا على الكثير من أحوال عدن وأخبرتهم بأنني زرت عدن عام ١٣٩٧ هـ ولا مقارنة بين الحال هذه وحال الماضي والحمد لله كانت الوحدة بين شطري اليمن ودواعي الائتلاف والتعاون، عدنا إلى مقر الجمعية بعد صلاة الظهر في المسجد، وأصر الأخ ناصر -أحد منسوبي الجمعية- على دعوتي للغداء في فندق خاص بالضيوف والمناسبات، فكان ذلك مما أجرى تبادل الأفكار

والبحث في أحوال الدعوة والدعاة، ودعوني بعد أن أوصلوني إلى الفندق على أن يكون لنا لقاء يتكرر إذ بقي لي في عدن أربعة أيام ليكون سفري يوم الثلاثاء إن شاء الله.

وفي اليوم نفسه توجهت إلى المتحف الحربي وسط مدينة عدن القديمة من طابقين بمعية الأخ أيمن من جمعية الإصلاح، ودفع الرسوم، تجولنا في المتحف وبه فنون الأسلحة القديمة لبيت حميد الدين يحيى وأحمد وبعض زعماء وشخصيات عدن جنوية ووثائق تاريخية كوثيقة معاهدة الطائف وقعها من الجانب السعودي خالد بن عبدالعزيز آل سعود، لم يكن عليه إقبال، ولم أر سائحاً عربياً أو أجنبياً في المتحف، وغالب رواده من سواد الناس وهم قليل، بحثت عن الفندق الذي سكنته في عام ١٣٩٧ هـ فقالوا: هُدمَ وهو الفندق الوحيد الذي خصص للأجانب غير اليمنيين، عدن والتي كانت في احتلال الإنجليز مائة وتسع وعشرين عاماً شأنها شأن المستعمرات ترضى من اللحم بعظم الرقبة، ومع هذا فقد بقيت آثار الاستعمار بارزة المعالم في التخطيط الهندسي العمراني وفي بعض الأحياء كمديرية المعلا كأنك في لندن عمارات من خمسة أدوار موحدة الشكل بين شوارع رئيسة ثلاثون متراً وأكثر وأقل، سألت عن حي لينين في عدن الذي بناه الشيوعيون فقالوا: لا يزال ولكن ليس بهذا الاسم، عدن صالح لأن يكون مركزاً تجارياً عالمياً ينافس سنغافورة ودبي عسى ألا يكون تبقى عدن

بلداً إسلامياً طاهراً من منتجات الشركات الاستهلاكية ومعلبات الشرق في قالب الدعاية والاستغلال.

يوم الجمعة ٦ / ٨ / ١٤٢٩ هـ قراءة في ما لدي من النشرات والإعلانات والتعريف بمراكز الدعوة والتعليم كل جهة تعليمية أو دعوية تعرف عن ذاتها بالنشرات والكتيبات فكان لدي حصيلة مما يهدى بغية الدعم والمساعدة ولو بالدعاء:

١ - الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم لها نشرة (مائدة القرآن) في الصفحة الأولى صورة الشيخ سلمان العودة والشيخ عائض القرني يزكون الجمعية وغيرهم من اليمن.

٢ - الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع محافظة ريمة، ولها نشرة بعنوان النور، كان لفرع الجمعية في عدن نشرة بهذا العنوان (النور).

٣ - دليلك إلى التكافل تصدرها جمعية التكافل الاجتماعي الخيرية في إب، ونشرة أخرى بعنوانين الخير، وتعداد المشاريع المستقبلية للجمعية.

٤ - جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية لها نشرات ودوريات زكاها سوار الذهب وسلمان العودة وعبدالمجيد الزنداني وغيرهم من الأعيان والعلماء.

٥ - الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم فرع إب ولها نشرة عن مراكزها السنوية وصور من إنجازاتها ومشاريعها المستقبلية.

٦- دار القرآن الكريم النموذجية الأهلية صنعاء العطاء المتجدد
نشرة في كتيب صغير ملون فيه نظام الدراسة وحديث الصور.

٧- الدليل التعريفي بمؤسسة الصحابة يضمن التزكية من علماء
يمنين وسعوديين، الشيخ سعد الحميد وعمر العيد مع بيان المشاريع
المستقبلية وتكالييفها.

٨- دار القرآن الكريم الخيرية البهارية وهي مستقلة غير مرتبطة
بالجمعية الأم.

٩- مدرسة عمر بن عبدالعزيز مديرية السمانى تعمل استقلالاً غير
مرتبطة بأحد.

١٠- جمعية الحكمة اليمانية لها نشرة مسيرة الخير.

وفي عصر يوم الجمعة سألت عن المنتزهات وأماكن الترفيه في عدن
وأشاروا إلى كورنيش الشعبي على البحر بين عدن والمنصورة فاتجهت إليه
وكان فعلاً كورنيشاً ولكنه كان خالياً من الرواد لا مواطن ولا غيره سوى
عدد قليل العوائل اليمنية وعلى امتداد الكورنيش كراسي خشبية جلست
إلى جانب شاب بعد الاستئذان سلمت عليه وقلت: أنا إسماعيل بن عتيق،
فقال: أنت من شبوة فقلت: لا أدري، فقال: عندنا آل عتيق من شبوة فهل
أنتم الأصل أم هم؟ فقلت: كنت بجوار رجل من شبوة في سفري من تعز
إلى عدن وأكد لي وجود آل عتيق في شبوة، اتجهنا إلى المسجد لصلاة المغرب
ثم دعاني لشرب الشاي في مقهى قريب من المسجد تحت عمارة أسفلها

دكاكين وأعلاها جامعة سبأ، سألت الشاب: هل هذه الجامعة أم قسم منها؟ فقال: هذه جامعة أهلية، ويمكن أن تكون أصغر من ذلك، والأخ الشاب من مواليد خميس مشيط، وكان والده يعمل بها ويتأسف على ما حصل بين المملكة واليمن مما سبب تنظيم السفر بين البلدين، عدت إلى المنصورة لأصلي صلاة العشاء في مسجد الرضا بعد أداء سنة المسجد دعوت شاباً في الثانية عشر من عمره سألته من أي القبائل؟ فقال: من الضالـح. لماذا جئت إلى عدن؟ للاشتراك في دورة تحفيظ القرآن الكريم، من يكفلكم؟ الجمعية تهيب لنا السكن والإعاشة والتعليم ثم نعود إلى بلدنا وقت الدراسة في المدارس الحكومية وبهذه البعثات الشبابية ترى المساجد بالأخص الكبريات منها تتزاحم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم من قبل صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء غرس يرجي ثماره إن شاء الله.

يوم السبت ٧ / ٨ / ١٤٢٩ هـ جولة على المكتبات التجارية قريبة من مسجد أبان بن عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - مكتبة الثقافة، دار الكتب العربية، مكتبة خالد بن الوليد، مكتبة أم القرى، ولكنها في عدن غير كثيرة وأكثرها قرطاسية وأدوات مكتبية كنت قصدت شراء كتاب الشيخ إسماعيل الأكوـع ((هجر العلم ومعاقله في اليمن)) فلم يكن من المعروضات رغم شهرة المؤلف ووطنيته إلا أنه من الشمال مسجد أبان بن عثمان بن عفان صليت به صلاة الظهر سألت: من بنى المسجد؟ فقالوا: أبو

عبدالرحمن الحكم بن أبان بن عثمان -رضي الله عنهم- وقبره في قبلة المسجد عند المحراب وقفت على القبر وقد كتب عليه لوحة حديثة قبر أبي عبدالرحمن الحكم بن أبان بن عثمان بن عفان ولم يكتب التاريخ وقد غطى القبر بخرق بالية غيرت لونها حرارة الشمس القبر مكشوف وكأنه مهجور لا رواد له ولا سياح، وقد كنت توجهت قبل ذهابي إلى المكتبات إلى جمعية الحكمة في عدن أنشدها مرشداً للمكتبات فاكتفوا بكتابة أسمائها واعتذروا لأنهم في استقبال رجل سعودي ينظر لبعض المساجد واحتياجاتها، هذا ومما يجدر ذكره أن أئمة المساجد وخطباء الجمع خارج مدينة عدن القديمة ممن تأثروا بالتوجه السعودي السلفي بل وفي المساجد من مطبوعات المملكة ونشرات الدعوة والمطبوعات الشيء الكثير، رأيت في محراب المسجد شرح التوحيد للشيخ صالح الفوزان ورسائل للدعوة للشيخ عبدالعزيز بن باز وابن عثيمين ومطويات لدار القاسم بالرياض والحمد لله رب العالمين.

مطالعات في صحيفة الشارع الأسبوعية ستة عشر صفحة وفي الصفحة الأولى تفاصيل عن حسين الخوئي وجانب آخر عن قصة الصراع داخل الزيدية ومع مقبل الوادعي والوهابية حين حاول عام ١٩٩٧م إلقاء محاضرة في جامع الإمام المهدي في صعدة فاكتظ الجامع بالمسلحين والتفت عصي الخيزران حول رقبتة، وفي الصفحة السادسة من الصحيفة تفاصيل العنوان مع صورة الوادعي والخوئي، تحدثت الصحيفة عن الشيخ مقبل

وتأثره بالوهابية بعد أن حج وأقام في المملكة مدة ليست بالقصيرة كما تحدثت بإعجاب عن مدرسة حسين الحوئي والتفاف الشباب حوله غير أن الشيخ مقبل وصراعه مع الزيدية في صعدة شكل مركزه في (دماج) مصدر إزعاج وقلق على متدييات الشباب المؤمن ويعني بالشباب المؤمن أتباع حسين الحوئي وفي جانب الصفحة مسجد ضرار ذكر أنه ذكر أن محسناً سعودياً بنى مسجداً وشرط أن يكون إمامه وهابياً، وقد تندررت الصحيفة على الشيخ مقبل بأنه يحرم الكوسة والخيار؛ لأن حجمهما وطولهما يشهي المرأة للجماع، وأهم من هذه دعوى ارتباط الحوئي بإيران وينفي صحة ذلك لأن شيعة إيران يقولون بالإمامة الاثني عشر من أهل البيت والزيدية تطلق الولاية لأهل البيت، والذي يظهر أن صحيفة الشارع هي من الصحف المؤجرة المتاجرة بالكلمة لبث النزاع بين المسلمين.

الأحد ٨ / ٨ / ١٤٢٩ هـ الإنجليز يرممون آثارهم في عدن، بقي من آثار الإنجليز الذين دام حكمهم لعدن والمحميات مائة وتسعة وعشرين عاماً بقيت المقابر والكنائس وساعة بق بن وتمثال الملكة، أما المقابر فيدفع الإنجليز عليها الإيجار كما هي مقابر اليهود والساعة في أعلى الجبال على شكل ساعة بق بن من غير جرس، والتمثال يرمم بتلميعه بالدهانات والطلاء، والكنائس يعاد ترميمها، ومما ذكر لي أن كنيسة في عدن حولت إلى مرقص، في عهد الشيوعية ثم كانت مدرسة والعمل الجاري في تحويلها من

مرقص وأندية سمر أهل عدن سيكون على الحالة الأولى أيام الإنجليز فلا اضطراب أمني، والبواخر التجارية تمخر البحر من المحيط إلى شط العرب بالبضائع والمنتجات الأوروبية، والتجارة مزدهرة، ورأيت نفقين فقلت: هذا من آثار الإنجليز؟ فقالوا: بل هو من الصين بتمويل كويتي، كان موعدنا لحضور حفل مركز الإتقان للعلوم الشرعية التابع لجمعية اقرأ بمناسبة تكريم المتفوقين من حفظة القرآن الكريم في قاعة تجارية مدرجة كان الحفل تحت رعاية مدير عام مكتب الأوقاف والإرشاد في عدن، بدأ الاحتفال بالأنشيد الشبابية ثم قراءة نماذج من الحفظة على مختلف الأعمار، فتقديم الهدية الرمزية، وقد زدونا بنشرة عن المركز فيها أنه مركز مخصص للعلوم الشرعية والقرآن وعلومه.

وفي مغرب هذا اليوم هاتفني الأخ أيمن من جمعية الإصلاح؛ فنحن على موعد لحضور حفل تكريم في مسجد الرحمة بمديرية الروضة فكان ذلك في وقته حيث جرى الحديث معهم في مسجد يكتظ بالطلاب الحفظة ومناولة الفائزين المتفوقين الجوائز، وبعد صلاة العشاء توجهنا إلى المرفأ للبواخر والسفن التجارية ثم إلى المنتزه البحري بصحبة الإخوة الثلاثة وبدعوتهم أقاموا حفل عشاء السمك، وكان نسمة البحر في الجو اللطيف المنعش يبحر الحديث وطول الجلسة يمتد إلى الساعة العاشرة نشكر الإخوة على دعوتهم ومؤانستهم وبالأخص القائمين على جمعية الإصلاح الخيرية

وجمعية اقرأ التقينا بالعالم الفاضل الواعظ الشيخ محمد بافضل من حضر موت لكنه يقيم في الرياض منذ ما يزيد عن أربعين سنة كما التقيت بموظفي القنصلية السعودية لتسجيل الجواز، والشكر والدعاء لمن ساهم في خدمة الأيتام حيث ذُكر لي أن بعض موظفي القنصلية يشارك ويساهم في هذا المجال، وقد ذكر لي الإخوة أن ما يزيد على اثني عشر ألف صومالي هم لاجئون في عدن وفيهم الأيتام وكبار السن في مخيمات خارج المدينة تحت رعاية منظمات دولية إنسانية كما يسمونها مع ما تقوم به الجمعيات الخيرية كجمعية الإصلاح وجمعية اقرأ في هذا الدور المحمود أعانهم الله.

يوم الاثنين ٩ / ٨ / ١٤٢٩ هـ كان ختام الجولات والزيارات جمعية الإحسان الخيرية فرع عدن وهي على شاکلة أخواتها من الجمعيات الكثيرة والتي تعنى بكفالة الأيتام، وحلقات القرآن، وحفر الآبار، وزواج الشباب، وتوزيع التمور، وفي لقائي مع أعضاء الجمعية سرني التوجه المعتدل الذي يبنني على الإخلاص وتحرر العمل الخيري بجميع أسبابه. وكلمة أخيرة في اليمن الجنوبي عدن يظهر أن هناك وئام غير عادي بين المملكة واليمن أعني الشعبين حيث تبادل الزيارات، وحضور حفلات الزواج ساعد على ذلك كثرة اليمنيين في المملكة ومن هو مولود فيها، أو عنده الإقامة الدائمة مما جعل هذا الارتباط يسفر عن توجه تربوي سموه التيار السلفي السعودي يظهر ذلك في أئمة المساجد في ترك البداءة بالبسملة في الصلاة والجهر بالنية، وأقولها كلمة حق بأنني لم أر شعباً أرق

طبعاً وأحلى عذوبة في الكلام في حدود طاقتهم كشعب اليمن الجنوبي، من النساء من يمارس العمل في المكاتب والمتاجر والفنادق فلا ترى عليهن آثار سوء محجبات بالنقاب الساتر الكامل باللباس الأسود والكف، وفي المساجد قد تتعدد الجماعات في أداء الصلوات لكثرة المصلين بنسبة ٨٠٪ من الشباب مما دفعني أن أقول هذه الأبيات عن عدن مع وجود طوائف أخرى كما هي في البلدان المستقلة من المستعمرات ولكن من يغمرهم سحاب السواد الأعظم هم المسلمون والحمد لله.

شعراً:

كان اللقاء وكان الحب والقبل
فهل أراك بعيد الحب تنتفل
حدا بي الحسن إذ كنت الريب له
أن أنظم الشعر في وصف له مثل
وما اشتياقي لشيء كنت أضمره
إلا الذي شدي من حسنه أمل
جنات عدن إذ ما فتحها غلط
فسكنوا الدال كيما يصدق المثل
تلقي سلاماً بأصوات مرخمة
تنبيك عنهم شفاه فوقها مقل

لباسهم وزرة والشد من وسط
لبس التكبر مرفوض ومبتذل
إن كنت مؤتمناً فاركن لساحتهم
أهل الأمانة ما خانوا وما نكلوا
مسالمون لهم في السلم منقبة
ينبيك عنه فلا خوف ولا وجل
هم الذين سعوا والدين أظهره
آباؤهم أين ما حلوا أو ارتحلوا
معاذ أرشدهم للدين وانتظموا
ولكن أسود العنسي لا قالوا ولا فعلوا
أوصى الرسول علياً أن يخاطبهم
خطاب ودفاً حادوا وقد نكلوا
أقبل حديثي وقولي عن عدن
حديث صدق فلا سهل ولا جبل
الثلاثاء ١٠ / ٨ / ١٤٢٩ هـ عودتي إلى الوطن من مطار عدن إلى
مطار الملك خالد الدولي بالرياض، ومن الفوارق أن ذهابنا إلى اليمن

بالخطوط اليمنية بألف وثلاثمائة ريال سعودي، وعودتي بسبعمائة ريال، فقلت: لماذا هذا الفرق؟ فقالوا: مراعاة للمسنين، سألت عن أجرة النقل الجماعي فقالوا: من الرياض إلى صنعاء مائتي ريال سعودي ومن صنعاء إلى الرياض مائة ريال سعودي ولعل هذا التنظيم لتسهيل الخروج من اليمن أجنبي أو غيره أمضينا ساعتين في الجو وكان الإقلاع في الساعة الثانية ظهراً وبعد مرور ساعتين هبطت بنا الطائرة في المطار والحمد لله على السلامة أمضيت خمسة وعشرين يوماً في اليمن؛ في صنعاء أربعة أيام، وفي تعز ليلة واحدة، وفي إب ثني عشر يوماً، وفي عدن ثمانية أيام، عدت بمعلومات تعجز السطور عن رقمها، المناخ، قمم الجبال، مسالك الناس، الأحوال الاجتماعية، الظاهرة الدينية، الطيبة البشرية، دور السياسة، الطوائف، القبيلة، في سير عجل الشعب العبث بمقوماته من وراء ذلك السياسة الخارجية ودعوى العلمانية والديمقراطية، ولإتمام الفائدة؛ سجلت بعض المظاهر الاجتماعية في عدد من الأرقام، وما أحمله أكثر، ويصعب حصر الأحوال إلا على سائح اجتماعي متخصص، وسائح فضولي يكتب ما يقال: ويرى من غير حاجة لتسجيله وتدوينه، وأعتذر عما كتبه أن كان زل قلم أو انزلق قدم، والعذر عند كرام الناس مقبول.

ظواهر اجتماعية في اليمن

١- الزي التقليدي اليمني في اللباس والثوب أو الإزار للرجال مع التمنطق بالحزام يتوسطه الخنجر مما يوجب رفع الثوب أو الإزار إلى منتصف الساق، والكثير يفضل أن يكون طويلاً خاصة طلبة العلم، وعلى الرأس تشد العمامة، وليست عمامة بالمعنى السوداني، ولكنها غترة تلف على الرأس بطريقة سريعة يكون لها ذيل وطرف أمامي لا تعيق على العمل ولا تشغل المصلي.

٢- مشاركة الأطفال في الأعمال فترى الطفل في العاشرة من عمره يشارك أباه في المتجر يدير المتجر في غياب والده، وفي العاشرة ترى من يحمل على ظهره سطلاً بالمبرشوم (التين الشوكي) ليسوقه على المارة بتقشيريه وبيعه، وفي المطاعم من يكون أحد عماله وأمام الفنادق ماسحي السيارات من الأطفال، وقد سألت أحدهم: ما شغلك؟ فقال: مرشد سياحي. ولعل ما حصل هو نتيجة الفقر، أو يكون ذلك عادة في البلد كما هو عند المزارعين ورعاة الأغنام قديماً، ولا شيء في ذلك إذا كان قادراً على التحمل.

٣- حفلات الزواج يكون في ضحى اليوم إلى ما بعد الظهر وفي الليل تزف المرأة إلى زوجها، كما ظهرت في المدن حفلات الزواج الجماعي برعاية الدولة والمنظمات والجمعيات الخيرية أربعمائة فما فوق يعد لهم حفل واحد لا أدري عن مشاركة النساء؛ لأن حفل الرجال قد يكون في الأندية الرياضية أو سعة من الأرض.

كثرة الجمعيات والمنظمات الإنسانية أعني بالجمعيات الخيرية والمنظمات الإنسانية والمساعدات الخارجية، تصور جهد رجل واحد يعمر مائة وخمسين مسجداً بين القبائل وقمم الجبال بالحجر والخرسانة المسلحة، وآخر يكفل ثلاثة آلاف يتيم في محافظة واحدة، وثالث يقوم بشراء مركز للجمع الدعوي كمركز التكافل الاجتماعي وجمعية الحكمة اليمنية وهذا مثال، أما المنظمات الإنسانية فتشمل المستشفيات ودور التعليم والعمل المهني والطرق من دول عربية وأجنبية، واليمن يفتح ذراعه لكل راغب وطالب كيف تملأ جوعه خمسة وعشرين مليوناً باقتصاده المحدود وتتابع الولايات على اليمن في ظروف داخلية واختلافات طائفية ناهيك بالإعلام المرئي الذي فتح الشهوات وأوضح عن المخبات ومع الهجرة المتزايدة فإن اليمن ينمو نمواً يضاهي كثيراً من العواصم ذات الثروة ومنابع البترول والتسول المشروع لأصحاب الجمعيات والمراكز الخيرية والشيعية بمدها المتواصل للزيدية التي تريد الطائفة الاثني عشرية أن تستميلها فقد منحت ثلاثة آلاف طالب من اليمن ليدرسوا في إيران وتخص منهم من ينتمي إلى البيت الهاشمي بواسطة المركز الثقافي الإيراني في اليمن، وأخطر من ذلك وإن كان هذا خطراً ما صرحت به مصادر من صعدة قصر الحوثي وجماعته أنه يتبعه ستة آلاف مركز دعائي للدعوة الزيدية، وشيء ثالث جماعة البهرة أو الباطنية الذين أنفقوا على اليمن بمؤسساتهم الإنشائية، وتنظيم صفوفهم بصفة سرية يعملون على إعادة حكم الفاطميين الذي كان في اليمن في القرن الثالث والرابع الهجري وقاعدته جبلة.

٥- حرية الرأي ومجال الكلمة: أطلقت الحكومة على نفسها لقب الديمقراطية ليحكم الشعب نفسه عن طريق الكلمة والاختيار فلذا عجت جميع الاتجاهات إلى إصدارات الصحف والمجلات والنشرات والدوريات وطبع الكتب ليعبر كل عن آرائه وتوجهاته بلسان القلم ويطلب تحقيقه تجاوزت الصحف أربعين صحيفة سيارة يومية وأسبوعية مع ضعف الإمكانيات الاستيعابية لمشكلات المجتمع الأساسية يتضح ذلك بضعف الإخراج وسهولة النقد غير المركز وبساطة التسعير غير أن الصحافة الرسمية كصحيفة الثورة هي أكثر انتشاراً وأقدر على الإخراج أضف إلى ذلك خطباء الجمعة والدعاة المجهولين فلا رقابة عليهم وليس لهم رابطة في وزارة الشؤون الدينية إذ المساجد كلها أو جلها على نفقة المواطن وبجهود الجمعيات الخيرية والفرد المحتسب فلا سلطة إدارية على المساجد في اليمن وقد حاولوا معالجة الأمر بافتتاح معهد عالي للتوجه والإرشاد بالتعاون مع الأزهر ليسد فجوة الخلاف بين ما عليه الشعب من ثقافات متعددة وما تريده الدولة، وقد راجت نظرية الديمقراطية العلمانية والليبرالية في اليمن وبالأخص في المحيط الشبابي، وإن كانت المرأة اليمنية بخير فلا سفور ولا اختلاط ولا عهر ولا دعارة ولا مراقص وسمر ولا كؤوس تدار في السحر، والشعب اليمني متدين بطبعه يسعى في معيشتة والعمل الصالح نفسه ولجوئيته.

٦- القات في كل الأوقات بالأخص بعد الظهر تنفتح الأصدقاء ويصعب الكلام، لا أدري كيف أطبق اليمنيون أو الكثير منهم على هذه الظاهرة السيئة وما يقولون: إنه مر لا لذة فيه ولا حلاوة، ويرتفع ثمنه ويقل حسب الجودة والرداءة.

٧- الحجاب قد لا يصح أن نسميه ظاهرة؛ لأنه تعبد وطاعة لله، ومع أن المرأة في جنوب اليمن تشارك في الأعمال بحجابها وسترها في الفنادق وتنظيف الشوارع من الجنس الأسود، وقد سرنى حيث رأيت شخصاً له اهتمام بالجنس الأسود بالأخص الأطفال منهم بالرعاية والتعليم لإصلاح حالهم، خلال مشاهدتي لاحظت أن المرأة في اليمن الجنوبي تخاطب الرجال بكل انفتاح وأدب بخلاف المرأة في الشمال فإنها لا تخاطب الرجال إلا في الشوارع العامة وفي الحافلات كل في سبيله.

٨- حرية الأديان والمذاهب في القديم والحديث: تعترك المذاهب والديانات والقبائل والأنساب والطوائف في اليمن، فبعد دخول الإنجليز كانت عدن ملتقى للديانات الآسيوية الهندية ومنها النصرانية الهندوكية والمجوسية غير أنه لا معابد تظهر غير الكنائس وطوائف أخرى كالبهرة، وجل اليمنيين هم المسلمون على المذهب الشافعي والزيدي إلا أن الثورة

الإيرانية وبواسطة مركزها الثقافي في صنعاء يحاول جاهداً لربط الزيدية بالإمامة الاثني عشرية مع وجود فوارق أصولية في المذهبين ولاشك أن الزيدية تضيق الفوارق بينهم وبين أهل السنة لو أن جمهورهم معتزلة، ويقولون بتقديم علي على الشيخين، وللغائدة وإتمام الإيضاح أختم القول بالفوارق بين المذهبين.

الفوارق بين الزيدية والإمامية الاثني عشرية:

١ - القول بتحريف القرآن، الزيدية كبقية المسلمين يقولون بأن القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب الله بينما الروافض يقولون بأنه حرف وبدل وزيد فيه ونقص منه.

٢ - القول بكفر الصحابة، يكفر الروافض الصحابة أجمعين كأبي بكر وعمر وعثمان وأمّهات المؤمنين وغيرهم ولا يستثنون إلا خمسة فقط.

٣ - القول بعصمة الأئمة، الروافض يقولون بعصمة الأئمة الاثني عشر بل يقولون بتفضيلهم على الأنبياء والمرسلين ما عدا رسول الله ﷺ أما الزيدية فلا يقولون بعصمتهم وإن كان بعضهم يقول بعصمة علي.

- حصر الإمامة باثني عشر إماماً وقالوا بكفر من لا يؤمن بولايتهم ويكفر من ادعاها من غيرهم كائناً من كان.

٥- رفض إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، بل تعدى ذلك إلى القول بكفرهما ولعنهما، أما الزيدية فيقولون بصحة إمامتهما.

٦- التقية، يعتبرها الروافض بمنزلة الصلاة، لا يجوز لأحد أن يتركها قبل خروج مهديهم المزعوم، الزيدية لا يعتبرون التقية إلا في الحالات الضرورية.

٧- خرافة المهدي في السرداب، فالروافض يقولون بأن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر عندهم والذي زعموا أنه ولد عام ٢٥٥هـ ودخل السرداب في غيبة صغرى قرابة ٦٩ عاماً، ثم دخل في غيبة كبرى من عام ٣٢٩هـ واستمرت إلى عصرنا هذا.

٨- مصادر الاستدلال: زعم الروافض أن القرآن حُرِّفَ وبُدِّلَ ونُقِصَ وأما بالنسبة للسنة فهم لا يأخذون بها ويطعنون في مصادرها كالبخاري ومسلم وبقية أمهات الحديث، أما الزيدية فيأخذون من كتب السنة وإن كان لهم مصادر أخرى كمسند زيد ويقولون بإجماع الأمة.

٩- تكفير المخالف لهم من المسلمين والقول بنجاسته واستباحة ماله ودمه أما الزيدية كغيرهم من المسلمين فلا يكفرون غيرهم إلا بمكفر.

١٠- زواج المتعة: انفرد الروافض من بين كل الفرق بجوازها ومشروعيتها وخالفهم في ذلك جميع الطوائف ومن خالفهم الزيدية وجميع المذاهب.

١١- التحالف مع أعداء المسلمين ضد المسلمين ولك أن تنظر في التاريخ لتجد ذلك واضحاً في موقف الطوسي وابن العلقمي والتحالف مع التتار ضد الخلافة العباسية أما الزيدية فلا يفعلون ذلك.

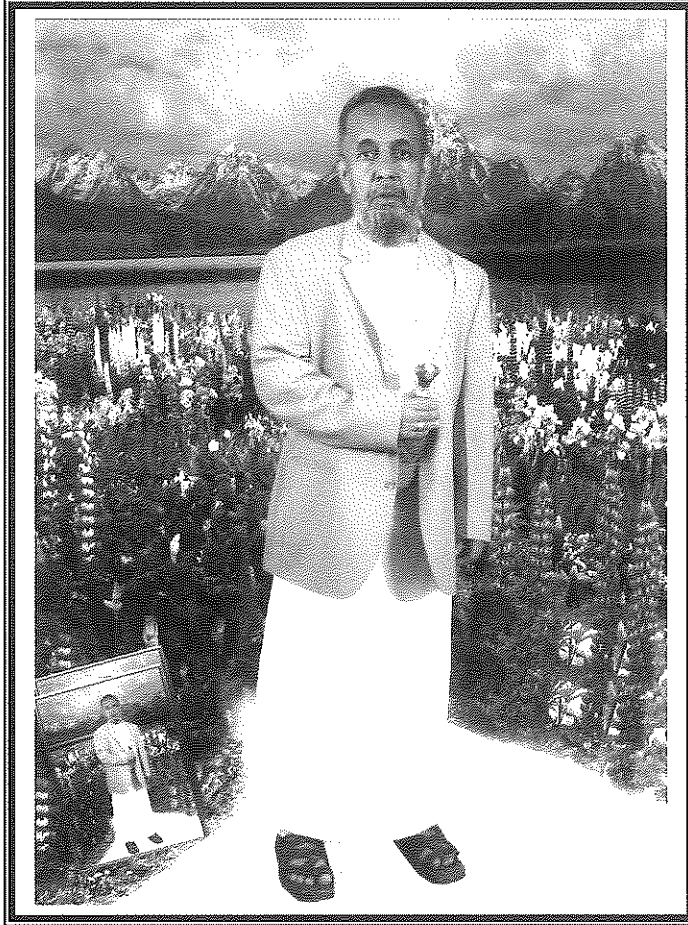
١٢- من المرجعيات عند الروافض مخالفة أهل السنة يعني: إذا كان لديهم قول في مسألة فالراجح عندهم القول الذي يخالف المعمول به عند أهل السنة أما الزيدية فلا يقولون ذلك.

١٣- ومن الفوارق عند الرافضة يقولون بالمسح على الرجلين، ومن هذه الفوارق لا تعني أن الزيدية موافقة لأهل السنة في كل شيء بل إن اتباع المذهب الزيدي يشبه الخطر الرافضي وخطر مبادئه ومعتقداته، إلا أن المسافة بين الزيدية وأهل السنة أقرب من المسافة بين الزيدية والرافضة هذا مع أن جمهور الزيدية معتزلة في معتقداتها ويقولون بتقديم علي على الشيخين ومعظمهم يطعنون في بعض الصحابة كعواوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم لذا وجب الرد على الرافضة وبيان حقيقة المذهب الزيدي لبراءة المذهب الزيدي مما ألصق به من التشويه بجعله كالباطنية أو الرافضة ولذا يقفل الباب على الرافضة الذين يتخطفون عوام الزيدية لظنهم الاتفاق بين المذهبيين، وكذا اتضح المذاهب للسواد الأعظم وهم أهل السنة وتبين حقيقة المذهب وأنه بريء من مذهب الروافض.

وكذا المشاركة في رد الباطنية المتفق عليه بين أهل السنة والزيدية وغيرها.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أما: إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد عتيق
في شهر شعبان ١٤٢٩ هـ بمدينة الرياض



إسماعيل بن عتيق في اليمن الشمالي

(١٠) اليمن الجنوبي وعاصمته عدن

في الشهر الحادي عشر من عام ١٣٩٧هـ، وبعد جولتي في جيبوتي والصومال توجهت إلى عدن، بعد محاولة كادت أن تفشل في الحصول على تأشيرة دخول عدن من جيبوتي، والتي كانت أعني اليمن الجنوبي في كنف الشيوعيين الملحدين من ذيول الروس والصين، وكان محظوراً أو شبه محظور على العرب غير المنضمين إلى الجناح اليساري دخول عدن، ولكن بعد إلحاح وتوسط من جهات رسمية دبلوماسية حصلت على التأشيرة ولمدة خمسة أيام فقط.

وصلت إلى عدن، البلد الحبيب الطيب الذي ظل على ثغرة من ثغور الجزيرة العربية (باب المندب)، والذي ما يزال محط أنظار الأمم واتجاه السياحة من غرب وشرق، ما كدت أتسلم جوازي من مطار عدن وأدلف إلى السيارة حتى أسر إليّ صاحبي بالخبر الدستوري الذي أصدرته حكومة عدن بتخفيف الحكم من الإعدام إلى ما هو أخف منه على من يتلبس بجريمة اتصال بأجنبي داخلي أو خارجي.

ويعتبر الأجنبي هو : غير اليمني الجنوبي، والاتصال أدناه المحادثة، وكان هذا الخبر عنوان ينطبع في ذهني عن هذا البلد العزيز والعهد على ناقله، إلا أن الخبر اليقين هو أنني ظللت أجوب البلاد وأدخل المساجد

والمقاهي والأندية، فلم أرَ من يقول: السلام عليكم ولا من يرد عليّ السلام إلا سرّاً وبدون صوت، انقطع الأمل من الاتصال بأحد أو كاد ينقطع حتى ألم بي أحد رجال المباحث وسألني: هل أنت حضرمي؟ وقد سمعت أنه من كانت عليه سمة الحضارمة يرسل للتجنيد قسراً، فنفيت بشدة وقلت: أنت لا تعرف الناس، أنا سعودي من نجد، ثم سأله: ما هو عملك؟ فقال: خدمت في الجندية عشرين سنة واليوم أعمل حارساً في هذا المكان، وأشار إلى عمارة قريبة منا، فرددت عليه أن عمل كهذا لا يكفل لك كرامتك بعد مضي عشرين سنة في الخدمة، فقال: آه أرضكم أرض السعادة والخير، الله يعلم الحال.

أذن لصلاة المغرب فقلت: هيا لنصلي، فقام ونهض معي مسرعاً وهو يحدثني بحذر وصوت خافت حتى صلينا المغرب فنظرت إليه حتى قام ليؤدي سنة المغرب فخرجت مسرعاً، ولكن ما كدت أخرج من باب المسجد حتى رأيت الرجل خلفي، فعرفت مهمته وهي التجسس.

مدينة عدن هي البلد العربي الأصيل المتحضر الذي ما يزال في بداية الطريق لمستقبل مظلم قاتم إلا أن يتداركه الله برحمته، لم أرَ ثغراً باسمًا أو أسارير وجه متطلعة على من يصب الشعب العدني جام غضبه، أهو على السياح وهم قليل، أم على النظم المستوردة الغاشمة، يرجع علم هذا إلى من غضب وثار.

اكتفيت من عدن بإعجابي بالأمن التام إلا من جهة واحدة (الدولة) وبرؤية العمارات الشاهقة التي كانت إبان الاستعمار الغربي والتي أصبحت مأوى كثير من الشعب اليمني المسكين، وعن قبر العيدروس المعبود الذي سمح له أن تفتح أبوابه للزيارة والتبرك طيلة النهار ومعظم الليل ويتبعه مسجد يزخر بالمصلين والزائرين، وهو الواجهة العريضة للإسلام في عدن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في حي لينين:

ولجولة على مدينة عدن رأيت حياً من المباني الحديثة، قد كتب عليه (حي لينين) وهو هدية من الدولة الشيوعية لحكومة عدن، وما أكثر العناوين واللافتات بأسماء الماركسيين وزعمائهم في عدن البلد العربي الإسلامي الأصيل.

تجولت في الحي، ورأيت أمراً عجيباً وهو الصمت، وإن شئت فقل الظلم، رغم هذا السخاء الشيوعي والإغراء للشعب العدني بتبني الشيوعية، قال لي أحد الناس: إن بهذا الحي تنظيم خاص للأسرة العدنية، ومن البرامج المتبعة أن تكون اللقاءات النسوية في الأندية بعد الواحدة ليلاً ليكون الرجل في بيته وبين أطفاله والمرأة تباشر عملها بعد الواحدة ليلاً حتى الصباح ليبدأ عمل الرجل في الصباح حتى بعد الظهر، ولا يدري الرجل أين تذهب المرأة، ولماذا تذهب، ولا يحق له السؤال والمناقشة.

ومما بلغني أن الملك فيصل - رحمه الله - كلف رئيس الجمهورية المصرية أنور السادات أن يتفاوض مع حكومة عدن بإلغاء تسمية هذا الحي (لينين)، فرفضت الحكومة، رغم أن الدولة السعودية أو الملك فيصل وعد بناء حي مماثل لحي لينين، ولكن التعصب من حكام عدن آنذاك أصروا على التبعية للشرق الملحد الشيوعي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقفة على البحر :

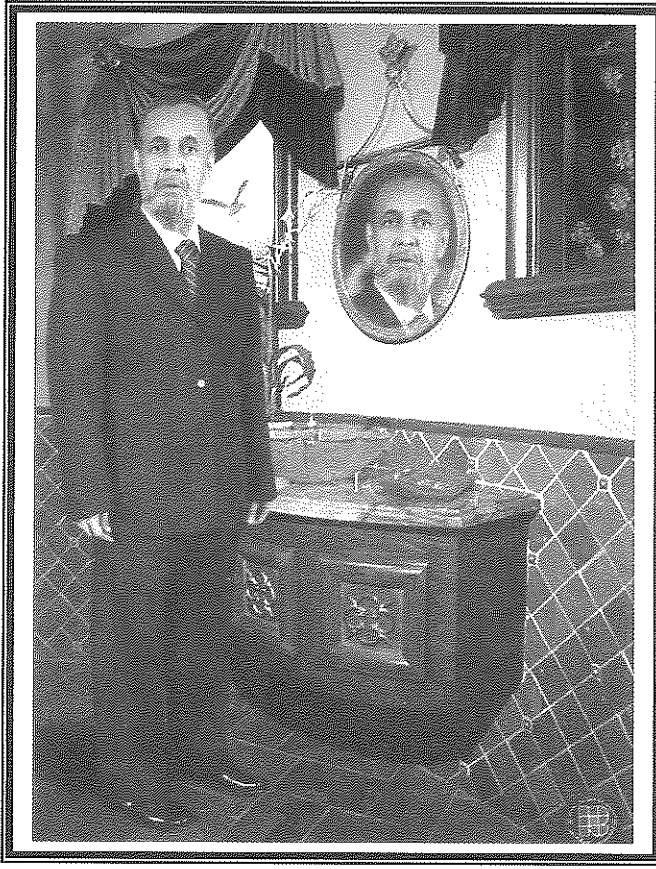
وقفت على البحر العربي وحدي، وكان عن يميني شيخ معمم على بعد خمسة أمتار، نظرت إليه بابتسامة لعله يرد ببشاشة وجه أو فرح بلقاء، فقد رأيت عليه سمة التدين، فهو ملتحي ومتعمم، ولكنه لا يقدر على الخروج من الدستور الجهنمي.

رأيت أنه وهو يسكب عبرات الدموع، تعبر عما في نفسه وما يكنه ضميره من مودة ومحبة للمسلمين وخاصة من يفد من المملكة العربية السعودية، ولعل هذا آخر قدرته على التعبير، والله المستعان.

مكثت في عدن خمسة أيام لم أكلم أحداً، ولم يكلمني أحد حتى خدتم الفندق تكون خدمتهم بالكلمات السريعة العاجلة والخفة الخائفة، اللهم إلا في سفارتنا السعودية، فقد كان لقائي بهم يومياً وهم يحذرونني من التحرش بأحد اليمنيين، قال لي مندوب السفارة: لقد جاء أحد كبار علماء هذا البلد يطلب تأشيرة زيارة لمكة المكرمة والمدينة المنورة فأرسل جوازه مناولة

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

سائقه، فلما علمت أنه موجود عند بوابة السفارة نزلت إليه للسلام ودعوته لتناول فنجان قهوة حتى تنتهي إجراءات تأشيرة الزيارة، فقال لي: صراحة أود هذا، ولكنني في حرج، فأرجوك لا تخرجني ولا توقعني في مشاكل، والمعنى أن دخول هذا العالم للسفارة السعودية فيه إحراج وإيجاد مشاكل لهذا العالم، ومثله كثير، والله يتولى عباده وهو أرحم الراحمين.



إسماعيل بن عتيق في اليمن الجنوبي

(١١) الباكستان

البلد الإسلامي الكبير الذي انفصل عن الهند عام ١٩٤٧م ليقيم دولة إسلامية أو خلافة راشدة، وقد تنبأ بظهور هذه الدول الشاعر الفيلسوف محمد إقبال فكانت، ولكن على غير المراد، وقد كان قائدها الأول محمد علي جناح الإسماعيلي الباطني، وتلاه زعماء من النحلة الشيعية، ومع سوء المعتقد والتوجهات الغربية والتأثير الذاتي على أولئك الزعماء القادة في باكستان المتحررة من دولة الهندوك، ومع وجود المنظمات الثلاث التي تعمل لقيام الحكومة المسلمة في الباكستان على تطبيق الشريعة الإسلامية، وتلك هي رابطة المسلمين (مسلم ليك) وجمعية علماء الإسلام والجماعة الإسلامية وحزب رابع جمعية علماء باكستان، وإن كان الأخير من أنصار القبور ودعاة الوثنية، رغم وجود هذه المنظمات مع العواطف الجياشة لشعب الباكستان وحيه للإسلام لم يتحقق شيء مما تنبأ به الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال، والذي كان قد مات في الباكستان وقبر في مسجد لاهور في ساحة بارزة منه يرمزون بذلك إلى أن هذا الفيلسوف من قادة الفكر ودعاة الاستقلال لدولة مسلمة في الباكستان.

راجعت الذاكرة وفتشت في المخيلة عسى أن أجد ما أكتبه عن الباكستان والتي تكررت زيارتي لها من عام ١٣٨٣هـ، بل وتم لي الاستقرار بها والتجول في أهم مدنها وبعض قراها، ونلت منها شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من أكبر جامعة بها هي جامعة بنجاب فلم أجد ما أكتبه

في مخزون الذاكرة، فعدت إلى الملفات والدوسيات فوجدت الكثير مما كتبت أو كتب لي عن الباكستان، وكما قيل: خيره حيره، فلم أجد ما أبتدىء به سوى مقال كتبه عن الباكستان ونشر في مجلة الدعوة السعودية وبه أقول: شاء المولى القدير أنه بعد عودتي من شرق أفريقيا يصدر الأمر بالتوجه إلى الشرق الأقصى ومن الباكستان وعن الباكستان أجمل حديثي عن الباكستان حديث المواطن العارف دقيق وطنه وجليله، فلقد كانت أول زيارة للباكستان سنة ١٣٨٣هـ، ثم تلتها زيارات متكررة وكنت لها مديناً حيث أضفت علي بفضل نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة بنجاب بلاهور، فحق لي أن أقول وأطنب وأتحدث وأصدق، إلا أنه حديث صحفي يتطلب الإيجاز حتى لا أحدث مللاً ولا أفرط جلاً.

والباكستان بلاد صاحبة مليئة بالأحداث ولئن قيل عن الهند أنه بلد العجائب، فالباكستان من فصيلته أو الجزء الأهم منه، وحيث أننا نسير في خط الدعوة إلى الله والإصلاح الديني ودراسة الأحوال العقائدية، ومن هذه النافذة كان حديثي ومطلع أنوار مداركي والله المستعان.

فكرة الباكستان:

منذ القرن الأول الهجري وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبعد فتوح السند والإسلام يسري في القارة الهندية سريان الماء في عروق الشجر، وامتد خارج الهند في سيلان والنيبال وبورما وغيرها، وقد توالى

على شبه القارة الهندية حكام مسلمون وغير مسلمين طيلة القرون الماضية، وقد ظلت الأكثرية للهندوك مع عزة المسلمين ومكانتهم الاجتماعية إلى أن عمل الإنجليز على ترجيح كفة الهندوك على المسلمين.

وقبل جلاء الإنجليز تخوف المسلمون على أنفسهم فيما إذا حكم الهندوك حكماً مباشراً وهم أقلية لا تزيد عن ٢٥٪، فلا وزن لهم في الحكم والإدارة، كما أن المسلمين استاءوا من مجاورة الهندوك وخاصة الطبقة الهندوكية المنبوذة التي تعاني الذل والهوان من قبل الطبقات الثلاث وتمارس ما يزدريه الإنسان المعاصر، وأراد المسلمون أن تكون لهم دولة يمارسون فيها كافة تعاليم دينهم وتبليغ شريعتهم فكانت فكرة الباكستان تدور في خلد كل مسلم، وقد تنبأ بذلك الشاعر المسلم محمد إقبال وتبعه زعماء المسلمين في حزب الرابطة حتى تم التقسيم عام ١٩٤٧ م. فكانت المناطق التي يكثر فيها المسلمون البنغال والبنجاب والسند وبلوچستان وبلونستان والبشاور وما جاورها من الحدود الشمالية ويقدر سكانها آنذاك بمائة مليون، أي ربع سكان الهند، ولكنه لم يتم هذا التقسيم إلا بعد مجازر دامية أودت بحياة مئات الآلاف من البشر من كلا الطرفين الهندوكيين والمسلمين، وظلت الحرب سجلاً بين الهند والباكستان حتى غنمت الهند تقسيم الباكستان وعزل باكستان الشرقية عن أختها الغربية بما أسموها بنجلاديش.

الباكستان بعد التقسيم:

ظل المسلمون ينتظرون نظام الخلافة وتحقيق الأمان التي كانت تختلج في نفوسهم وفي سبيلها ضحوا بكل غالٍ ونفيس لقيام هذه الدولة المسلمة التي سيكون لها قيادة العالم الإسلامي في تطبيق أحكام الدين وحدوده، إلا أن الزعماء السياسيين لم يكونوا ملمين بتعاليم الشريعة ولا بقوانين الإسلام، وليس لديهم سوى العاطفة الدينية والشعور بعزة الإسلام وظهوره في شكله المتمثل في سلوك المسلمين وأعمالهم فلم يتجهوا للإصلاح الجذري لا في المحاكم ولا المناهج التعليمية سوى أنهم ينظرون لوضع العالم الإسلامي المعاصر فيرون أنهم يسرون في موكبهم وفي مضمار واحد.

وهكذا حتى يومنا هذا والحكومة الباكستانية حكومة علمانية لا صلة لها بالدين البتة، من حيث التشريع والحكومة الإسلامية أو كما يسمونه (نظام الخلافة الراشدة).

موقف العلماء وأصحاب الرأي من الاتجاه السياسي غير

الإسلامي:

نجم في باكستان بعد التقسيم عدد من الأحزاب كلها تريد تطبيق الشريعة الإسلامية والمطالبة بنظام الخلافة الراشدة ومن أشهرها وأكبرها:

حزب الرابطة الإسلامية (مسلم ليك) تبنى في دستوره المطالبة بتطبيق نظام الشريعة الإسلامية، ولكن الواقع يواجههم، وكما حدث للقادة السياسيين المتناوين عن الحكم فكذلك وقع مثله لزعماء رابطة المسلمين، ولم يستطع هذا الحزب تحقيق هذا الغرض رغم شعبيته وقوته سوى التمتع بهذه المحاولة وإرضاء الجماهير بهذه التخييلات التي عجزت عن تحقيق الواقع، ومن هذا الحزب انبثقت جميع الأحزاب الأخرى سوى حزب الجماعة الإسلامية فإنه كان موجوداً قبل التقسيم بسبع سنوات، ثم قام العلماء بتأسيس حزب أسموه حزب جماعة علماء الإسلام، وأرادوا من ذلك تطبيق ما عجزت عن تحقيقه الرابطة المسلمة فلم تمكث حتى انقسم هذا الحزب إلى شعبتين كبيرتين متباينتين في العقيدة والاتجاه، وسمت الأخرى نفسها بحزب علماء باكستان، وهذا الحزب من أخطر الأحزاب على الإسلام وخاصة في العقائد، فهم أرباب الوثنية التي سموها بالإسلام من عبادة القبور ونشر الخرافات والبدع، وجعلوا من مبادئهم العامة إحياء الخلافة المصطفوية، يعنون بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أبعد من هدي الرسول تباعد المشرقين، ومن أخطر ما يعتقدونه قولهم: إن الرسول نور وليس بشر.

وظلت جمعية علماء الإسلام تسعى على قدر حتى استطاع الرئيس السابق أن يجعلهم شطرين كذلك شطراً في كفته والشرط الآخر في

الأحزاب المعارضة، ومضى الزمن ولم تحقق جمعية العلماء بقسميها شيئاً من الهدف، ورغم وجود زعيم كبير يدعى بالمفتي محمود له ثقله السياسي والديني والوطني، ومع هذا فلا تزال فكرة الخلافة حليماً في واقع الحقيقة، وهكذا حتى قام الرئيس ضياء الحق بالقرب من تحقيق بعض الأحكام الشرعية فكان هو الضحية حيث قتل غيلة على أيدي أعداء الإسلام.

الجماعة الإسلامية:

تأسست سنة ١٩٤١م، وقد رسم منهج العمل على شكلين، شكل حزبي مربوط بتعاليم دقيقة والتزامات معينة يدعون بالاخوة العاملين، وشكل عام يمكن الاستفادة منه مع عدم التزامه بشيء معين يدعون بالمؤيدين والمحبين، ولم تختلف خطة الجماعة الإسلامية في نهجها منذ البداية فهي تتمشى مع ما تعرفه من عموميات الشريعة على رسم الخطة المنبثقة من أفكار الشيخ أبو الأعلى المودودي، وتتمايز هذه الجماعة عن سائر المذاهب الدينية والأحزاب السياسية الأخرى مما جعلهم يهيمنون في الميدان وحدهم، فهم أمام عدة جبهات في إصلاح العقيدة وحرب البدعة، وفي إصلاح النظام والسياسة والبعد من التعنت والتعصب الذي عليه علماء الأحناف قديماً وحديثاً، كما تقوم بتقديم الخدمات العامة للمصابين والمنكوبين.

المذاهب والاعتقادات:

يعتبر الباكستان من أخصب البلدان في الحركات الدينية والمعتقدات، فهم ميالون بطبيعتهم إلى الإيمان بالغيب والتأثر بالروحانيات، وتأثير من

الديانات البوذية والهندوكية والزرذشتية وظهر عدد من الطوائف الدينية التي تنتمي للإسلام وهي:

أولاً/ الطائفة الإسماعيلية: وهي من أقوى الطوائف التي لها صلة بالعالم الخارجي والتنظيم الدولي، فهي في الهند والباكستان وإيران وسوريا واليمن والسعودية (نجران) وقد تعددت الأسماء بتعدد الأماكن لكنهم في المشرب والمعتقد سواء، وأكثرهم من المحترفين بتجارة الذهب، ومجموعهم يربوا على خمسمائة ألف نسمة.

ثانياً/ الشيعة: أكثرهم من الاثني عشرية، ولهم صلة وثيقة بشيعة إيران وأفغانستان والعراق، وقد نشطت أخيراً إيران في فتح المراكز الثقافية لتعليم اللغة الفارسية والمعتقدات الشيعية وإعطاء المنح الدراسية للطلاب الراغبين في الدراسات في الجامعات الإيرانية ونسبتهم في الباكستان ١٨٪. والجدير بالذكر أن كل زعماء الباكستان الذين حكموا من الشيعة، ابتداءً من علي جناح حتى بوتو، إلا أن بوتو يظهر عدم التشيع مع أن والدته وزوجته شيعتان حاشى ضياء الحق.

ثالثاً/ القاديانية: وقد دحرهم الله بعد إعلان الحكومة الباكستانية أنهم أقلية غير مسلمة، إلا أنهم ما زالوا يمارسون نشاطهم الخارجي وإحكام الخطة التبشيرية بطرق أخرى غير مكشوفة، ويقدر عددهم بثلاثمائة ألف تقريباً، وهم طائفتان: القاديانية اللاهورية والقاديانية الممتن إلى ربوة باكستان.

رابعاً/ البهائية: هم أقل نشاطاً في الباكستان وليس لهم قبول سوى أنه يوجد لهم مراكز ثقافية ومكاتب في المدن الكبيرة في الباكستان لا يزيد عددهم على عشرة آلاف نسمة.

خامساً/ الذكزية: وهي طائفة خرجت حديثاً في بلوجستان، تدعو للذكر وترك الصلاة وعبادة القبور بالدعاء والاستعاذة، وقد تكون من طرق البهائية، وانتحلت هذا الاسم ليكون لها القبول لدى العامة، وتعدادهم عشرون ألف نسمة يتمركزون في كرا تشي وفي بلوجستان مما يلي إيران.

سادساً/ النصاري: ونسبتهم قليلة في الباكستان، وأكثر من استجاب لهم الطبقة المنبوذة في الديانة الهندوكية، وهم لا يتجاوزون المليون ونصف المليون من كلا الطائفتين البروتستانت والأرثوذكس.

سابعاً/ الوثنية: ويوجد في بلوتستان قبيلة لا تنتمي إلى دين ولا إلى أي معتقد، وتعدادهم ثلاثون ألف نسمة، وقد منعت الحكومة الباكستانية السابقة الدعوة لهم ليقفوا على دينهم الجاهلي لقصد تفرج السياح عليهم.

ثامناً/ الهندوكية: يوجد عدد منهم في السند وحدود الهند، وتعدادهم نصف مليون تقريباً، وهم الذين يؤمنون بحملة الدعاية القومية السندية وطمس تاريخ الإسلام في بلد السند.

الجمعيات والهيئات الإسلامية:

أ- **جمعية أهل الحديث:** وهذه الجمعية كان لها تاريخ مجيد في تصحيح المفاهيم عن الإسلام والعقيدة، ومحاولة قيام الدولة الإسلامية وإعلان الجهاد الشرعي، إلا أنها بعد التقسيم خفت وطأتهم، وبعد أن توفي رائدهم داود الغزنوي ثم وفاة ابنه أبو بكر أصبحت القيادة فيهم غير قادرة على جمعهم ووحدتهم. لهم أكثر من مائة مدرسة، كما تزيد مساجدهم على خمسة آلاف مسجد في باكستان عامة، وهم خير من يوثق به في النواحي العقائدية ومسائل التوحيد.

ب- **الجماعة الإسلامية:** وهي إن كان لها النصيب في السياسة إلا أنها تنجح بكل قواها إلى الإصلاح الديني الشامل للعقيدة والعبادة والشرعة.

ج- **جماعة التبليغ:** ومركزهم الرئيسي على بعد ثلاثين ميلاً من لاهور، وهذه الفئة تدعو الناس إلى التعبد المجرد من التعلقات بالدنيا والسياسة ولها تأثير على العامة وبعض الخاصة من رجال الحكومة.

د- **جمعية علماء الأحناف:** جمعية سياسية سبق الحديث عنهم في الأحزاب السياسية، ومعتقداتهم حسنة سوى الخلاف بيننا وبينهم في الأسماء والصفات، ومن بروز ظاهرة التقليد للمذهب الحنفي.

هـ- الجماعة البريلوية: وهم أنصار الوثنية والخرافات والابتداع في الدين التي يستمدونها من الشيعة فكل القبور والمزارات تبنى على أيديهم. وقد ظهر فساد العبادة في الباكستان بسبب هؤلاء، يركزون على الاهتمام بالمساجد كما تقل مدارسهم الدينية، ولكن تكثر حفلاتهم في المواليذ البدعية.

و- المذاهب الصوفية: الطرق البدعية منتشرة في الهند والباكستان ومتعددة الأسماء والمسالك، أشهرها القادرية والجشثية والنقشبندية وغيرها.

الحركات الهدامة:

أ- الشيوعية بشعبيتها الروسية والصينية/ تعمل على قدم وساق، خاصة في المجال الإعلامي والتجمع الطلابي.

ب- الماسونية/ ولها محافل علنية مركزها الرئيسي في كراتشي.

ج- القوميات/ تشتعل نيرانها في السند وفي بلوجستان بتوزيع الباكستان وتقسيمه، حيث يوجد خمس لغات رئيسية مختلفة في مناطق الباكستان، إلا أن الدعوة القوية السندية هي التي برزت بمساعدة الهند وروسيا.

الباكستان الطبيعي:

تنقسم الباكستان من حيث المناطق الطبيعية واللغات القومية إلى خمس مناطق:

أولاً/ البنجاب: وهي تمثل الصدر والثقل في الباكستان، وأكثر زعماء الحركة السياسية، يزدون على خمس وثلاثين مليوناً، ولهم لغة خاصة تشبه الأردية، وتختلف عنها قليلاً، وقاعدتهم مدينة لاهور ذات الحضارة والتاريخ، وهي أكبر مدن الباكستان.

ثانياً/ السند: وهي كما وصفوها بالوليد للباكستان، وعن طريقها تصل بالهند بحراً والدول العربية، وأخيراً تحركت فيهم دعوة القومية السندية ومحاولة فصل السند عن الباكستان كما انفصلت بنجلاديش، يؤيد هذه الفكرة الرئيس السابق^(١) فهو سندي، وعاصمتها حيدر آباد، وكراتشي من أكبر مدنها، يزيد عدد سكان السند على اثني عشر مليون نسمة.

ثالثاً/ الحدود الشمالية: وقاعدتها البشاور، وعدد سكانها عشرة ملايين، وهي في حدود الصين وأفغان.

رابعاً/ بلوچستان: وتقع على الخليج العربي في حدود إيران وهي مترامية الأطراف كثيرة الصحاري والجبال، سكانها ثلاثة ملايين نسمة.

خامساً/ بلوتستان: وتقع على حدود الصين، سكانها حوالي مليونين ونصف المليون، وكل منطقة من هذه المناطق الخمس تتكلم بلغات محلية تكتب وتقرأ، وبعض المناطق فيها أكثر من لغة/ إلا أن اللغة الأردية هي اللغة الرسمية المشتركة بين المناطق كلها.

(١) يعني: ذو الفقار علي بوتو.

وأخيراً: جعلت اللغة السندية في المناهج التعليمية بضغط من دعاة القومية السندية وبتأييد الرئيس السابق بوتو.

وبعد، فإن باكستان مهما قيل عنه إنه بلد إسلامي فإن الإسلام بمعناه الصحيح لا يعرف باكستان، إلا كما يعرف الوبل قمم الجبال، فالفساد في العقيدة وفي الحكومة وفي سلوك العامة وفي المعاملات واضع لا يحتاج إلى دليل وهذه الأسباب ظل باكستان في دوامة من الحيرة والتردد في تنفيذ الفكرة التي من أجلها قامت باكستان وكان المسلمون بخير قبل هذا التقسيم، فكانوا في الهند يشعرون بالأقلية بجانب الهندوك، ومن أجل ذلك كان التكتاف والتآخي والتعاون، وبعد أن ظهرت دولة المسلمين الباكستانية مارس كافة الإجرامات نذر من المسلمين، وأخذت سائر الأعمال الإجرامية شكلها وحقيقتها كدور السينما والبغاء والأستوديوهات والمراقص وحوانيت الخمر والدعارة العالمية في الفنادق الراقية، بجانب فساد العقيدة والتصور المبتدع والمذاهب العقائدية المتأثرة بالهندوكية والبوذية والزردشتية، وقد رضي الباكستانيون بمجرد اسم باكستان دولة مسلمة.

خطورة الموقف:

لذا فإن مجرد هذا الاسم باكستان دولة إسلامية سوف يطمس رسمه وتمحي آثاره، ويستحي زعماء باكستان أمام ساداتهم الشرقيين من هذه السمة التي تناهض ما عليه الدول العلمانية والشيوعية. كما أن الشعب الباكستاني مهما كان وعي طائفة منه بخطورة المستقبل فإن الرأي العام والاتجاه السياسي هو الذي يحدد المستقبل للشعب الباكستاني، فهل من

أمل، نعم إن العاطفة الدينية وحب النظام الإسلامي غالب على الرأي العام، ولكن تقبل الإسلام ككل يحتاج إلى خطة وخطط من شتى مجالات الإصلاح، ومع العمر الزمني الطويل، وبغير هذا فإن الباكستان ستظل مرتعاً خصباً للدعاة أرباب الأهداف الطامحة إلى ضم الباكستان في حظيرتهم.

يوم مشهود في ربوة بالباكستان؛

ربوة مدينة استوطنها القاديانيون وأطلقوا عليها هذا الاسم ناصر الإنجليز القاديانيين مما جعلهم يمتلكون هذه المدينة امتلاكاً كلياً لا ينازعهم فيها منازع إذ جعلوها بمثابة الفاتيكان في روما للنصارى لها جنودها وحرسها، لا يمكن لأي مسلم أن يدخلها بغير إذن حتى عام ١٩٧٤م، حينما قدم قطار يحمل الطلاب المسلمين فتوقف في ربوة لفترة وجيزة.

أغاض القاديانيين رؤية الطلاب المسلمين فنشبت معركة كلامية ثم تبعها عراك قتل فيها عدد من الجانبين وجرح الكثير، وعلى أثر هذه الحادثة قامت مظاهرات واحتجاجات من المسلمين يطالبون محاكمة القاديانيين وهدم أسوار ربوة وجعلها مدينة مفتوحة لمن شاء من الباكستانيين، مما اضطر الحكومة الباكستانية أن ترضخ لطلبات المسلمين وتصدر حكماً بجعل القاديانية أقلية غير مسلمة، وعلى أثر الحكم فتحت أبواب ربوة للدخول والخارج على حد سواء هم وغيرهم، فبادر المسلمون بعمارة مسجد جامع ليكون منبر دعوة ومكان تجمع المسلمين حتى يجابهوا قوة القاديانية

بمثلها واليوم المشهود في ربوة هو ذلك اليوم الذي كتب الله أن أتشرف بإلقاء خطبة الجمعة في جامع المسلمين بربوة، وبعد الصلاة ترغب الجماهير المؤمنة في زيادة الحديث والاسترسال في بيان زيغ القاديانية وضلالها والعمل على هتك ستارها، أبعدھا الله وأزاح عن المسلمين غياهب الديجور وظلامه الصدور.

استمر الحديث مع الجماهير المؤمنة بعد صلاة الجمعة حتى قبيل صلاة العصر، هذا يوم يشهد التاريخ والحاضرون أنه من أيام النصر والتأييد للمسلمين حيث كانت الخطابة في حماس وتحريك للعواطف وإثارة المشاعر ضد هذه الطائفة الملحدة.

لا أدري كيف أصف الموقف في الحديث الموجز، لكن الذي أقدر عليه هو القول بأن الشعب الباكستاني شعب مسلم رضع لبانة الإسلام في سنه المبكر، واختلط الإسلام بلحومهم ودمائهم اختلاط السكر بالماء النقي، ومما يزيد قوة المسلمين وعزتهم زيادة الوفود باسم العلوم والدعوة من المملكة العربية السعودية مناصرين ومؤيدين لكل حركة من شأنها تقدم الإسلام والمسلمين، ومن طريف القول في هذا المشهد الكبير والفتاف المتكررة (زندباد شاه فيصل) بمعنى: يعيش الملك فيصل، فذكرت لبعض العلماء هذه الطريفة فقالوا: يعيش ذكره، وكان قد توفي رحمه الله، ولا شك أن ذكر الملك فيصل باقٍ في القلوب، منطبعة آثاره على الشعب الباكستاني، ولا يمكن أن ينسى الملك فيصل مهما طال الزمن وتباعد العهد، رحم الله

الملك فيصل فقد ملك القلوب بإيمانه وإخائه وبذله في سبيل الله، فهو المحرك الأول لحكومة باكستان حتى أصدرت قرار جعل القاديانيين أقلية غير مسلمة.

ومما يذكر بهذه المناسبة هو الحديث عن القاديانيين أن صاحب القلم قد جرى بينه وبينهم عام ١٣٨٧ هـ في نيجيريا بلا جوس لقاءات متكررة حصل فيها النقاش والجدل، وأصدر على إثره كتاباً أسماه حوار مع القاديانية وجهاً لوجه مزود ببعض الرسومات والشواهد، وقد انتقل المركز الرئيسي للقاديانيين من ربوة بالباكستان إلى المملكة المتحدة (بريطانيا) بعاصمتها لندن، وانتقل الخليفة الثالث القادياني إلى هنالك لينشر دعوته وكفره بالتواطؤ مع الإنجليز، وخاصة في الدول الناطقة باللغة الإنجليزية رسمياً.

الباكستان

كنت منجذباً للباكستان انجذاب الماء إلى منحدره لما له من وقائع تاريخية فهو المدخل للشرق الإسلامي وهو السواد للتعداد السكاني، قبل انفصال بنجلاديش كانت الباكستان أكبر دولة إسلامية، وهي التي انفصلت عن الهند لتقيم خلافة راشدة على أرض الباكستان وفي منأى عن التأثير الهندوسي أنجبت شاه ولي الله الدهلوي وخبر في جامعها الأكبر بلاهور محمد إقبال وسكنها أبو الأعلى المودودي وطال حيث الباكستان شرقاً وغرباً لوجود حركات إسلامية ومنظمات دعوية ومدارس في شتى العلوم ناهيك بالقوى العسكرية والمفاعل الذرية التي تملكها لأغراض سلمية نادى الملك فيصل للتضامن الإسلامي فكان الباكستان المدد الروحي والمعنوي بل والعسكري حين نادى الملك للجهاد ودعا له.

لم يكن في الحسبان أنني امتطي باخرة من البحرين إلى كراتشي مع صغر سني وقلة إمكانيات المادية فأنا طالب في كلية الشريعة ومكافأتي ٣١٠ ريالاً ولكنها الأسباب تجري المسببات طرق علي بابي اخوة سعوديون وباكستانيون وعرضوا علي السفر في إجازة المدارس إلى الباكستان فاعتذرت في عدم الامكانيات المادية وقالوا يكفيك ٥٠٠ ريال شهر في باكستان وكان ذلك بتاريخ ٢/٨/١٣٨٣ هـ وعرفت البلاد والعباد فعواطف الباكستاني نحو العرب جياشة وقلوبهم في رقة وكرمهم السخاء

عدت للباكستان مرات عدة لأعمال رسمية ورحلات شخصية حتى تقدمت لنيل الماجستير من جامعة بنجاب بـ لاهور ومن أسباب هذه الاتصالات المتكررة إنني كنت مدير للدعوة في آسيا في رئاسة البحوث العلمية والافتاء طوفت في تجوالي باكستان من كراتشي إلى لاهور بالقطار ومن مدنها إلى قراها وتلونت تلون الحرباء فحيناً بلباس عربي ومرة بالباكستاني وأخرى بالبدلة الأفرنجية.

سكنت في المأصورة مركز الجماعة الإسلامية بـ لاهور قرابة ثلاثة أشهر لتحضير الماجستير، وصحبت جمعية أهل الحديث ومع أمينها الشيخ ميا فضل الحق رئيس الجامعة السلفية في فيصل اباد أقضي سحابة نهاري وجزء من الليل وخطبت خديجة الصغرى بـ لاهور ووالدها مدير مجلة ترجمان القرآن ٤٠ عاماً فاعتذرت لوجود أبناء من زوجتي الأولى، وهي عالمة، قيل إنها تتقن أربع لغات العربية والفارسية والأردية والإنجليزية، وتحمل أربع شهادات ماجستير، بت أجوب شوارع لاهور كما أجوب شوارع الرياض أحياناً بالأقدام ومرة بالسيكل وأخرى بالركشة الدراجة النارية لها ثلاثة عجلات، نطقت اللغة الأردية من غير دراسة ولكثرة التلقي وكثرة المحادثة مع الباكستانيين قلت شعراً في اقبال حين وقفت على قبره في مسجد الجامع بـ لاهور، وصحبت من العلماء كالشيخ إحسان إلهي ظهير والشيخ محمد حنيف شيخ الحديث.

كانت الدراسة في جامعة البنجاب إسلاميات أدب وتاريخ وتفسير ومذاهب وديانات، استفدت كثيراً وبالأخص من مؤلفات شاه ولي الله الدهلوي في أصول التفسير غير أن المعادلة السعودية لهذه الشهادة دبلوم. بعد الجامعة لهذا لم يكن لي نصيب في تحضير الدكتوراه بهذه الشهادة إلا في باكستان أو دار العلوم في مصر وإن الشيخ محمد أمان حضر رسالة الدكتوراه بما يحمله من شهادة ماجستير جامعة البنجاب كما هي شهادتي.

وعلى العموم فإن معرفتي بباكستان معرفة رب البيت بيته إذ يتمركز في هذه الدولة دعوات إسلامية انبثقت من ضرورة الحال وحاجة الناس إلى القيام بما هو فرض كفائي فعامة الباكستانيين يجهلون كثيراً من الآداب والسلوكيات الإسلامية فكان لجامعة الأحباب أو ما يسمى بجماعة التبليغ أثر فعال في السواد الأعظم من الباكستانيين وغيرهم من سلوكيات الفرد وأخلاقياته فلذا يدعون بالتحريك العمومي إذ بنوا أصول دعوتهم على خمس نقاط كلمتي التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله الصلاة ذات الخشوع والخضوع لله، العلم والذكر الفضائل لا المسائل إكرام المسلم إصلاح النية الخروج في سبيل الله من أجل الدعوة إلى الله هذه الأصول التي تركز عليها هذه الجماعة في تبيانها بين القرى والأرياف حتى انتشرت انتشاراً عالمياً لتحريك عوام المسلمين، وللعلماء أهل التحقيق وملحوظات عليها.

الباكستان :

تعني البيت الطاهر، وعاصمتها الأولى كراتشي ثم انتقلت إلى إسلام آباد، وإليك بعض الأرقام المهمة في تاريخ الباكستان:

٧١١م غزا محمد بن القاسم السند أحد أقاليم الباكستان.

٧٢٤-٧٤٢م مد العرب نفوذهم إلى المناطق الجبلية بكثير وكنجرا.

٧٥٤-٧٧٥م أيام المنصور ثاني خلفاء العباسيين تم غزو قندهار.

٧٧٥-٧٨٥م أيام الخليفة المهدي أرسلت حملة بحرية لتأديب موجران.

٧٨٦-٨٠٩م في أيام الخليفة هارون الرشيد أمكن مد حدود السند من ناحية الغرب.

وبعد ثلاثة قرون حكم فيها العرب هذه الأنحاء اضمحل حكمهم وأخلوا المكان للأتراك، ومع بداية القرن العاشر أصبح الأتراك عاملاً هاماً في الحياة السياسية في شبه القارة إذ قدم الغزنويون إليها وكانوا أسرة تركية تأسست بأفغانستان بعد أن انتهى حكم العرب، وتحت حكم السلطان محمود الغزنوي استقر الحكم الإسلامي في الجزء الشمالي من شبه القارة، وكانت لاهور عاصمتهم.

كنت تواقاً لزيارة الباكستان مع ضعف الإمكانيات وقلة المساعدة، ولكن مع هذا قويت العزيمة وتيسرت الصعبة فبتاريخ ١٣٨٣/٨/٥هـ

عبرت بنا السفينة من ميناء سلمان بالمنامة بالبحرين إلى كراتشي عاصمة الباكستان آنذاك وكانت تسمى هذه الباخرة بـ (سردانا) شركة إنجليزية من البصرة إلى البحرين إلى عمان إلى كراتشي، وهذه الباخرة الهائلة التي تحاكي قصراً مشيداً معمورة بالكماليات ووسائل الراحة للمسافرين تتكون من سبع طوابق أمضينا أربعة أيام، وبعد ما رست الباخرة على ميناء كراتشي في الباكستان التي هي ميناء الباكستان الأكبر ومن أكبر مدنه تحتوي على ٦٠٠ مسجد وكانت أولى زيارتنا لدار العلوم ويرأسها مفتي الباكستان الشيخ محمد شفيع ويعتبر أكبر معهد إسلامي في باكستان لتدريس العلوم الدينية ويؤم هذه الدار الطلاب من مختلف أفراد المجتمع الباكستاني ومن الهند وبورما وأندونيسيا والملاوي وإفريقيا وأفغان وإيران وإلى جانب دار العلوم وقد بلغ ما أصدرت من الفتاوى ٧٥٠٨٠٧ وإلى جانب ذلك دار التبليغ التي تخرج العلماء للدعوة إلى الله والدراسة فيها على ثلاث مراحل ابتدائية خمسة سنوات، وثانوية خمسة سنوات، وعالي ثلاث سنوات، وقد بلغ عدد الطلاب ألف ومائة، في القسم الداخلي مئتان أما المدرسة العربية الإسلامية في كراتشي فهي شبيهة بدار العلوم في مناهجها كما تم زيارة مسجد مكة وهو المسجد الرئيسي للتجمع الدعوي يؤمه كل ليلة جمعة الآلاف يقيمون فيه يوم الخميس وليلة الجمعة للاستماع للمحاضرات وبحث المتبرعين إلى الدعوة، وفي هذا المسجد من العجائب ما لا يتسع المجال لذكره ومن كراتشي توجهنا إلى حيدر أباد وإلى بهاولبور ومنها إلى

مولتان ومنها إلى لاهور، وهذه أشهر مدن باكستان، فيها المؤسسات العلمية على الطراز الحديث والقديم، والباكستان على العموم بلاد إسلامية في طابعها رغم التغلغل الاستعماري في بلادهم ومحاولة تنصيرهم أو بالأحرى إخفاء هويتهم الإسلامية فلا يزال السواد فيهم يحب الإسلام حباً جماً غير أن غلبة الجهل والعجمة والبعد عن المنهج الرباني أوجد بدعاً تصل إلى الشرك بالله كدعاء الأموات والاستنجاد بهم ومما هو مشتهر في مدينة مولتان القبور والتمور، أما في لاهور ففيها وثن يعبد يدعى ذات صاحب اسمه الصحيح هجويري، ومعنى ذات صاحب المعطي، ومن غرائب هذا القبر أن في السنة يوم واحد يقدم له القرابين ويدفق على قبره الألبان غير أن انتماءات دعوية ومدارس عربية هي في الاتجاه إلى تصحيح المفاهيم والتوحد العقدي لجماعة غرباء أهل الحديث في كراتشي والتي أسسها الشيخ عبد الوهاب الدهلوي وخلفه أبناؤه وأحفاده في إدارة هذه التسمية غير أن مما سمعت وتأكدت أن الشيخ عبد الوهاب يجري البيعة على المنتمين لهذا التوجه ولست أدري عن تفاصيل هذه أهو الدعوة إلى الله أو طلب العلم أو البعد عن ما يشوب العقيدة والتوحيد تعرفنا على الأخوين عبد الرحمن وعبد الغفار وهما قائمان على العمل الدعوي خير قيام وفي لاهور يتمركز العمل الحديث ولهم ثقل ومنهج وعلماء ودعاة ومدارس ومن أهم تلك المدارس الجامعة السلفية في فيصل آباد أي بلاد الفيصل يدرس فيها دعاة من منسوبي رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة.

هذه لمحة خاطفة عن زيارتي الأولى للباكستان والتي لم تدم سوى ٧ أيام. ومن لاهور توجهنا إلى الهند، وقد أعددت في زيارتي الثانية للباكستان عام ١٣٩٥هـ التقرير التالي فأليك أقدم هذا التقرير كما هو من غير تغيير ولا تبديل.

تقرير عام عن باكستان

حامداً ومصلحاً

الموقع الجغرافي وحدوده:

تقع باكستان بين خطي ٢٤، ٣٧ وبين خطي طول ٦٥، ١، ٧٥ ويجدها شمالاً جبال الهمالايا وجزء صغير من الأرض الأفغانية يوصل باكستان بالصين، ويبلغ طول هذه الحدود نحو ٤٧٠ كم ويجدها من الشرق هندوستان أو الجزء الشرقي الذي اقتطع من بنجاب وضم إلى هندوستان كما يجدها راجستان ويجدها غرباً أفغانستان وإيران ويبلغ طول الحدود الأفغانية الباكستانية نحو ٢٥٠٠ كم كما يبلغ طول الحدود الباكستانية الإيرانية نحو ٩٠٠ كم ومساحة باكستان هي ٣١٠٤٠٣ أميال مربعة أي ما يقرب من مليون كم مربع، ويبلغ عدد نفوس باكستان بموجب إحصاء ١٩٧٢ م خمسة وستين مليون نسمة.

المناطق الرئيسية:

١ - بنجاب : إنما سميت بهذا الاسم الذي معناه المياه الخمسة بسبب وجود خمسة أنهر، وعاصمتها قديماً وحديثاً مدينة لاهور.

٢- منطقة الحدود كما كان يسميها الإنجليز لأنها تقع على حدود أفغانستان عاصمتها : بشاور.

٣- منطقة بلوچستان : هي ولاية متأخرة لأن الإنجليز أهملوها كثيراً عاصمتها : كويته.

٤- منطقة السند: عاصمتها كراتشي أكبر مدينة في باكستان.

نبذة من تاريخ البلاد :

فتح المسلمون القسم الأكبر من إيران زمن الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب ولم يتقدموا إلى أبعد حدود مكران إلا زمن الخليفة معاوية بن أبي سلفيان حيث استولوا على القسم الشرقي من بلوچستان وعلى إمارة ثلاثة التي كانت تابعة للسند وضموها إلى مكران ثم تقدموا فاستولوا على قندهار وعلى كابل ثم حدث اعتداء اللصوص السنديون على سفن المسلمين الراسية في سيلان بطريقها إلى العراق فتسبب هذا إلى فتح السند على يد بطل الإسلام محمد بن القاسم حتى وصل إلى حدود كشمير وإمارة قنوج ثم تتابع الغزو الغزنويون والغوريون إلى آخر عهد المغول وحتى سلب الإنجليز الحكم وتسلطوا على البلاد ثم قامت الحركات لتحرير البلاد من أيدي المستعمرين الإنجليز فقام المسلمون بمطالبة وطن إسلامي بعدما عجز المسلمون عن اقناع الهنادكة بالسير في خطة ونية وقومية ولمسوا سوء نيات الهنادكة وتآمرهم مع الإنجليز وسميت حركة مطالبة وطن

إسلامي باسم (المؤتمر الإسلامي) واستكملت نموها سنة ١٩٤٧م يوم أعلن استقلال باكستان.

الوضع الديني: دخل الإسلام في شبه القارة الهندية وتتابع الحكومات الإسلامية بالاسم فيها فلم يجد الناس من يوجههم إلى الدعوة والإرشاد إلا رجالاً كان أكبر همهم التقليد الأعمى لأنهم ما تعلموا إلا هذا في ديانتهم القديمة الهندوكية حتى كفروا الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله، لما ترجم كتاب الله الصمد في اللغة الفارسية خوفاً على مذهبهم، وكانوا يمنعون تدريس الحديث النبوي حتى لا يستفيد أحد من المورد النبوي مباشرة تاركاً تقليد آبائهم.

فبذا نعرف كيف كان الوضع الديني في البلاد وكيف كان تكره عامة الناس والعلماء نحو العقيدة الصحيحة لا شك أن الناس كانوا غارقين في البدعات الشركية والخرافات العقدية فما استطاعوا ترك عاداتهم الهندوكية لأنهم ما وجدوا أحداً من الحكام الذي يرشدهم إلى الحق ويربيهم تربية إسلامية، ويعلمهم توحيد العبادة ومتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام بل وجدوا من قادهم إلى الإلحاد واللا دينية وغرسوا في قلوبهم حب التقليد والتصوف واتباع الشهوات النفسية فنسوا كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام على رأسهم الشهيد إسماعيل رحمه الله الذي جاهد الخرافات وجاهد الإنجليز فلنسرده في بيان الوضع الديني تفصيلاً لجميع الهيئات الإسلامية والطوائف الدينية للاطلاع عليها:

(١) جماعة أهل الحديث : هم خلف أولئك المجاهدين السلفيين الذين اجتهدوا لإقامة الحكومة الإلهية في شبه القارة الهندية عقائدهم صافية خالية من شوائب الشرك والبدع لا يقلدون أحداً من الأئمة بل يقتبسون من نور الكتاب والسنة مباشرة. لهم جمعية باسم جمعية أهل الحديث المركزية لها أكثر من ألفي جمعية فرعية في جميع مدن باكستان وقراها. ولهم أكثر من مائة مدرسة وخمسة آلاف مسجد يقومون بخدمة الدين الإسلامي بواسطة التدريس والتبليغ والطبع والنشر.

ولكن مع الأسف الشديد منذ مدة غير بعيدة صار هؤلاء غير الحركيين نسوا أو تناسوا دعوتهم السلفية ومنهج المجاهدين الصافي فتفرقوا فصار بأسهم فيما بينهم فهم المحتاجون قبل كل شيء إلى رجل يجمع كلمتهم ويرشدهم إلى هدفهم.

(٢) الجماعة الإسلامية : جماعة السيد مودودي رحمه الله يذكر حالهم في الوضع السياسي.

(٣) الأحناف الموحدون المعروفون باسم الديوبنديين لهم أحزاب سياسية ودينية نسبة مدارسهم أكثر من غيرهم، مستقيمون في توحيد العبادة وأما في توحيد الأسماء والصفات فهم متمسكون بالعقائد بمذهب الإمام الماتريدي وفي الفروع بمذهب الإمام أبي حنيفة.

(٤) الأحناف القبوريون المعروفون بالبريلويين: يدعون تقليد مذهب الإمام أبي حنيفة كذباً وزوراً يعبدون قبور الأولياء وينكرون بشرية الرسول عليه الصلاة والسلام، ويقولون إنه يعلم الغيب وهو موجود في كل مكان وكل حين، فهؤلاء أكثر الناس فتنة ضد العقيدة السلفية يكفرون

الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - والسيد إسماعيل - رحمه الله -
وجميع السلفيين والموحدين. فلا تمر بقرية إلا تجد فيها قبراً يُعبد أو آثاراً
يحتفل بها أبطلوا صلاة من صلى خلف أئمة الحرمين الشريفين لما زارهم
الإمام بباكستان يؤولون الآيات والأحاديث تأويلات باطلة مثلاً يقول
أحد علمائهم في الحديث: اللهم لا تجعل قبري وثناً يقول: معنى الحديث أن
الرسول عليه الصلاة والسلام قال أن الوثن لا ينفع ولا يضر أما أنا فأنفع
وأضر. ولهم باب باسم باب الجنة يعتقد فيه أن من دخله دخل الجنة،
فيدخل به آلاف الناس سنوياً، يرأسهم أحياناً وزير الأوقاف الباكستاني،
ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٥) الشيعة الإثني عشرية: عقائدهم معروفة لدى الجميع هم
متفردون في جميع باكستان وكثيرون منهم في شمال باكستان. تزداد حركتهم
شيئاً فشيئاً ولهم نفوذ في المراكز الحكومية والدوائر الرسمية يخرجون
ببدعهم في الأسواق والشوارع في أيام المحرم ضارين حدودهم وشاقي
جيوبهم باكين على حسين رضي الله عنه ابتدعوا كلمة جديدة لا إله إلا الله
محمد رسول الله علي ولي الله وخليفته بلا فصل.

(٦) الإسماعيلية: لا يتفقون مع المسلمين إلا بالاسم فقط عباداتهم
وعاداتهم غير عادات المسلمين وعباداتهم، يسكنون في كراتشي وشمال
باكستان في منطقة الحدود.

(٧) الذكريون: طائفة خارجة عن الإسلام لا يؤمنون بختم النبوة
مثل القاديانيين لا يصلون، كعبتهم غير كعبة المسلمين في تريث بكران
يسكنون في بعض مناطق بلوچستان.

(٨) القاديانيون : يؤمنون بنبوّة مرزا غلام أحمد القادياني المعروف بكذبه ودجله. لهم مراكز الدعوة في السند والبنجاب والحدود في خارج باكستان.

النشاط التبشيري : وهناك نشاط حركي للتبشير والماسونية في جميع مناطق باكستان، ولهم مراكز في منطقة السند والبنجاب والحدود، يقومون بإنشاء رياض الأطفال في كبار مدن باكستان لتعليم العلوم الحديثة وتحريف أطفال المسلمين عن الفطرة، يفتحون المستشفيات ويقدمون المساعدات المالية للفقراء والمحتاجين، فبذا تنصر كثير من الناس على أيديهم.

وأما الماسونيون فيفتحون النوادي في كبار مدن باكستان يجتمع فيها رجال الحكومة والأثرياء والزعماء السياسيون ويتعلمون هناك مبادئ الإنسانية بطريق ينسون به كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويصيرون اللادينيين الملحدين أكبر همهم الكسب واللعب وإنفاق المال في المنكرات.

الوضع السياسي: استقلت دولة باكستان في ١٤ أغسطس ١٩٤٧م على طلب من المسلمين وطناً إسلامياً، وكان هتاف المؤتمر الإسلامي في باكستان كلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ولكن مع الأسف مرت الدهور وما رأت البلاد إلا الأحلام وما سمعت إلا نعرات من الزعماء السياسيين والأحزاب السياسية الذين كانوا يستعملون كلمة الإسلام كذباً وزوراً.

أما الأحزاب السياسية الحالية كما يلي:

(١) المؤتمر الإسلامي : حزب الرابطة المسلمة : هذا الحزب قد نجح بانفصال باكستان عن الهند وكما ذكر آنفاً كان هتافهم: الدولة الإسلامية وكلمة لا إله إلا الله، ولكن بعد الفوز والنجاح واستقلال البلد نسي هؤلاء هتافاتهم فبدؤوا يقولون أن الإسلام لا ننفذه لأن الفرق الإسلامية كثيرة، فضلوا وأضلوا، فما دروا أين سيكون مصيرهم حتى سجلت منهم مؤامرات إلى أن انفصلت باكستان الشرقية من الغربية وانكسر ظهر تلك الدولة التي لم تقم إلا لأجل الإسلام وللحكم الإلهي.

هذا الحزب منقسم إلى قسمين: قسم يتفق مع حكومة رئيس الوزراء، وقسم يساعد الأحزاب السياسية المعارضة للحكومة كل يدعي إنشاء باكستان ولم يعترف أحد بتخريب الديار.

(٢) حزب حركة الاستقلال: حزب يقوده قائد القوات الجوية سابقاً أصغر خان، لا يتفق مع الأحزاب السياسية، رجل لا ديني، وأحياناً يذكر الإسلام؛ لأنه يعرف أن الناس يحبون الإسلام، فقليل إنه قادياني، ولما كان قائداً للقوات الجوية ما سمح بإنشاء المساجد في القواعد الجوية.

(٣) حزب جمعية علماء باكستان: حزب لبعض علماء البريلويين القبوريين هتافهم إقامة الحكومة المصطفوية (نسبة إلى محمد المصطفى). عقائدهم عقائد الفرقة البريلوية تحت قيادة أحد أعضاء البرلمان شاه أحمد النوراني الذي زار المملكة البريطانية قبل سنة وأشعل نار البغض والتنافر بين المسلمين قائلاً لا تسمحوا بدخول الوهابيين في مساجدكم لأنهم كفار

فحصل التشاجر في المسلمين حتى أغلق البوليس البريطاني مسجد المسلمين خوفاً من الفتنة فهؤلاء متفقون مع حزب حركة الاستقلال في المجال السياسي.

هذا الحزب أيضاً منقسم إلى قسمين : قسم تحت قيادة الشاه أحمد نوراني وقسم تحت قيادة فيض الحسن أحد علماء البريلويين يساعد الحكومة الباكستانية الحالية.

(٤) حزب جمعية علماء الإسلام : حزب سياسي لعلماء الأحناف الموحدين ينقسم إلى قسمين، قسم مع الحكومة تحت قيادة غلام غوث الهزاري وقسم مع الأحزاب السياسية المعارضة للحكومة تحت قيادة المفتي محمود أحمد رئيس الأحزاب السياسية في البرلمان الشعبي مؤقتاً.

(٥) الحزب الجمهوري الباكستاني : حزب لبعض الزعماء السياسيين المخلصين في سياسة بلاد المحيين للإسلام وهو حزب غير مؤثر في عامة الناس إلا أنهم متفقون مع الأحزاب السياسية المعارضة للحكومة تحت قيادة نواب بزاده نصر الله خان.

(٦) الحزب الجمهوري الشعبي : حزب جديد ظهر بعد إلغاء الحزب المشهور باسم الحزب العوامي القومي والجدير بالذكر أن الحزب العوامي المذكور كان حزباً لا دينياً فاز في الانتخابات المنعقدة في ١٩٧٠م في منطقة الحدود وبلوجستان وكونت الحكومة في هاتين المنطقتين بمساعدة جمعية علماء الإسلام فحصل بينهم وبين الحكومة المركزية اختلاف شديد حتى سجن أكثر زعمائهم واتهموا إنهم انفصاليون يريدون انفصال منطقة الحدود

وبلوجستان فالغت الحكومة هذا الحزب السياسي ثم وافقت المحكمة العليا على هذا الحكم فظهر الحزب باسم الحزب الجمهوري الشعبي تحت قيادة جديدة فهم في بداية العمل إلى الآن.

(٧) الجماعة الإسلامية: هي معروفة بجماعة السيد مودودي رحمه الله يدعون الناس إلى الكتاب والسنة: إلى مطالبة الدستور الإسلامي، وهتافهم الثورة الإسلامية، وهم يقومون بتذكير الناس الغرض الذي استقلت دولة باكستان لأجله فالجماعة تدعوا الناس إلى الإسلام حقاً عملياً وهم منظّمون للغاية مخططون للدعوة الإسلامية كما يخطط أعداء الإسلام ضد الإسلام ولهم مدارس ونفوذ في جميع طوائف البلاد: في الطلاب والفلاحين والعمال والمحامين والأطباء، ولهم جمعية باسم جمعية اتحاد العلماء، يعتنون بتربية المتخرجين من المدارس الدينية للوحدة الشاملة لجميع العلماء لتحقيق أهدافهم القيمة. عامة الناس يحترمونهم غاية الاحترام، ولكن مع الأسف الشديد أن جميع الفرق الإسلامية المبتدعة والسنيون يعارضونهم وينفرون الناس عنهم حتى بعض السلفيين يعارضونهم فعلماء البريليون والأحناف والسلفيين كلهم يتكلمون عليهم في مساجدهم ومدارسهم حيث يقولون أنهم وهابيون والأحناف يقولون أنهم تركوا تقليد الإمام أبي حنيفة ويقلدون المودودي، ولما نسأل السلفيين: ما ذنب الجماعة الإسلامية يقولون: ليسوا بمخلصين ويحبون الرئاسة. فوالله رأيهم يجتهدون ليل نهار منظمين ومربين مخلصين في أعمالهم لا يكذبون ولا يخونون يصلون ويزكون لا يتعاملون بالبنوك المعاملات الربوية لا يتحاكمون إلى المحاكمة

الطاغوتية، أكبر همهم خدمة الدين الإسلامي، فاز أربعة منهم في انتخابات ١٩٧٠م للبرلمان الشعبي حاولت الحكومة شراء أذهان هؤلاء الأبطال فما استطاعت حينما كانت نجحت في الأحزاب الأخرى: الدينية والسياسية ومن الواجب أن تساعد هذه الجماعة المسلمة.

(٨) حزب الشعب: حزب رئيس الوزراء بوتو الذي فاز في انتخابات ١٩٧٠م فوزاً نهائياً في باكستان الغربية باسم الاشتراكية الإسلامية، وكان هتافهم: الإسلام ديننا والاشتراكية اقتصادنا والجمهورية سياستنا وكان من مواعيدهم الكذبة الانتخابية بأن يقدموا لكل فرد بيتاً وأكلاً ولباساً واسترداد الأراضي من الأغنياء وإعطاءها إلى الفقراء المحتاجين. حكومتهم حكومة دكتاتورية كلما يجدون رجلاً سياسياً أو دينياً يخالف فكرتهم سجنوه أو قتلوه والأمر إلى الله سبحانه وتعالى.

وممن عرفت في باكستان

أبو الأعلى المودودي

مؤسس الجماعة الإسلامية ورائد النهج السياسي الإسلامي بدولة باكستان والتي انفصلت عن الهند عام ١٩٤٧م، رغبة في إقامة الدولة الإسلامية والخلافة الراشدة على أرض باكستان ومعناها الأرض السعيدة، ما كادت باكستان تعلن انفصالها بقيادة محمد علي جناح حتى تشعب العمل الإسلامي، وكانت أولى الجماعات هي رابطة المسلم (مسلم ليك) وهي رابطة سياسية، ثم أعقبها جمعية العلماء وهي جمعية دينية سياسية أشهر من تزعها مفتي محمود، ثم جاءت الجماعة الإسلامية لتجمع بين الفكر والسياسية والعقيدة والدين وتختار نخبة من المثقفين ومن هم على المستوى العلمي والثقافي فتسموا بالجماعة الإسلامية برئاسة وريادة المفكر الإسلامي والكاتب أبي الأعلى المودودي، وعليه ينصب الحديث.

زار الشيخ أبو الأعلى الرياض ١٣٨١هـ في الوقت الذي كان رئيس باكستان أيوب خان يطأ أرض الرياض بدعوة من الملك سعود، فكان الشيخ المودودي يحرص على اللقاء برجال العلم في المملكة وباكستان ليقول لهم فكرته وتوجهاته السياسية، ولعله قصد من زيارته للرياض أن يعرب هو عن توجهات الشعب الباكستاني المسلم ويقوم بإعلان الكلمة

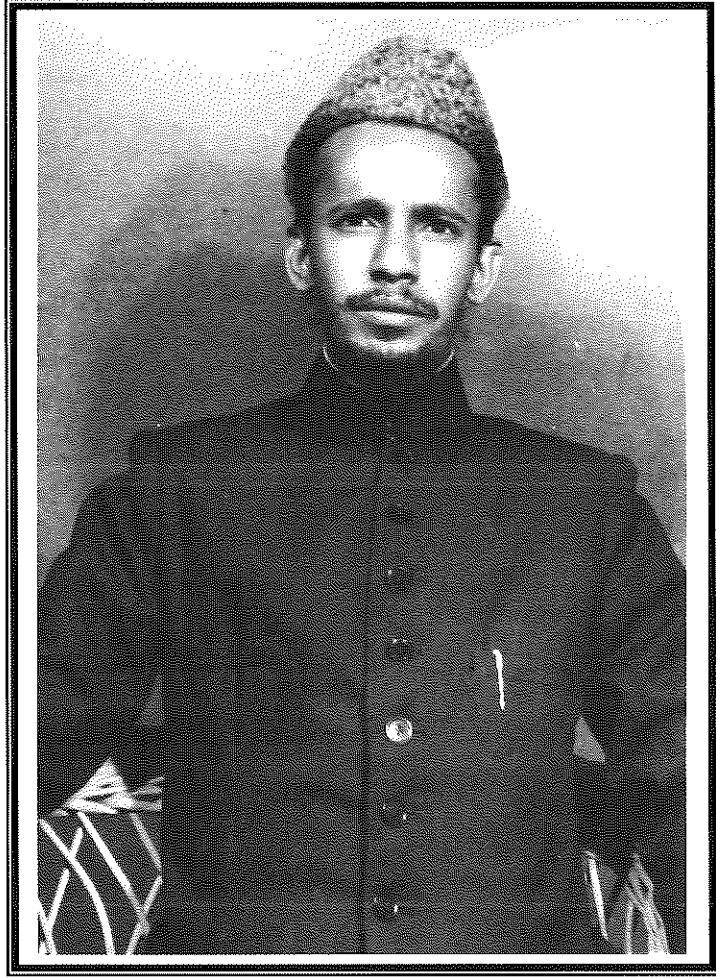
ضد رئيس الدولة والذي يزعم هو الآخر أنه يريد إقامة دولة إسلامية على غرار الخلافة الراشدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فاجتمعنا بالشيخ المودودي في بيت أحد أفراد جماعته المدعو (محمد أختر رأو) الموظف بمؤسسة الجفالي مع نخبة من طلاب كلية الشريعة بالرياض، فقال أحدنا: ما صرّح به أيوب خان أنه يريد إقامة خلافة راشدة مثل التي قام بها الخلفاء الأربعة فقال وهو يمد صوته بها: هو كذاب. فكانت لفتة نظر للطلاب الذين لم يعهدوا مصارحة فرد من أفراد شعب ضد رئيسه وممثل حكومته، من هنا بدأ الحديث السياسي مع الشيخ أبي الأعلى المودودي، وهذا أول لقاء به ومعرفته في ذلك العام ١٣٨١هـ.

الشيخ أبو الأعلى المودودي أسس فكرته الأولى كصحفي وكاتب إسلامي في حيدر آباد الدكن، وكان رمزاً للتحرير وإعطاء الفكر الجديد للمقومات الإسلامية، ثم أعقب ذلك بما كتبه وألفه من كتب استهدف تحقيق مضامينها بالتنظيم الجماعي والسياسي، فمن كتبه التي نالت إعجاب الجميع ولا معقب على ما كتبه (كتاب الحجاب للمرأة المسلمة) هذا العنوان كأنه يشير إلى أحقية المرأة المسلمة في اتخاذ منهج غير المنهج الغربي وقد تحدث الشيخ عن المرأة في الأمم السالفة قبل الإسلام وما لها وما عليها. وعملياً قام أفراد الجماعة الإسلامية بالالتزام وتنفيذ مواد هذا الكتاب كأمر قيادي شرعي، ثم (كتاب الربا) وهو أهم كتاب ألفه في الاقتصاد

الإسلامي يفضح الشيوعية والرأسمالية ويعرب عن مبادئ الإسلام الاقتصادية وفق شرعه وتنظيمه أخذت الجماعة الإسلامية بمقاطعة ما يخالف الاقتصاد الإسلامي مع دعوتها للناس وللحكومات الإسلامية النظر في تبعيتها للمبدأ الرأسمالي ورضاها بالبنوك الربوية، وهكذا فإن الشيخ عندما يكتب كتاباً أو ينشر مقالاً تكون الجماعة ملزمة بتنفيذه وبتطبيقه، وقد جعل جماعته على ثلاث مراتب: مرتبة أولى وهي المنظمة في الجماعة لها ما لها وعليها ما عليها، وتسمى الجماعة العاملة، يليها مرتبة ثانية وهي مرتبة المؤيدين المناصرين ومن يلتزمون ببعض الالتزامات غير الملزمة ولكن التأييد والمناصرة وحب الجماعة.

أما الدرجة الثالثة: فيدعون بالمحبين وهم المناصرون خارج خط الدائرة ومن يجذبون فكرة قيام الدولة الإسلامية على هذا النهج الذي اختارته الجماعة الإسلامية وعلى هذا سارت الجماعة وخطت خطوات صار لها صيت داخل باكستان وخارجه، فكان الشيخ المودودي يحمل صفة سياسية وفكرية وعلمية إلى أن توفاه الله في باكستان، وهو الزعيم المثالي في ورعه وتقواه وصلاحه، وما زالت الفكرة والمنهج بعد الشيخ تتوارثها الجماعة وتعمل على نفس خط السير الذي رسمه رحمه الله وغفر له.





إسماعيل بن عتيق في الباكستان

(١٢) الهند

مما هو جار على الألسن قول القائل: (الهند هندك لا قل ما عندك) كانت الهند وماتزال محط أنظار العالم إذ هي سلسلة أحداث لا أدري من أي نافذة أدخل لأعطي صورة عن مسلمي الهند والمؤسسات الإسلامية والحركات الدعوية. الهند بلد العجائب والعجائب جمة أثرى حضارة بمعالمها وقدم تاريخها حتى قيل إن آدم نزل أول ما نزل في الهند حين أهبط من الجنة، إذأ فكل بني آدم هنود الوطن لا اللغات والديانات، تتكاثر المعلومات وتمتلئ الحقائق من التقارير عن الهند ومؤسساته غير أنني أُلح إلى جانب من جوانب الدعوة ومشاهدة معالم في الهند شاهدة على حيوية الأمة الهندية وحركتها في التقدم الحضاري والإبداع العلمي، كانت الهند وبالأخص منطقة البنجاب دهلي مركز علماء الحديث وفحوله وكانوا مناراً لإحياء السنة وضبط دفاثرها مما جعل النجدين وهم أقل الناس بضاعة في التفوق العلمي في زمن من الأزمان يقصدون الهند للاستزادة والاستفادة كأمثال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وغيرهما كثير كانت رحلتي الأولى للهند عام ١٣٨٣ هـ بعد أن طوفت بالباكستان ومن لاهور إلى دهلي بالقطار السريع طفنا ببعض المدن الرئيسية فيه وهي دهلي، أكرا، عليكرا، خرجة، ديوبند، سهارنفور، حيدر آباد الدكن، بومباي ثم كانت الثانية لحضور

مؤتمر في جنوب الهند كيرالا التي كانت تدعى مليبار ممثلاً لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ومن حضر هذا المؤتمر الشيخ أبو بكر الجزائري ممثلاً للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والدكتور الشيخ محمد بن عبد الله العجلان وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلاً لها، والشيخ عبد الله ابن سليمان المنيع ممثلاً لرابطة العالم الإسلامي ومن دول إسلامية عربية، وكان ذلك عام ١٣٩٨ هـ، الزيارة الثالثة للهند في ١٤٠٢ هـ لمهمة هي بالأهمية بمكان فقد قامت الجامعة الإسلامية في الهند (دار العلوم ديوبند) والتي نعتت بأزهر الهند بعقد مؤتمر بمناسبة مرور مائة عام على إنشائها مثل الحكومة السعودية في هذا المؤتمر الدكتور الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي وقدم للجامعة مليون ريال سعودي دعماً لها ومساعدة، فكانت المشاكل بين أبناء مؤسسي الجامعة العلامة الشيخ محمد القاسم وحفيد محمد الطيب هو مدير الجامعة بعد حال انعقاد المؤتمر يعاونه على إدارة الجامعة ٢٠ عضواً من مختلف أنحاء الهند ومنهم أبو الحسن الندوي نشأ الإشكال بين مدير الجامعة والأعضاء معه يرون إبقاء الجامعة على ما كانت عليه حال تأسيسها وما يجري عليه اليوم وطرف آخر ممثلاً في الشيخ أسعد مدني رئيس جمعية مسلمي عموم الهند يرون التجديد والتطوير مع محاسبة من استلم المليون السعودي وطرق تصريفه، تفاقت المشكلة، ودخلت الجهات الرسمية في حل النزاع بين الطرفين إذ كانت الصحف

المحلية أشعلت فتيل الفتنة، وبلغ الشيخ عبدالعزيز بن باز هذا الخلاف فكلفني بالشخوص إلى الهند للنظر في الواقع ومحاولة إعمال الصلح أما رحلتي الرابعة للهند فهي استشفاء في مدراس ومستشفاهما العالمي أبولو لعلاج حساسية امتدت لأطراف اليدين والرجلين والحمد لله على العافية. أعود لألمح لك عن المدن التي زرتها في رحلتي الأولى ١٣٨٣ هـ:

١- دهلي : تعتبر المدينة الثالثة في قارة الهند بعد كلكتا وبومباي وفيها من الآثار الإسلامية مسجد دهلي الجامع الكبير الذي مضى على بنيته ٤٠٠ سنة ومازال يحكي الفن المعماري الإسلامي القديم. وفي القلعة الحمراء وليست بأقل من الجامع اعتباراً وبها شيء من الآثار القديمة من مخطوطات عربية وإفريقية وأنواع الأسلحة القديمة، وفيها مسجد تاريخي، ومعبد حديث للمجوس.

٢- أكرا : وشهدنا فيها بناء تاج محل بمعنى محل التاج الذي يعتبر آية في الإبداع حار المهندسون في إحكام بنائه يعتبر حقاً معجزة العصر في الهندسة والتصميم المعماري وبجواره القلعة الحصينة وتاريخها تاريخ تاج محل.

٣- عليكرا : وبها الجامعة الإسلامية التي أسسها أحمد خان منذ ١٠٠ سنة ويشرب من منهلها خمسة آلاف طالب على مختلف اللغات والديانات وبها الجامع الكبير المصنف أعالي قبه بالذهب ومن العجب أن إمام هذا

الجامع قد حاز على أربع شهادات دكتوراه في الطب عالم يحمل شهادة جامعية حافظ قارئ ويشمل متضمنات الشهادات الأربع.

٤- خرجة أهلة بالسكان معمورة بالعلم والتعليم.

٥- ديوبند وبها الجامعة الإسلامية وتعداد طلابها آنذاك ١٥٦١ ومعلميها ٥٢ وبها ١٢ شعبة للإفتاء والطب.

٦- سهارنغور وبها الجامعة مظاهر العلوم التي ظهرت بمظهر الدعوة إلى الله مع جماعة التبليغ تأسست سنة ١٢٨٣ هـ وشيخها الشيخ زكريا شيخ الحديث الذي كُلف بإعداد كتب تتمشى مع منهج الدعوة التبليغي في الأنصبة المعروفة عندهم.

٧- حيدر أباد الدكن: وهي المدينة التي نالت إعجابي وإخواني بمظاهرها الإسلامية، وهي مملكة مستقلة، ملكها يتمتع بصلاحيات عرشه، وبالأخير أذعنت قيادتها للهند، وفيها مسجد مكة وشارمنار بمعنى الجامع ذو المناير الأربع يتوسط المدينة بتنسيق هندسي بديع.

٨- بامبي : ميناء الهند والمدينة الثانية للهند بعد كلكتا وإلى هنا استغرقت الرحلة شهرين إلا أسبوع امتطينا على ظهر البحر آيلين تائبين حامدون لربنا ساجدون.

أما الرحلة الثانية فهي كما ذكرت لحضور مؤتمر عقده مسلمو الهند تحت شعار التعليم وقد أعددت بعد عودتي التقرير الآتي وليس بسر أن أطلع القارئ الكريم على محتوى هذا التقرير.

في يوم السبت الموافق ٢٥ / ٣ / ١٣٩٨ هـ افتتح رئيس وزراء كيرلا (مسيحي) المؤتمر وقد حضر الافتتاح وزير الذرة (مسلم) ورئيس البلدية (مسيحي) ووفد رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ووفد رابطة العالم الإسلامي، ووفد قطر، ووفد الأزهر، وكبار المسؤولين في الدولة وأعيان البلاد، والمثقفون وكامل أعضاء الجمعية.

وفي مساء يوم السبت المذكور ندوة الأدب العربي وكان كل شيء يقال باللغة العربية سواء كانت كلمات أو قصائد أو مسابقة.

وفي يوم الأحد الموافق ٢٦ / ٣ / ١٣٩٨ هـ بدأ المؤتمر مسيرته من مكان الانطلاق إلى مقر الحفل حيث احتشد الناس هناك وأعدت مكبرات الصوت ترتفع من كل جانب وإخواننا العرب يشاركون في مؤتمرنا: وفد المملكة العربية السعودية وفد رابطة العالم الإسلامي، وفد الأزهر، وفد قطر، وكان منظرًا مؤثرًا وخاصة بعد أن علمنا أن الهدف من هذا المؤتمر هو إشعار الفرد المسلم في الهند بأنه لا يعيش وحده بين الأديان والمذاهب المختلفة التي تحاول إذابة شخصيته وإنما له إخوان داخل الهند وخارجها

يسعدهم ما يسعده ويؤلمهم ما يؤلمه، ويحاولون أن يساعده على التخلص من الآثار السيئة التي خلفها الاستعمار والتي أثرت على المسلم في الهند نفسياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً وصحياً.

إن أعضاء الجمعية في الهند يقولون لقد مر طور من الزمن نخجل فيه الشخص المسلم أن يقول: أنا مسلم وذلك للضغوط الهائلة التي كان يشعر بها سواء كان ذلك من الاستعمار الذي يحطم ألد أعدائه في الدنيا والإسلام لقد أدركت الجمعية هذه الأخطار التي يواجهها المسلمون في شبه القارة الهندية فقامت بواجبها في حدود إمكانياتها، وقد لخصت أهدافها في النقاط الآتية في نشرتها المرفقة:

- ١- ترقية مستوى المسلمين دينياً وثقافياً واقتصادياً.
- ٢- تأسيس المعاهد العلمية ودور الأيتام والمستشفيات والمستوصفات ومراكز تدريب المهن لتخليص المسلمين من نفوذ التبشير الذي يعتمد على هذه المرافق لتشكيك الناس في دينهم أو إخراجهم منه.
- ٣- العمل لتعريف الإسلام لأصحاب الأديان الأخرى بالأساليب الجديدة.

٤ - توحيد صفوف المسلمين وتنمية العلاقات الودية بين مختلف

الفرق الإسلامية وإصلاح ذات البين.

٥ - العمل لإيجاد تفاهم حقيقي بين المسلمين وبين أصحاب الأديان

الأخرى.

إن القائمين على هذه الجمعية مجموعة من الأطباء والمحامين

والأساتذة وبعض أثرياء المسلمين.

ولقد قمنا بجولة على بعض منشآتها العلمية والاجتماعية والصحية

فسرنا كثيرا بالجهود العظيمة التي تبذلها هذه الجمعية لتحقيق هذه الغاية

النبيلة والتي أصبحت آثارها تظهر في معنويات الطلبة المسلمين. وقد كان

سرورنا أعظم بعد أن لمسنا الصراحة من الرئيس التأسيسي الدكتور عبد

الغفور عندما ناقشناه (في جلسة خاصة) في بعض الأمور التي تتنافى مع

الإسلام فأخبرنا أنه يتلقى التوجيهات البناءة بصدر رحب، وأنه يحس بما

أشرنا إليه، وأن الجمعية في طريقها إلى التخلص من الأمور التي تتعارض

مع الإسلام لكن تحقيق ذلك في نقلة واحدة صعب نظراً للظروف التي

تحيط بالجمعية لذا نرى:

١- إن مساندة هذه الجمعية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين،

ويكون من ضمن هذه المساندة تزويدها بالرجال الصالحين ديناً وخلقاً والأقوياء شخصية وعلماً.

٢- رغبة في توحيد الجهود وتنظيم العمل فإننا نرى أن تكون جميع

الطلبات المقدمة من الهند لمساعدة المسلمين عن ثلاثة طرق فقط:

أ- عن طريق الجماعة الإسلامية.

ب- عن طريق جمعية تعليم الإسلام في عموم الهند.

ج- عن طريق جمعية ندوة المجاهدين.

٣- تقوم هذه الجمعيات بدراسة الطلبات لمعرفة المشاريع التي قدمت

من أجلها ومدى تنفيذها والفائدة منها ثم تقدم الأهم فالأهم وأن يفتح

المجال أمام كل شخص يطلب المساعدة سيجعل من الصعب معرفة الأهم

فالأهم وتقديم الأولى فالأولى.

٤- نظراً لأن هذه المدارس سوف يدخل فيها بعض أبناء غير

المسلمين فإننا نرى أن تكون الإدارات والمراكز الحساسة في أيد إسلامية

ملتزمة وواعية تستطيع أن تؤثر بالحكمة والموعظة الحسنة وأن تبرز

شخصية الشباب المستقيم حتى لا يتأثر به الآخرون. هذا والله ولي التوفيق

والسلام.

أما الرحلة الثالثة فقد أعددت مقالاً نُشر في مجلة الدعوة السعودية في حينه أفيد القارئ الكريم بما نشر تحت عنوان: إلى الهند.

إلى الهند .. بالشمال^(١)

من دهلي أو دلي أو نيودهي كان المنطلق لمدينتي العلم، مدينة لكنو التي عرفت واشتهرت بندوة العلماء وشخصية العالم الكبير أبي الحسن علي الحسيني الندوي، ومدينة ديوبند التي عرفت بجامعتها الشهيرة، أزهر الهند، جامعة ديوبند دار العلوم.

والحديث عن دهلي لم يستجد فيه جديد بالنسبة لي، فقد تكررت زيارتي لها من عام ١٣٨٣ هـ فهي عاصمة الهند وقاعدة الشمال المجاورة لمنطقة البنجاب مما يلي حدود الباكستان، والجديد في زيارتي لدهلي لقائي بعدد من الإخوة العاملين على انفراد، أو مما يجعل الحديث معهم ذا شجون وبلا تكلف أو تحفظ.

أولاً: مع الجماعة الإسلامية الأ미ران السابق محمد يوسف، واللاحق أبو الليث الصلاحي، وعلى مأدبة الإفطار في اليوم التالي في شهر رمضان ١٤٠٢ هـ يتحدثان بكل وضوح عن سير الجماعة الإسلامية في الهند والمتمثل في النشر والإعلام والتعليم والخدمات الصحية والاجتماعية. ثم

(١) مجلة الدعوة، العدد ٨٧٥، بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ.

التعرج على السياسة. وكأن العالم أمام المرآة العاكسة للأحداث. فيتناولون منها ما شاءوا بالنقد والملاحظة أو الرد أو الموافقة.

ما شاء الله .. كان شيوخ في أعمار الستين إلى السبعين يتحدثون عن كل جديد في العالم وليته جديد فقط، ولكنه جديد ملتوٍ، إنها السياسة القاتلة للوقت والعمر ولكنها شيء لا بد منه، سألت عن حزب المؤتمر الهندي الحاكم، فقلت: أتصور أنه أقرب الأحزاب إلى الإسلام أو الولاء للمسلمين، لأنه من مؤسسات علماء المسلمين كالعلامة أبو الكلام آزاد، فقالوا صحيح ومع هذا فهو يدس للإسلام ويكيد له، ونحن لا نأمن مكر السياسة ولا نتخذه بالماضي، فقلت: إنكم تتهمون جمعية العلماء بالعمالة لهذا الحزب، فقالوا: شيء من ذلك ولا نشهد إلا بما علمنا ورئيس الجمعية وهو عضو في البرلمان الهندي، فقلت عن جمعية أهل الحديث أرى كثيراً من الشبان يلهجون بالثناء على الجماعة وأعمالها، فقالوا الحمد لله ذلك من فضل الله، فقلت: لم لا تجعلون فرعاً في الجماعة يهتم بالناحية العقائدية ويروى غليل جمعية أهل الحديث وتكونوا جماعة واحدة؟. قالوا ذلك ما نتمنى .. بدأنا هذا المشروع ولكن لم نتوفق في دمج الأسماء .. والحديث طويل وشيق وممتع في نفس الوقت إذ كان في جو من الصفاء والهدوء النفسي وتنزل السكينة قبل الإفطار وبعده.

ثانياً: مع جمعية العلماء ورئيسها الشيخ أسعد مدني، التقيت به في لكنو وفي دهلي وفي ديوبند .. قابلني في لكنو وقال لي معذرة تأخرت عن الموعد ساعة ونصف ساعة، سافرت من بمباي إلى دهلي واصلت الفجر وبعد الصلاة أخذت القطار إلى لكنو وفي هذه الساعة وصلت من دهلي لأتحدث معكم ساعتين وأسافر إلى دهلي ثم ديوبند .. شكرت له اهتمامه وتحمله الصعاب من أجل هذا اللقاء.

أهدى إلي كتاباً يشرح أعمال الجمعية وقال: معذرة يا شيخ نحن همزة الوصل بين حكومة كافرة وبين شعوب المسلمين في هذه البلدة نرعى مساجدنا وأوقافها والمدارس ومصالح المسلمين، لاشك أن بعض إخواننا يحملون مسئولية كل شيء يصدر من الدولة ضد الإسلام، ولكننا لا نملك كل شيء ولو كنا كذلك لكننا دولة في وسط دولة، وكانت الخلافة الراشدة ولكن كما قيل: بعض الشر أهون من بعضه.

عرفت من الشيخ أسعد مدني حب الزعامة أو حب الزعامة له، فهو بيت زعامة بالطبع، فوالده كان من أشهر العلماء وممن لهم دور في السياسة والوطنية والإصلاح، وكذا أسرته لهم دور إيجابي ضد الاستعمار الغربي .. أقول هذا حتى لا ترجح كفة الناقد كثيراً لجهة إسلامية ودعامة قوية تعمل للإسلام والمسلمين.

ثالثاً: جمعية أهل الحديث نشأت في دهلي وجعلوا من وسائل تقويتها الحديث عن الماضي، يتشبهون بالحديث عن الشاه ولي الله الدهلوي والشهيد إسماعيل وسيد نذير حسين وصديق حسن خان، درجوا على هذا حتى الساعة، وعليهم ينطبق قول الشاعر:

إلهي بني تغلب عن كل مكرمة

قصيدة قالها عمر بن كلثوم

يفأخرون مذ قد كان أولهم

يا للرجال لشعر غير مسؤول

معذرة لإخواننا في الحديث فإنني أطالبهم بأكثر من ذلك وأشد عليهم الوطأة في الملاحظة والنقد فمشرنا واحد وكلنا ذلك الرجل مما جعل شبابهم يميلون إلى الجماعة الإسلامية ويعجبون بتنظيمهم وإنتاجهم .. زرت مركزهم في دهلي القديمة كلفهم شراؤه مليون روبية اشتروه بالقرض حتى يجمعوا له، لا أسترسل في النقد ولكن أقول.

وقد نشطت مراكز التعليم فيهم لقيام جامعة مدراس الإسلامية والجامعة المحمدية في منطقة بمباي ودار السلام في مدارس والجامعة الأحمدية في بهار، وعملوا على إحياء التراث الإسلامي في الحديث والتفسير وعلم العقائد، وهم خير مثال يحتذى في النزاهة وصحة العقيدة والسلامة من دسائس السياسة وتلوث الأفكار.

ومن دلهي إلى لكنوا، هناك نلتقي بالعالم الأشم الذي يستوي عنده المدح والذم الشيخ علي ميا المشهور بأبي الحسن الحسن الندي، لكم تمنيت هذا اللقاء على انفراد ليخصني بدعائه وتوجيهاته، كنت طبعت له رسالة (بين الصورة والحقيقة) عام ١٣٨٣ هـ كدت أحفظها عن ظهر قلب وأنصور معانيها ثم تتلمذت على كتبه ذات الروح والطابع الإيماني الحي، قابلني مقابلة الأخ لأخيه وأجلسني بجواره، فقلت: رأيك في المملكة كأنك شيخ كبير أما اليوم فقد رأيته شاباً يافعاً ما شاء الله، فقال ذلك للتواضع، أجريت معه حواراً في يومين أقمت ضيفاً على سماحته كان منها ما هو رسمي لا يحق لي التصريح به، ولكن الذي أقوله: إن ندوة العلماء أعطت نماذج للعالم الإسلامي في صورة المؤمن الحي الواعي فلا يجهل حضارة الغرب، ولا ينكر شيئاً من تعاليم دينه وقيمه بل ولا من تقاليده وعاداته المنسجمة مع دينه وطبيعته، لقد جمعت بين طرفي نقيض المدرسة العربية القديمة كجامعة ديوبند وسهارةانفور والجامعات الوطنية العلمانية. لقد قامت الجامعة الإسلامية في عليكرة والجامعة الملكية في دلهي والجامعة العثمانية في حيدر أباد وحاولت أن تسد هذه الفجوة بين المدارس التعليمية القديمة والمدارس العصرية الحديثة، ولكنها لم تفلح كما أفلحت ندوة العلماء، بها ألفا طالب موزعون على المراحل الدراسية حتى ما بعد الجامعة.

حدثني أبو الحسن قال: في مدينة لكنو تركز الشيعة ولهم آثارهم الباقية في المساجد والقلاع ولكن الله أخذ شعلتهم ودق شوكتهم وأهل السنة يظهرون عليهم وبوجود ندوة العلماء في لكنو كان علماً ظاهراً زارهم قبل بضعة أيام حاكم الشارقة وليس بغريب زيارة الأعيان من رجال السياسة والعلماء وكان عنوان الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ أبو الحسن أمام الشيخ سلطان حاكم الشارقة ((نعم الأمير على باب الفقير .. وبئس الفقير على باب الأمير)).

يتبع لندوة العلماء .. المجمع العلمي الإسلامي لطبع الكتب والنشرات وكذلك مجلة البعث الإسلامي التي لم تتوقف منذ تأسيسها، صادفت زيارتي لندوة العلماء الإجازة التي تبدأ عادة من شهر رمضان ولكن كما قيل (المباني تدل على المعاني) كل ما فيها يسر والحمد لله، ودعت ندوة العلماء ومن لكنو إلى دلهي بالطائرة لأتوجه في اليوم الثاني إلى مدينة ديوبند.

ديوبند .. لا شيء في ديوبند غير دار العلوم (الجامعة الإسلامية) التي تأسست عام ١٢٨٣ هـ ولا شيء في ديوبند غير مكتبة تضم مائة وخمسين ألف كتاب باللغات العربية والفارسية والأردية والإنجليزية وفيها ١٤٠٠ طالب ومع هذا حسدها الحساد ورموها بسهم أدمى القلوب وأبكى العيون وأثخن في الجراح.

قامت فئة ضد فئة وظهر حزبان متضادان حزب يريد تطويرها وتنظيمها وحزب يريد تجميدها وركودها على ما كانت عليه من غير زيادة ولا نقص.

يدير الجامعة الشيخ أحمد الطيب منذ خمسين سنة ويبلغ من العمر سبعة وثمانين سنة، هذا الخلاف أدى إلى إقصائه عن الجامعة وإطلاق الجامعة في ساحتها وإخراج الطلاب من الفصول والمساكن بقوة البوليس، ولم يحدث هذا في تاريخ المدرسة العربية ولا يليق بعلماء فضلاء كلهم يحب الخير للجامعة ولكنه قضاء وقدر، عادت الأمور إلى مجاريها وحل مجلس الشورى كل مشكلة غير مشكلة الأموال وتسليمها للإدارة الجديدة.

الشيخ مرغوب الرحمن. تحدثت في صالة عامة لعدد كبير من الطلاب احتفوا بضيف عربي، ومما قلته: أن مشاعر المسلمين متحدة وأن الخلاف في الوسيلة لا يعني الخلاف في الهدف ولكل امرئ ما نوى، وجامعة ديوبند صرح علمي شهير وكلما كان الجوهر غالي الثمن كثر النزاع عليه كل يريده لنفسه فهي جوهرة ثمينة كل يريدها لنفسه.

بهذا الحديث ينتهي ما كتبه تحت عنوان حصاد الجولات لعام ١٤٠٢ هـ والمتمثل في ثمان دول هي: تايلند - ماليزيا - استراليا - سنغافورا - تنزانيا - الحبشة - كينيا - الهند.

هذا والله ولي التوفيق.

أما الرحلة الرابعة والأخيرة فهي استشفاء في شهر جمادى الثانية لعام ١٤٢٤هـ بصحبة الابن زكريا بن إسماعيل العتيق أكتفي بإفادة القارئ بآيات قلتها تحت عنوان (لحن في مدراس) وهي خاتمة الفصل لزيارة الهند والحمد لله على العفو والعافية.

بسم الله الرحمن الرحيم

لحن في مدراس - الهند

قضى الله أنه في شهر جمادى الثانية من العام ١٤٢٤هـ أن أصل إلى مدينة مدراس عاصمة تاملنادو (أي بلد التمل) في أقصى جنوب الهند. يبلغ عدد سكان تاملنادو ثمانية وأربعون مليون نسمة عدد المسلمين ثلاثة ملايين، عدد النصارى ثلاثة ملايين ومائتا ألف والباقيون من الهندوس منهم عشرة ملايين من المنبوذين ولدى الديانة الهندوسية طبقة المجتمع، الطبقة الأولى البراهمة وهم من أصل الأريين خلقوا من فم الرب الطبقة الثانية الكشتري وهم الجنود خلقوا من سواعد الرب، الطبقة الثالثة الويش خلقوا من فخذ الرب ومن حرفتهم الصناعة والزراعة، الطبقة الرابعة الشودر وهم العبيد للفتات السابقة خلقوا من قدم الرب والديانات أربع ديانات الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية، وقد حكم الإسلام الهند ثمانية قرون إلى أن سقطت رايات الجهاد على يد السيخ في يالكوت وحل محل الاستعمار الإنجليزي، وقد أصبت بوعكة على إثرها قلت: هذه الآيات:

لحن في مدراس

لم أر مدراس ولم تـرني	غير واهن العظم خلتها مدفني
شبح الموت تراءى لي	وأصـخت صـوته أذني
لم أر شيئاً من حسنـها	أو جمال غير شتى المهـن
حرفيون يعملون بها	مشركون عباد الوثن
ما لحواء أنجبت مثلهم	أتجاري بهم خدام الوطن
كيف ساغ تعطي ثديها	أرضعتهم ما تدري ما بالزمن
خلق الجن والإنس كذا	بعضهم بعضاً لبعض ممـتن
كيف يجلو الجمال لنا	غير رؤيا ضدين في قرن
هل رأيت غرباناً مثلها	مثلهم يهوي إلى النـثن
هل رأيت أبقاراً مثلها	مثلهم لولا ما بها من لبن
يطربون من غير ما طرب	صوت هذا اللحن من أشجى اللحن
حسنوا الوجه بروت البقر	بئس دين بيع ببخس الثمن
برهمي جنس هذا البشر	من فم الرب كروح للبدن
كشـتري جنودهم	ألويشي لزراع الحقل والسفن
شودري هذا له	خدمة الكل بلا منن
دبـنهم هندوسية كذا	اسمه من قديم الزمن
ولبوذا حكمـة قالها	أخذ الناس ما بها من حسن

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

وكذا السيخ شيطان الفتن
(يالكوت) سألها عن فتن
الشهيد إسماعيل حامي السنن
قدم الصدق بروح لم تهـن
بقرون ثمان كأن لم تكن
كنواة لغرس الفنن
مثل دار السلام دار المؤتمن
قام فيهم من دعى للسنن
صرحها بغير الطين واللبن
كي أجاري ركب هذا الميمن
أعبد الله بروح المحسن
مفعم الذنب عليل البدن
أنس القلب لغير الله في المحن
أبصر الحق يا لها من منن

المهايين سوارى دينهم
أجج الحرب ضد أعلام الهدى
أحمد العرفان قرباناً لها
بعد ذا سجل التاريخ لهم
ودع الإسلام حكماً له
لم يزل من الخير بها
جامعات بأسقات العلا
عمريون أسسوا بنيانها
نعم دار أسسوا بنيانها
لست أدري أتعلو همتي
منيتي أنني مثل ذا
أين مني أين ذا المرتقى
يا إلهي طهر القلب فما
واجعل النور نوري بالهدى

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الجامعة الإسلامية في ديوبند مشاعر

الإسلام في الهند

مسلمو الهند من أكثر الأقليات الإسلامية في العالم تمسكاً بدينهم وحفاظاً على تراثهم وفي سبيل ذلك فقد قاموا بتأسيس العشرات من المعاهد والكليات والمدارس والمؤسسات الإسلامية في طول القارة الهندية وعرضها وبذلوا ومازالوا يبذلون الجهود الضخمة في سبيل دينهم ولغة قراءهم وكثيراً ما يقتطعون ذلك من أقواتهم وأقوات أولادهم لا يبتغون إلا وجه الله ونصرة دينه ونفع عباده المؤمنين، ومن تلك المؤسسات الشاخصة في ديوبند جامعتها الإسلامية والمؤسسات التي انبثقت منها وقد تأسست دار العلوم منذ أكثر من ١٠٠ عام وتطورت واتسعت وكان لها ولعلمائها وخريجها أكبر الأثر في القارة الهندية، وكان من أبرز مؤسسيها بل صاحب فكرتها علامة الهند الشيخ محمد قاسم.

لقد نوهت عدة صحف ومفكرين وعلماء ومستولين مسلمين ومن أولئك العلامة المشهور صاحب مجلة المنار الشيخ محمد رشيد رضا المصري وكذا الأستاذ واضح رشيد الندوي في جريدة الرأي حيث قال: إنها تعتبر بحق أقدم وأكبر مؤسسة للعلوم الشرعية في شبه القارة الهندية.

أنجبت مدارس ديوبند علماء وباحثين نشروا العلم وقاوموا الاستعمار وعلى الجهة العلمية دافعوا عن الإسلام وتعاليمه وقد قامت

البلاد العربية المكونة من نحو خمسين نسمة بزيارة الجامعة الإسلامية وأقيم على شرفهم الحفلات وقد سجل أعضاء الوفود انطباعاتهم التقديرية نحو الجامعة.

أما نسب الجامعة العلمي فهي تنتمي إلى الإمام الحكيم ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي صاحب المدرسة الفكرية المعروفة الذي قام بدور عظيم في حفظ الكيان الإسلامي في الهند انتقلت روح تلك الأمانة بواسطة أحفاده الأجلاء إلى الإمام الشيخ محمد قاسم المعروف بشدة ذكائه وعلو كلمته في شرح العقائد الإسلامية وكذا الفقيه العلامة رشيد أحمد فأسست الجامعة دار العلوم سنة ١٨٦٦ م بعدما قضى الإنجليز نهائياً على الحكم الإسلامي ولفظت الحكومة المغولية أنفاسها الأخيرة بعد فشل ثورة ١٨٥٧ م في الهند.

تهدف دار العلوم إلى الاحتفاظ بالعقيدة الإسلامية وإشعال روح الغيرة الدينية والحماس الإسلامي في المسلمين، وللجامعة اهتمام بالتفسير والحديث فهما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي، وقد ذاع صيت دار الحديث التابعة لها في جميع أنحاء العالم، ونبغ من متخرجي الجامعة مئات من المتحدثين البارعين، وللجامعة مكتبة كبيرة زاخرة تعد من أقدم المكتبات وأخصبها لما تحتوي عليه من مخطوطات نادرة وعدد من المصاحف الخطية، يبلغ عدد الكتب المطبوعة أكثر من ١٢٠ ألف باللغات المختلفة.

تضم المكتبة قاعات عديدة، وللمكتبة نظام خاص لتوزيع الكتب على الطلبة كما أن من أنشطة الجامعة الصحف والمجلات فقد أنشأوا عدداً من المجلات والصحف وقامت الجامعة بإصدار مجلتين: القاسم والرشيد، ويصدر حالياً مجلد باسم دار العلوم باللغة الأردية كما أنها تهتم بنشر البحوث والمؤلفات حول موضوعات متنوعة وللجامعة يد في الدعوة والإرشاد وإرسال البعثات إلى مختلف أنحاء البلاد لإلقاء الخطب ومقاومة أهل الزيغ وبجانب العلم الشرعي فإن الجامعة بها كلية الطب يلحق بها مائة طالب كل عام يدرس بها الطب اليوناني ممزوجاً بالطب العصري الحديث والدراسة فيها ٤ سنوات تمنح الجامعة المتخرجين في تلك الكلية شهادة (فاضل الطب) ولغة التدريس هي اللغة المحلية في جميع مراحل التعليم من الرابعة إلى الثانوي أما في الدراسات العليا وأقسام التكميل يجري التدريس بكلتا اللغتين العربية والأردية والتعليم مجاني في جميع مراحل التعليم.

تمنح الجامعة شهادة الفضيلة بعدما يستكمل الطلاب مناهجها الدراسية من الابتدائية إلى الجامعة كما تمنح شهادة (فاضل الطب) لمن تخرج من الطب.

هذه لمحات عن دار العلوم في الهند إذ هي أكبر مرفق تعليمي يؤدي رسالته غير أنني أشير إلى أن المذهب المعتمد في تدريس مادة الفقه هو

المذهب الحنفي أما في العقيدة فهي على غرار المدارس الكبرى كالأزهر، وللتصوف دور فعال في تكوين الفرد المسلم الهندي ليلتقي بالجماعة تحت رعاية مشايخ الطرق وهي الطرق الأربع: الجشتية، النقشبندية، الأحمدية، القادرية، وقد كان لعلماء ديوبند الأقدمين بعض ما ينتقدون به الدعوة السلفية في نجد غير أن من خرج من علماء الهند كالشيخ نذير حسين والشيخ صديق حسن خان ضيقوا تلك الفجوة بين الوهابية والدوبندية وأعظم معلم عرفه العصر في علماء الهند العالم الرباني علي ميا أبو الحسن ندوي الذي سعى بفكره وعقله وعلمه وشرفه أن يرسل للعالم الإسلامي رسالة تدعو إلى الالتقاء والالتحام سيما وأن الملك فيصل - رحمه الله - كان رائد التضامن الإسلامي أبو الحسن الندوي ممن أعطى فكره وعقله لهذا التوجه الذي نادى به الملك فيصل - رحمه الله - وكان أبو الحسن عضواً في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة كما هو عضو في مجلس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وفي تقارب الديار واللقاءات بين العلماء والمفكرين كادت أن تنطمس تلك المعالم العقيدية التقليدية وأصبح لا شيء إلا للكتاب والسنة هو شعار الدعاة ورجالات الإسلام في كل مكان والحمد لله.

أبو الحسن الندوي

العالم الهندي من بيت النبوة وسلالة السادة الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهم

في عام ١٤٠٢ هـ توجهت إلى الهند وليست أولى رحلاتي فقد كانت رحلتي الأولى إلى الهند عام ١٣٨٣ هـ ولكن هذه الرحلة كانت بخصوص الجامعة العالمية المشهورة والمعروفة بجامعة (ديوبند) إذ وقع الخلاف بين أبناء مؤسسها الشيخ محمد الطيب وبين جمعية العلماء في الهند برئاسة الشيخ أسعد مدني فقد بُعثت من قبل رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة لسير الأحوال وإعمال الصلح إن أمكن إذ كان الخلاف على أثر دعم مالي سخي من المملكة العربية السعودية وهو مليون ريال سلمه الدكتور عبدالله التركي لأبناء الشيخ محمد الطيب فقام المناهضون لورثة الشيخ ليقولوا: إن الجامعة جمعية أهلية عامة للمسلمين وليست لأبناء الشيخ محمد الطيب.

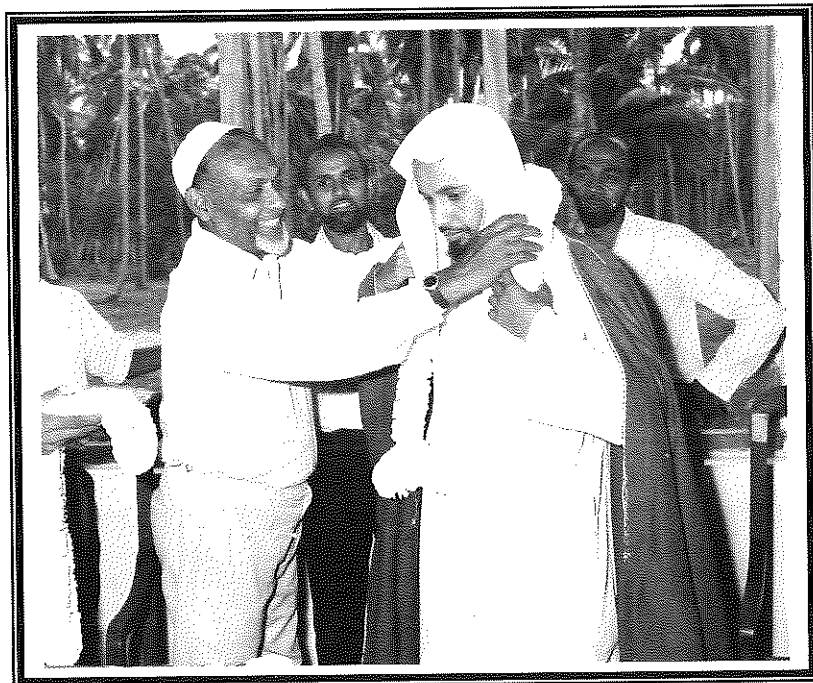
توجهتُ إلى لكنو حيث يسكن الشيخ علي ميا أبو الحسن الندوي وأخبرته بالمهمة فاستشرته في الخطة المرضية فأشار عليّ بما هو خير فتوجهت إلى ديوبند والتقيت بأبناء الشيخ محمد الطيب كما التقيت بالمناهضين لهم واتفقنا على بعض النقاط مما تم تسجيله ورفعته إلى جهة الاختصاص ، مكثت مع أبي الحسن ثلاثة أيام، فرأيت الرجل الزعيم والمصلح القويم

الرجل الزاهد النقي الورع ذا التصوف غير المبتدع العالم الرباني والكاتب الإسلامي الشهير الذي طبق ذكره آفاق العالم الإسلامي الشهير، وقد كنت قرأت كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) إبّان الطلب، فرأيت أمراً عجيباً كما رأيته غيري في هذا الكتاب، وقد قدّم له الأستاذ سيد قطب، رحمه الله، وطبع طبعات متعددة، فبقيت صورة الشيخ وحكمه في ذهني أصور ذلك الرجل الذي ألم بتاريخ بعيد سحيق، كما ألمّ بواقع العالم مسلمه وكافره فكتب كتبه عن رؤية ودراية وقوة تعبير بأسلوب أدبي رائع فهو الكاتب الأديب والمفكر الإسلامي الشيخ علي ميا المكنى بأبي الحسن، بعد كل عصر نجتمع معه في جلسة خاصة، ويتحدث ويوجه الحاضرين ويزيدهم من الأخبار، وكانت تلك أيام ثورة إيران أو بالأصح الثورة الخمينية، قال أبو الحسن: التقينا بالحرم المكي الشريف واجتمعنا بالخميني وهو إذ ذاك في المنفى، وكان معنا السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين وقالوا جميعاً: ندعو الله ونحن بجوار الكعبة، فأمروني أن أتلو الدعاء وهم يؤمنون، فرفعتُ يدي وقلت الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الحشر، الآية: ٥٩]. ولا أدري إذا كان الخميني قد آمنَ سرّاً، أو هو أدرك المقصود في الرد على الرافضة الذين ينالون من الصحابة رضي الله عنهم.

الشيخ أبو الحسن قد لا أحيط بوصفه فهو متعدد الجوانب الكسبية والذاتية، إلا أنني أقول: إنه رجل علم ودعوة وزعيم ولكن ليست

بالزعامة السياسية ولكن بشرف نسبه وعلمه وورعه ورضاه عن التصوف أكسبه محبةً ورضاً من جميع مسلمي الهند، وقد يختلف مع الزعيم السياسي الباكستاني أبي الأعلى المودودي في بعض الجوانب السياسية، وقد كتب أبو الحسن كتاباً بعد وفاة الشيخ المودودي حول فكر المودودي وسيد قطب، كما ألف كتاباً آخر سماه العقيدة والسلوك، فالشيخ أبو الحسن وإن لم يتفق تماماً مع المنهج السلفي المعاصر ولا مع الإخوان المسلمين من النواحي الفكرية ولكنه يحاول أن يضيق فجوة الخلاف بين المنهجين ومنهج التصوف السليم وأتى له؟ ولكن بقلمه البارع وأسلوبه الفياض قد يكون للشيخ أبي الحسن مدرسة سلوكية عقدية فكرية يكون هو رائدها، ولكن تكون في عمر الزمن الطويل وهو يرضى عن المملكة عموماً ويمجد الملك فيصل خصوصاً، فقد قال بلسانه: أنا لا أبيع ضميري، ولو بعته كان ذلك للملك فيصل.

عدتُ من الهند بعد عشرين يوماً أحمل معي المعلومات عن كل ما شاهدته وسعيت فيه، ومن ذلك إعجابي بهذه الشخصية البارزة الشيخ أبي الحسن غفر الله له.



إسماعيل بن عتيق في الهند

(١٣) سيرلانكا

لها أربعة أسماء: سرنديب، سيلان، سيلون، سيرلانكا.
الاسم الأول كتبه ابن بطوطة، والثاني أسماه العرب لسيلان الأنهر
ومنابع المياه، الثالث سماه مسلمو تمنادو (مدراس) إذ هي مجاورة لها أما
الرابع فهو الاسم الرسمي الذي اعتمد محلياً ودولياً.
تقدم أحد السيلانيين ويدعى عبد الحميد إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز
بن باز - رحمه الله - وأخبره بالأحوال في سيلان وطلب مبعوثاً من الجامعة
الإسلامية في المدينة المنورة حيث كان سماحة الشيخ رئيسها للذهاب إلى
سيلان للدعوة إلى الله وإلقاء نظرة على مسلمي سيلان فكتب سماحة الشيخ
إلى فضيلة رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وهو
آنذاك الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ - رحمه الله - فعرض على الرئيس
القيام بهذه المهمة فقبلت بناء على خبرتي القديمة للهند وما حوله فكانت
الأولى في شهر محرم عام ١٣٩٣ هـ أما الرحلة الثانية لسيلان فكانت في
١٦ / ٤ / ١٣٩٤ هـ فبعد رفع التقرير كان من جملة المقترحات تكوين لجنة
من أربعة أشخاص هم: ١- معالي الدكتور خليل رئيس لجنة رابطة
المسلمين وكان وزيراً للداخلية سابقاً. ٢- معالي الحاج الشيخ محمد حنيف
عضو رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ووزير النقل. ٣- الشيخ محمد
بن إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية في سيلان وقد كان في المملكة لتلقي

العلم في دورات الرابع كاتب التقرير إسماعيل بن سعد بن عتيق . مهمة اللجنة دراسة التقرير المقدم والمقترحات لمساعدة مسلمي سيلان مادياً بجانب الدعوة إلى الله ثم العودة إلى سيلان، واجتمعت اللجنة وأعدت تقريرها ومقترحاتها بمساعدة المسلمين في سيلان بمبلغ ٧٢٠ ألف ريال ٦٠٠ ألف تكون عاجلة و ١٢٠ ألف تصرف سنوياً للمدارس وجهات التعليم والهيئات الإسلامية وبعد رفع التقرير للجنة المذكورة صدرت الموافقة السامية على تقديم مساعدة مقطوعة ٦٠٠ ألف ريال تصرف على نظر اللجنة فكان ذلك والحمد لله أما الرحلة الثالثة فكانت لتوزيع المبالغ على وفق ما رآته اللجنة وكان ذلك بتاريخ ٦/٦/١٣٩٥ هـ أما الرحلة الرابعة فكانت بتاريخ ١٦/٨/١٤٠٧ هـ فقد تقدم سفير سيرلانكا بالرياض لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - لطلب النظر في مشروعه بناء مسجد في المدينة التي يقطنها في سيلان فأمر سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - للتوجه إلى هناك للنظر باستحقاق ما تقدم به السفير، وكان معي في هذه المهمة الأخ الفاضل الشيخ عبدالرحمن بن صالح التويجري، فكان ذلك والحمد لله.

أشفع للقارئ الكريم ما كتبت في رحلتي الأولى والرابعة أما الثانية والثالثة فكانت إجراءات إدارية وتوزيع المبالغ التي كان لها الأثر الطيب في نفوس مسلمي سيلان لدعم مؤسساتها التعليمية النظامية والأهلية، غفر

الله للملك فيصل، وجزى الله الشيخ ابن باز - رحمه الله - كل خير على اهتمام الكل في مناصرة المسلمين في أرجاء المعمورة.
وفيماء يلي ما وعدت به في رحلتي الأولى والرابعة:

سـيـلان

في ٢٧ محرم من عام ١٣٩٣هـ كان نزولي في مطار كولومبو عاصمة سيلان، وبعد التريث لبضعة أيام تحدد أمامي خطة سير العمل بالاتفاق مع الهيئات الثلاثة: الجماعة الإسلامية، وجماعة أنصار السنة المحمدية، وجماعة التبليغ، وذلك لضرورة الاختصار في الوقت وشمول النفع والإحاطة بالمعلومات اللازمة من مختلف المستويات وحددت لكل هيئة وقتاً معيناً على أن تتولى الهيئة نفسها خطة البرنامج وفق استعدادها، على أن يشمل البرنامج الدعوة إلى الله في المساجد والمجتمعات والأندية والمدارس وزيارة الشخصيات المهمة بالإسلام، وفي خلال الشهرين التي أقمتها في سيلان طفت بها اثنين وثلاثين مدينة، وخطبت في خمسة وخمسين مسجداً وألقيت المحاضرات على ستة عشر مدرسة عربية وسبع مدارس حكومية وأهلية، وزرت كافة المؤسسات التي لها صلة بالدين الإسلامي، وقطعت أكثر من ألف وستمائة ميل في كامل الرحلة، وركزت في خطاباتي على شرح توحيد الألوهية والعبادة وذلك في المساجد عامة وعماء جد من أفكار دخيلة على المسلمين تحملها المبادئ الكفرية، وعن الخطر اليهودي الكامن في صدور

الحاقدين على الإسلام، لمست تجاوباً من كافة الناس وكثيراً ما نقل في الصحف المحلية اليومية ما قلته وتحذث به كما أجري لي مقابلة في الإذاعة قبيل مغادرتي حول الإسلام والدعوة إليه وهذا أوان الشروع. والله الموفق.

الهيئات الإسلامية والمؤسسات الدينية:

كانت النشاطات الإسلامية محدودة ولكنها بعد الاستقلال من حكم الاستعمار الإنجليزي وقبله الهولندي والبرتغالي والذي دام أكثر من أربعمئة سنة جد للمسلمين نشاطات تتمثل في الأفراد والجماعات خدمة لدينهم وصيانة لأبنائهم عن تسرب الكفر والإلحاد، نذكرها مع الاختصار، ولدي معلومات أكثر وتقارير أطول ولكن هذا التقرير قصدت فيه الاختصار.

١/ الجماعة الإسلامية:

تأسست سنة ١٩٣٥ م، تدير هذه الجماعة وفق المنهج العام لخطة الأخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في الهند والباكستان تملك مركزاً ومكتبة في المركز وجريدة شهرية اسمها (الحسنات) ولها نشرات باللغة المحلية (التمل)، (السنقلي) وبالإنجليزية تطبع الكتب والرسائل وتباع بسعر التكلفة أو قريب منه، لها عدد من الشعب في نواحي سيلان أعضاءها عشرون والمتفقون كثير والمتأثرون أكثر وأكثر، تمارس نشاطها بكل حرية حيث أنها لا تصطدم مع السياسة المحلية، تعتنى بتربية الأفراد من النواحي

العقائدية والفكرية والجسمية، أكثر من يستجيب لها من الطبقة المثقفة وفيهم الأطباء والمهندسون والمدرسون في الجامعة الحكومية الرسمية.

٢/ جماعة أنصار السنة المحمدية :

تأسست عام ١٩٤٧م، قامت على حرب البدعة والإنكار على أهل القبور وأصحاب الطرق وهدموا بعض القباب المبنية على القبور وأبلوا بلاءً حسناً، وقد اعتزلوا المجتمع واعتبروه جاهلاً لا يصلح للاختلاط به. يملكون أربعة مساجد وخمس مدارس قرآنية، وهم أشبه بجماعة الحديث بالهند وباكستان، وبأنصار السنة في مصر والسودان، وكانت لهم صحيفة شهرية عملت سنتين ثم توقفت باسم (دعوة الحق).

٣/ جماعة التبليغ :

بدأت حركة التبليغ عام ١٩٥٣م، وهي أنشط الجماعات في المحيط العام، ويملكون مركزاً وسيارة يتبعهم كثير من الأغنياء، ويوجد فيهم عدد متفرغ للعمل ممن أحيلوا على المعاش، يتبعها مدرسة عربية من كبريات المدارس في سيلان، وهم يسIRON وفق ما تسير عليه جماعة التبليغ في الهند وباكستان وغيرها، وفي رجب هذا العام يعقد اجتماع عام يتوقعون أن يحضره أكثر من خمسين ألفاً من أنحاء العالم الإسلامي يتمركزون في مسجد جامعي طيني في كولبو الذي لا يخلو ساعة من ليل أو نهار من الناس،

ولهذه الجماعة خطرهما في المستقبل، وقد زاد عدد المساجد في سيلان بنسبة ١٠٠٪ منذ بدأت نشاطها وفق الإحصاءات في دائرة الأوقاف.

٤/ جمعية العلماء:

يكثر العلماء في سيلان وكلهم على مستوى ضحل من العلم، حيث إن من تخرج من المدارس العربية أخذ شهادة عالم وهذه المدارس أقل من مستوى المعاهد العلمية في المملكة وأكثرهم يعملون في مدارس حكومية والإمامة والخطابة في المساجد والمدارس العربية ومهمتهم تتمركز على استعراض الاستفتاءات وتلمس الحلول لكل ما جد على ضوء الشريعة من المسائل التي لا تزال موضع بحث كجواز قلع العين بعد الموت وإهدائها لحي آخر، ومسائل ربوية، وأحكام في الطلاق وغيرها. مركزهم كولمبو العاصمة وجلساتهم طارئة وفق الحاجة ورغبة الأكثرية في الانعقاد.

٥/ جمعية الشباب المسلمين:

تسير على منوال جمعية الشباب المسيحيين والشباب البوذيين، وهي أشبه ما تكون بتجمعات ترفيهية ولقاءات تعارف، وليس لها نشاط إسلامي متميز، ولها عدد من المراكز في نواحي سيلان، وكثير من الشباب المسلمين انخرطوا في هذه الجمعية وترعاهم الحكومة.

٦/ كلية الزاهرة:

أكبر المؤسسات العلمية والإسلامية يملكها المسلمون تأسست سنة ١٨٩٢م، وكان يتبعها خمس مدارس فرعية، إلا أن الحكومة وضعت يدها عليها وأبقت لهم كلية الزاهرة في كولومبو بعد محاكمات في إنجلترا، وهي تدرس التلاميذ من الابتدائي حتى مرحلة الجامعة في حفاظ على شعار الدين وتربية سليمة وعدم اختلاط، وعدد طلابها ألفا طالب ومدرسوها مائتان، وقد ساعدتها حكومة جلالة الملك في العام الماضي بخمسة آلاف جنيه إسترليني عن طريق الرابطة، وفي هذه الكلية قسم للطباعة والتجليد والصناعات اليدوية الخفيفة، وقسم للأيتام الصغار، وبها جامع كبير تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة، وتقع في موقع استراتيجي من عاصمة سيلان كولمبو يرأسها الدكتور الشافعي مسلم متحمس راغب في تطويرها والحفاظ عليها.

٧/ كليات السيدات المسلمات العربية:

تقابل كلية الزاهرة للبنين كلية سيدات المسلمات العربية، وهي على نفس المنوال تحافظ على حرمة المرأة المسلمة من الاختلاط مع التوجيه والالتزام لشعائر الدين، وتقع هذه الكلية في مدينة (كليليا) قرابة ثلاثين

مياً من كولمبو يرأسها الحاج أبو الحسن وعدد الطالبات أربع مائة طالبة، وفيها قسم خاص باليتيمات، وقد ساعدتها حكومة العراق وحكومة أبو ظبي.

٨ / المدارس العربية الدينية :

تبلغ المدارس العربية خمساً وعشرين مدرسة متفرقة في أنحاء سيلان، والدراسة فيها أربع سنوات تؤهل شهادة (عالم) يدرس فيها علوم القرآن والتفسير وأصوله والنحو والصرف والبلاغة والعروض والمنطق والفلسفة وعلوم الحديث وعلوم العقائد ويقدر عدد مجموع طلابها ست مائة طالب وثمانون مدرس وتعترف الحكومة بالشهادات، وتؤهل المتخرج ليكون معلماً في مدارس الحكومة للدين واللغة التملية، وغالب هؤلاء الطلاب يسكنون ويأكلون على حساب التجار المحسنين من الزكاة وغيرها.

٩ / مدارس تحفيظ القرآن :

يوجد مدرستان فقط لتحفيظ القرآن (دار الحسنات في مدينة سنتر، ومدرسة طلاع في كينكا كودي) غير أن أغلبية المساجد لا تخلو من معلم للقرآن الكريم وغالباً تكون مسائية.

١٠ / مدرسة دار الأيتام لأبناء المسلمين :

تأسست قبل ست سنوات، بها خمس وأربعون يتيماً من السادسة حتى الثانية عشرة من عمره، يتعلمون مناهج المدارس الحكومية مع الحفاظ

عليهم وتربيتهم التربية الإسلامية والقيام بمؤنتهم واحتياجاتهم، ساعدتهم حكومة جلالة الملك بخمسة آلاف جنيه إسترليني عن طريق الرابطة وذلك قبل أشهر.

١١/ المدرسة الأحدية :

لاحظ المسلمون أن عطلة الأحد العطلة الرسمية الأسبوعية، لا ينبغي أن تفوت بدون استفادة واجتهادوا في تأسيس مراكز لتعليم الطلاب علوم الدين والشريعة يوم الأحد، وقد وافق هذا المشروع قبولاً وارتياحاً لدى المسلمين، وقد ذكر لي المسؤول محمد من كبار المحامين وقاضي سابق أن عدد المراكز خمسمائة مركز يتجمع الطلاب والمسلمون فيها يوم الأحد للدراسة والتربية الدينية.

١٢/ دار الثقافة الإسلامية المورية :

رائد هذه الدار الحاج عبدالرزاق من كبار الشخصيات في سيلان كان مندوباً سامياً لحكومة بريطانيا في باكستان أيام الاستعمار، وتعنى هذه الدار بترجمة الكتب الدينية إلى اللغة السنهالية أو اللغة السمية، وقد ترجموا معاني القرآن وطبعت منه الجزء الأول بمساعدة الحكومة السابقة، ولهم جلسات في الأسبوع للبحث عما جد من قضايا، ويحضر هذه الجلسات بعض القضاة وكبار الشخصيات، وقد يدخل معهم من لا يؤمن بالإسلام أو يعتقد عقيدة الحلول والاتحاد وطرح التكاليف الشرعية، يملكون عمارة من أربعة

أدوار تقدر بخمسة ملايين روية، يعتنون بالدعاية واستقبال الشخصيات الإسلامية، وقد نسبوا هذه الدار إلى الجالية المراكشية وقالوا: دار الثقافة الإسلامية المورية.

١٣/ دائرة الأوقاف الإسلامية:

تعنى بشؤون المساجد وضبط وارداتها ومصروفاتها ووضع اليد على جميع أوقاف المساجد، كما ينتخب لكل مسجد رئيس مسؤول أمام الإدارة، والإدارة مسؤولة أمام الحكومة، وهذه الدائرة تسندها الحكومة، إلا أن موظفيها على حساب الأوقاف، وبلغ عدد مساجد سيلان ألف وخمسمائة مسجد منها تسعمائة جوامع وستمائة مساجد صغار وزوايا وتكية.

١٤/ ((ليبري مسلم)) مكتبة المسلمين:

تأسست هذه المكتبة عام ١٩٣٣م في موقع متوسط من العاصمة، وتفتح أبوابها للمطالعة العامة للكتب الدينية باللغات الإنجليزية والتملية السنهالية والعربية بها قرابة خمس آلاف كتاب في مختلف اللغات.

١٥/ يملك المسلمون ثلاث صحف شهرية من بين الصحف المحلية التي يقدر عددها بمائة وخمسين صحيفة ومجلة، وفيها ما يطبع باليوم عشر مرات وباللغات الثلاثة: الإنجليزية واسنقلو والتملي، وللمسلمين ساعة ونصف في اليوم في الإذاعة المحلية لنشر الدين عن طريق الإذاعة ويسمح

لهم في الأعياد والمناسبات كالمواليد بأكثر من ذلك إذا طلبوا، أما الطباعة فيملك تاجر مسلم يدعى الحاج نظيم مطبعة، وهي تجارية إلا أنها تطبع كتب المسلمين باللغات الثلاث، الإنجليزية والسنهلي والتملي، وينوي قريباً أن يجعل مطبعة عربية لطباعة الكتب الدينية باللغة العربية، وهذا التاجر محسن شهير يعترف الناس بفضلهم وكرمهم، حيث ينفق مئات الآلاف في سبيل الدين والمساعدة الإنسانية ما لم تكن عوناً على كفر، وهو متدين وصالح جزاه الله خيراً.

١٦ / رابطة المسلمين؛

يتزعمها الدكتور خليل، وهذه الرابطة أشبه ما تكون رمزية وتقليدية إلا أن شخصية الدكتور شخصية بارزة، كان يشغل وزير الداخلية في الحكومة السابقة، وهو يعتبر زعيماً للمسلمين بأكثرية الأصوات، وهو رجل متدين وأبوه وجده من العلماء، وهو كبير السن.

١٧ / منظمة الفدائيين الفلسطينيين؛

وقبل مغادرتي اتصل بي الدكتور معروف، وذكر أن لديهم منظمة لتحرير فلسطين، وقد أهدى لي كتيبات حول النشاط الذي تبذله هذه المنظمة، وبالسؤال عن الدكتور معروف ذكر لي بعضهم أنه يجمع إلى الميول الشرقي وقضية فلسطين يعتبرها المسلمون عموماً قضية إسلامية ويتحمس لها عامة الناس وخاصة بعد طرد سادة اليهود من سيلان.

المذاهب والأحزاب المناوئة للمسلمين:

السياسة المحلية:

منذ عام ١٩٧٠م، وتدخل الأحزاب اليسارية في الحكم حصل تغير في أوضاع المسلمين عامة، وفيما يتعلق بالنواحي الدينية:

١/ سفر جميع المسلمين التجار الوافدين من غير سيلان وأكثرهم من الهند، وكان هؤلاء التجار مساهمات فعالة في كثير من المشاريع الخيرية الإنسانية، وحصل بسبب تسفيرهم نقص بالمسلمين.

٢/ كان الحج مأذوناً به لكل شخص، ثم حددت الحكومة بخمسين حاجاً على أن يتجاوز عمره خمساً وأربعين عاماً وأن لا يتجاوز تحديد النفقة بمائة دولار ما عدا الأجور في الطائرة أو الباخرة.

٣/ صادرت الحكومة المدارس النظامية التابعة للمسلمين وعددها خمس مدارس وأبقوا واحدة بحكم أنها تابعة للمسجد وجعلت التعليم مختلطاً بين الرجال والنساء.

٤/ أدخلوا في المدارس بعض الآراء الشيوعية وتراجم الروس الشيوعية.

٥/ كان المسلمون لهم ثلاث ساعات في الأسبوع لتعليم اللغة والدين في المدارس الحكومية، ثم ألغت هذه الثلاثة، وبعد المطالبة من المسلمين أعادوا إليهم ساعتين في الأسبوع لتعليم اللغة العربية والدين

الإسلامي، ويقدر عدد مدرسي هذه المادة بستمئة مدرس كلهم من خريجي المدارس العربية الإسلامية المحلية.

٦/ لا تمد الحكومة أي مساعدة مالية أو معنوية للمشاريع الإسلامية، ولكنها لا تمنع في أي مساعدة مالية من الخارج بشرط اتفاق سابق مع الحكومة وإطلاعها على جهة الصرف.

٧/ الوزراء عشرون وزيراً، منهم واحد من المسلمين وهو وزير التربية والتعليم، وأعضاء البرلمان مائة وخمسون عضواً منهم سبعة عشر من المسلمين.

٢/ المذاهب الإلحادية:

١/ الشيوعية: تعمل في سيلان ثلاثة أحزاب سياسية شيوعية تابعة لموسكو والصين ويوغسلافيا، وقد أخذ صبغتها الرسمية عام ١٩٣٦م، وفي عام ١٩٧٠م، تم لها القبض على ذمام الحكم، وقد بلغت نسبة المسلمين من العمال مع الشيوعية ٩٠٪، ومن غير العمال ٣٠٪ تقريباً، وقد تأثر أكثر الطلاب من المسلمين وغيرهم بالفكرة الماركسية الشيوعية، وتقدم لهم مساعدات مالية ومعنوية من موسكو.

٢/ الاشتراكية: وفي سيلان الجبهة الاشتراكية الإسلامية يتزعمها الحاج بديع الدين وزير التربية والتعليم، وهي تشترك في الحكم، إلا أن هذه الجبهة تدس على تعاليم الإسلام من مبادئ الشيوعية، وتغير الكثير من مفاهيم الناشئة حول الاقتصاد الإسلامي.

٣/ أحزاب سياسية ووطنية أخرى: ويوجد في سيلان أحزاب متضاربة بخدم مصالح معينة وكلها ضد الإسلام، منها الحزب الاتحادي الوطني وحزب الاستقلال لسريلانكا، والحزب الهندوكي وحزب التحرير الوطني وأحزاب قومية - السنهالية والبوذية والتملية.

٣/ المذاهب العقائدية:

١/ القاديانية: بدأت نشاطها في سيلان عام ١٩٤٣م واتخذت مركزاً في كولومبو، وأصدرت جريدتها الأسبوعية، يملكون مركزاً ومسجداً ومطبعة ومدارس أهلية، وطريقتهم في التبشير طريقة النصارى، ودعوتهم كما هو معروف أن أحمد ميرزا هو المسيح المعهود والمهدي الموعود، وأنه نبي يوحى إليه، وتراجع هذه الطائفة ومركزهم في ربوة باكستان قرب لاهور.

٢/ البوذية: وهي الدين الرسمي للحكومة، ولهم نشاط ديني وقومي ومدارس تبشيرية يهدفون إلى إعادة أهالي سيلان ممن ترك البوذية من المسلمين والمسيحيين إلى العودة إلى دينهم القديم وقوميتهم السنهالية ويدرسون في مدارسهم التبشيرية اللغات الحالية ومنها اللغة العربية.

٣/ البهائية: دخل هذا المذهب في سيلان عام ١٩٥٣م، وهو يقوم بالدعوة البهائية، وله مركز في العاصمة ونشاط ملموس.

٤/ الهندوك: نسبتهم من مجموع السكان ٣٪ ولهم كذلك نشاط في الدعوة إلى دينهم، ويستمدون نشاطهم من الهند.

٥/ الطرق الصوفية: ومذهب التصوف أمر شائع لا خلاف فيه حيث بلغت الزوايا والتكيات الخاصة بالذكر على الطرق الصوفية ٦٠٠ بجانب ٩٠٠ مسجداً، وأشهر هذه الطرق الشاذلية والنقشبندية والرفاعية و.....، قد ظهر فيهم من يقول بطرح الشريعة بعد الوصول اصطلاح صوفي.

٦/ النصراني: وقد دخل التبشير النصراني بدخول الاستعمار الهولندي والبرتغالي والإنجليزي أي قبل ٤٠٠ سنة تقريباً، وقد اجتهد النصراني في التبشير وخاصة بعد الاستقلال حيث يفد المبشرون من كل البلاد الأوروبية، ونسبة النصراني ٥٪ من مجموع السكان، وقد أخبرت قريباً أن باخرة أمريكية تحمل أربعين مليون كتاب وزعت جميعها بالمجان كلها تبشير وضد الإسلام.

معلومات عامة:

- ١/ تقع جزيرة سيلان في الجنوب الشرقي لقارة الهند.
- ٢/ مساحتها ٦٥٦١٠ ألف كيلومتر مربع.
- ٣/ عدد سكانها اثنا عشر مليوناً، المسلمون ٨٪، والنصراني ٥٪، والهندوك ٣٪، والباقيون بوذيون، يوجد أقليات من القاديانيين والبهايين.
- ٤/ تنتج سيلان الشاي الذي يحيط أكثر الجبال في منطقة كندى، والقهوة والهيل والرجيل والمطاط والقرفة والفواكه من الموز والمنقا

والشمش والبرتقال وغيرها من أصناف الثمار، وغذاؤها الرئيسي الأرز والعدس.

٥/ تكثر فيها المصانع والأيدي العاملة كمصانع النسيج والدهنيات والشاي، ويوجد مصنع كبير للدراجات يملكه أحد المسلمين، ومصانع السيارات.

٦/ الأسعار غالية والحاجات والكمالية والأجور قد خفضت كثيراً فالعامل العادي يأخذ في ثمان ساعات يومياً مائة وخمسون روبية شهرياً إلى مائتين روبية. والمدرس في مدارس الأيتام من مائتين إلى ثلاثمائة روبية، ومدرس الجامعة سبعمائة روبية إلى ألف روبية تساوي أقل من نصف ريال سعودي.

٧/ يكثر بها بيع الجواهر على اختلاف أنواعها، ولكن الحكومة قد قللت الكثير من محلات الجواهر واحتكرت بيعها وشراءها، وخبرة الجواهر بأيدي المسلمين، وفي زمان مضى جاءت الحكومة بخبراء من اليهود فاحتج المسلمون وأضربوا عن البيع حتى أخرجوا اليهود.

٨/ قل أن تجد عاطلاً بلا عمل لا من المسلمين ولا من غيرهم، حيث يتمتعون بخبرة تجارية بحكم موقعها وإنتاجها واتصالها بالعالم الخارجي.

٩/ تحتل المرأة مكاناً في المجتمع، ومن عجائب الزمان أن المرأة هي التي تتكلف بمؤونة الرجل والتجهيز عليه، وقد تدفع له مالاً باهظاً مقابل الزواج بها والسكن إليها.

- ١٠/ يهتم المسلمون بعمارة المساجد وزخرفتها وذلك نتيجة للصراع بين الأديان الأربعة، البوذية، والإسلام، والنصرانية، والهندوكية.
- ١١/ تبرز ظاهرة الانحلال الخلقي وشرب الخمر والعري في النساء والزحام على دور السينما وكثرة من يقلد الهيبيز من كافة الشبان.
- ١٢/ تغلب عليهم عموماً روح التعبد والاستعانة بالقوى الغيبية وقد ترى أحياناً من يخرج من معابد البوذية ويدخل عند قبور المسلمين للعبادة وخاصة النساء.
- ١٣/ قطعت الحكومة علاقتها مع اليهود وأخرجت السفارة اليهودية من كولمبو بعد الثورة الاشتراكية.
- ١٤/ يتاخم لجزيرة سيلان (جزر المالديف) وهي ألف جزيرة المعمور منها مائتان وسكانها خمسمائة ألف مسلم، وهي حكومة مستقلة لها سيادتها التامة غير أنه يشاع أن لها علاقة وطيدة باليهود وأن اليهود قد تمكنوا من هذه البلاد كما يقال بوجود الأسطول الأمريكي حول هذه الجزر وقد ذهب من يريد الدعوة. كما يذكر أن ظاهرة الترف والغنى بينهم وكذلك التحلل الخلقي والتشبه بالكفار في جميع أعمالهم وعاداتهم.
- ١٥/ يشعر المسلمون في سيلان بالعزلة التامة لأوضاع المجتمع والفجوة بينهم وبين الكفار واسعة وذلك بسبب اختلاف الدين، ومن جانب آخر فإن كثيراً من المسلمين ينتسبون إلى جاليات عربية من اليمن والمغرب والهند ومليبار وجنوب الهند. وجانب ثالث هو الضغوط التي تمارسها الدولة البوذية ضد الأقليات من المسلمين وغيرهم؛ لذلك

فالمسلمون قلوبهم مشدودة إلى دول العرب، وقل أن ألتقي بشخص إلا ويتمنى أن يزور بلاد العرب، كما أن العربي له مكانته القدسية في قلوب المسلمين إلى درجة الغلو به والتمسح.

١٦ / يوجد سفارتان للعرب، السفارة المصرية والسفارة العراقية.

تقرير عن بعض الجمعيات والمراكز الإسلامية في سيلان في زيارتنا الرابعة والاجتماع ببعض المشايخ

الحمد لله وحده وبعد:

فلم تقتصر زيارتنا لسريلانكا على زيارة كلية الزاهرة في كولمبو والنظر في طلب سعادة السفير السيلاي لدى المملكة مساعدة مسجد النور والمدرسة الجوهرية في بلده ((ماونيل)) وإن كان ذلك هو الهدف الأول في مهمتنا.

فبعد أن وفقنا الله تعالى لزيارة كلية الزاهرة والاجتماع مع المسؤولين فيها عدة مرات .. طلبنا منهم جمع أعضاء هيئة التدريس والعاملين فيها وطلبة الكلية لإلقاء محاضرتين عن الدين الإسلامي وبيان محاسنه وأهدافه، وقد تم ذلك، وبعد ذلك قمنا بزيارات لبعض الجمعيات والمراكز الإسلامية والمدارس والمساجد داخل العاصمة ((كلمبو)) وخارجها .. ومن ذلك:

١ - مسجد النور في مدينة ماونيللا والمدرسة الجوهريّة التابعة له، وقد ألقينا بعد صلاة الظهر نصيحتين في الحث على التمسك بالإسلام والحرص على نشره في تلك البلاد.

٢ - مسجد الهدى في مدينة ماونيللا والمدرسة التابعة له وهي الكلية العربيّة للتعاليم الإسلاميّة، وقد ألقينا كلمة بعد صلاة العصر في وجوب التعاون بين المسلمين وتعريف الناس بالإسلام والدعوة إليه.

٣ - مدرسة الزاهرة للبنات المسلمات في مدينة ماونيللا، وقد سررنا حين شاهدنا البنات تحت سن العاشرة وقد لبسن الزي الإسلامي، ثم ألقينا كلمة فيهن في الحث على طلب العلم الشرعي وبيان نظرة الإسلام إلى المرأة وأنه أعطاها حقوقها.

٤ - المدرسة البدريّة للبنين في ماونيللا.

٥ - الجماعة الإسلاميّة في كولمبو .. وقد زرناهم في مقرهم الجديد وحثناهم على بذل جهد مضاعف لإرشاد إخوانهم المسلمين وتصحيح عقائدهم.

٦ - مركز جماعة التبليغ في كولمبو .. وقد أدينا صلاة الظهر معهم واجتمعنا بهم وتناقشنا ببعض الأمور التي تهم المسلمين.

٧ - المركز الإسلامي في كولمبو .. وقد زرناه واجتمعنا بالمسؤولين فيه والذي يرأسه وزير الشؤون الإسلاميّة.

٨- المركز الإسلامي للمعوقين بدنياً في مدينة تهاريا، وقد صلينا معهم الظهر، واطلعنا على أحوال المعوقين لديهم، وأعجبنا نشاط المسؤولين عن المراكز وشجعناهم على بذل الجهد في خدمة أبناء المسلمين.

٩- الكلية الغفورية في مهارقا، وقد تجولنا في منشآت الكلية وفصولها الدراسية، وصلينا معهم الظهر، وألقينا فيهم نصيحتين في الحث على التمسك بالدين الإسلامي والالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة. ويدير الجامعة: الشيخ / محمد مخدوم مبارك.

١٠- دار الأيتام المسلمين في ماكولا، وقد صلينا معهم المغرب، واطلعنا على أحوالهم، وألقينا فيهم كلمة في وجوب التعاون بين المسلمين وأنهم كالجسد الواحد ..

١١- جمعية أنصار السنة المحمدية في مدينة .. فرجُهادني واجتمعنا بالمسؤولين ودار الحديث حول أوضاع المسلمين في المنطقة .. ووجوب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

١٢- جامع الجامعة في مدينة ((كندی)) وقد أعجبنا ببناءه من ثلاثة أدوار، وحرص المسؤولين فيه على مناوأة الشرك والمشرِكين. هذا وقد عقدنا عدة اجتماعات مع المسؤولين والمشايخ في سيلان .. ومن ذلك:

١- اجتماع مع صاحب المعالي وزير الشؤون الإسلامية الشيخ: محمد حنيفة حيث بحثت معه أحوال المسلمين في الجزيرة وما تقوم به وزارته

تجاههم، كما ناقشنا معه موضوع كلية الزاهرة وحاجتها للمساعدة. وقد تم الاجتماع بمكتب معاليه بالوزارة.

٢- اجتماع مع الأستاذ/ محمد منصور وزير محافظة ملي ديو ودار الحديث حول وضع الإسلام والمسلمين عندهم.

٣- اجتماع مع الدكتور/ خليل محمد قاسم رئيس جمعية رابطة المسلمين في سيلان ووزير العمل سابقاً وتباحثنا معه في أهداف الجمعية وما حققته من نتائج.

٤- اجتماع برئيس جمعية الشبان المسلمين في سيلان .. الشيخ/ ظافر قاسم، وجرى الحديث حول الجمعية ونشاطها.

٥- اجتماع مع الشيخ الحاج نظيم المؤسس والمشف العام على الكلية التنظيمية في بيرولا وشكرنا له جهوده ومساعدته للطلبة المسلمين في سيلان.

٦- الاجتماع بالدعاة إلى الله في سيلان التابعين لهذه الرئاسة والتابعين لمكتب بيت سماحة الرئيس العام وقد تم الاجتماع في مسجد فللاوتا في كلمبو- وقد تم الاجتماع أكثر من ساعتين ألقينا فيهم خطبتين في الحث على مراقبة الله تعالى في السر والعلانية والحرص على نشر الإسلام وتعريف الناس به وتصحيح عقائدهم .. وبيننا لهم ما يجب على الداعية إلى الله تجاه دعوته ووجوب الصبر على ما قد يواجهه.

بعد ذلك تناقشنا معهم في عملهم ومعرفة مشكلاتهم والعمل على تذليلها ..

ثم تناقشنا مع فضيلة المشرف العام على الدعاة في سيلان الشيخ/ محمد مخدوم مبارك حول وضع الدعوة وأحوال الدعاة في سيلان ومعرفة قدر الجهد الذي يبذلونه وذكر لنا أن بعضهم نشيط في عمله يقوم بإلقاء الخطب إضافة إلى عمله في التدريس ويقبل التوجيهات ويتعاون مع زملائه ومواظب على عمله. وبعضهم لا بأس بنشاطه ومقصر فيه نوعاً ما .. وكانت فرصة لنا الاجتماع بهم شكرنا المجدين في أعمالهم وباركنا جهودهم .. أما المقصرين فقد اجتمعنا بهم كل واحد بمفرده وحشناهم على العطاء وبذل أكبر قدر ممكن من الجهد والإخلاص وأشعرناهم بأن التقصير في العمل وعدم الإخلاص فيه ينافي مهمة الداعية إلى الله خاصة في بلادهم المليئة بالعقائد الفاسدة والمذاهب الضالة وذكرناهم بأنهم تحملوا الأمانة فينبغي أن يكونوا عند حسن ظن المسؤولين فيهم ونحن إذ نطلع المسؤولين في هذه الرئاسة على مراحل مهمتنا فإننا نخبرهم بأن الإسلام والمسلمين في جزيرة سيلان بخير والحمد لله وأن جهودهم المباركة تبشر بمستقبل مشرق للإسلام وأهله .. وفق الله الجميع لما فيه خير الإسلام وسعادة المسلمين في كل مكان ..

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه

عبدالرحمن بن صالح التويجري

إسماعيل بن سعد بن عتيق

وممن عرفت في سيلان

الحاج نظيم

من أعيان سيرا لانكا (سيلان) وهو شيخ بائعي الأحجار الكريمة والخبير الأول في فحص الجواهر، في عام ١٣٩٣ هـ توجهت إلى سيلان لغرض الدعم والمساندة للمدارس الإسلامية والمنشآت الدينية وبها التقيت بالحاج نظيم حيث قد أسس جامعة أهلية أسماها بالجامعة التنظيمية، وقد دعاه سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز فيما بعد لزيارة الرياض ضيفاً على رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، وأقيم له حفل كبير في برج الرياض، الحاج نظيم شخصية قيادية يجمع بين الثراء والعقل المتزن، وهو ليس بالعالم ولكنه يحب العلماء ويتفانى في خدمة الإسلام، ينفق جل ثرواته في المشاريع الإسلامية بل يقدم مساعداته لغير المسلمين ما لم تكن في معصية، قيل إنه إذا جاءه سائل يقول له: كم أضمرت في قلبك أنني أعطيك؟ فإذا قال: أضمرت ألفاً أعطاه ألفين، ولكن شريطة أن لا يخبر أحداً.

ركبت سيارة لبعض الجمعيات الإسلامية فسألت: كم قيمتها؟ فقالوا: أهديت لنا، ولكن الذي أهدها قال: لا تجربوا أحداً، فقلت: هو الحاج نظيم، فهو الذي يوصي بذلك.

ومن سيرته وفقه الله أنه يأخذ في كل عام حقيبة مملوءة بخالص الأحجار الكريمة متوجهاً إلى لندن فيبيع تلك الأحجار على التجار ثم يعود إلى مكة ويقيم بها شهراً ويعود إلى بلده، وهو الذي يقدر قيمة الأحجار.

ومن العجيب في الأمر أنك ترى حجراً يقدّره بالمليون وآخر بمائة فلا تفرق بينهما في الشكل والحجم والوزن، ولكن لماذا؟ هذا الفرق في الثمن إنه سر يعرفه الحاج نظيم وخبراء الأحجار الكريمة والجواهر ذات القيمة. والحاج نظيم شخصية مشهورة، يقال إنه لا يمكن أن يخلو بيت من بيوت المسلمين في سيلان إلا وقد أحسن إليه وتصدق على أهله، فجزاه الله خيراً.

تكررت زيارتي لسيلان كما تم اللقاء بالحاج نظيم فكان في شخصه المتواضع وحبه للخير ما يوجب تسجيل اسمه ضمن البارزين في خدمة الإسلام، كان إذا ذهب إلى جامعته التنظيمية يلبس لباس الطلاب ويقول: لا أريد أن أتميّز عليهم، فأنا واحد من طلاب الجامعة، وقد شيد فندقاً ضخماً ليكون للمسلمين خاصة، يحرم فيه تناول كل ما هو محرّم شرعاً، ولكن الدولة لا تسمح بذلك فعاد وعرض الفندق للبيع وباعه خشية فعل الحرام، يسكن الحاج نظيم في قرية تدعى (بيرولا) على الساحل الجنوبي وهو الساحل الذي جاء العرب منه ونزلوا في (بيرولا) وتكثر في هذه المدينة الأنهار التي يغوص الغائصون فيها لإخراج الجواهر، تبعد عن كولبو

العاصمة قرابة ستين كيلاً، إلا أن الحاج نظيم ينزل إلى كولمبو العاصمة لإدارة أعماله فيها.

وعن سيلان الجزيرة الصغيرة التي يسكنها اثنا عشر مليون نسمة نسبة المسلمين السدس ولكنهم بجانب هذا متحدون متعاونون لا سيما وأن أكثرهم تجار، فلديهم من المنشآت التعليمية والمساجد والمصحات ما يفوق أنشطة النصاري والبوذيين، والحمد لله على ذلك.

أقمت في سيلان في رحلتي الأولى لها ثلاثة أشهر متواصلة لم أر عالماً يتفوق في علمه ولكن منسوبي الدعوات الثلاث هم القائمون على كل ما يتعلق بالتعليم والفتوى، وأنشط الجماعات فيها جماعة التبليغ، يليها الجماعة الإسلامية، ثم جماعة أنصار السنة المحمدية، ويتمذهب الجميع بالمذهب الشافعي، وأخيراً ترأس الحاج محمد حنيفة عضو رابطة العالم الإسلامي البرلمان السيلاني وهو الشخصية السياسية البارزة في سيلان لكن الحاج نظيم برزت شخصيته في الإنفاق والإحسان وتبع طرق الخير ولا يدخل في السياسة ولا فيما فيه خلاف بين المسلمين، فكان محباً للجميع مؤثراً البذل والمعروف باسم الإسلام أو الإنسانية أو الوطنية. والله أعلم.



إسماعيل بن عتيق في سيرلانكا

(٤) جزر المالديف

الحمد لله وحده

ففي الفترة التي أقمتها في جزر المالديف تم الاتصال ومشاهدة ما هو آتي:

أولاً: وزارة العدل ووزيرها الشيخ / محمد رشيد خريج كلية الشريعة بالأزهر والذي كان يعمل في المملكة أحد عشر عاماً، ووزارة العدل يتبعها مائة وثلاثون قاضياً متفرقون في الجزر، والقضاة على مستوى بسيط من المعلومات لقلة الخصومات وعدم أهمية القضايا، وأقرب ما يكون أنهم قضاة محليون حسب الأعراف مما لا يتنافى مع الشرع، وقد زرت أحد المحاكم في جزيرة تبعد عن العاصمة ستة أميال في مكتب صغير ضمن مجمع دوائر حكومية وقد طلبت من القاضي الاطلاع على بعض القضايا مما هو مسجل فكان أول قضية في سجله أن ادعى رجل على آخر بأنه فتح قفص الدجاجة فهربت ويطلب إدانته في تضييع دجاجته، فسألت القاضي بها حكم؟ فقال: براءة الخصم؛ لأنه أراد أخذها ليراها فهربت من غير قصد الإضرار به. فهذه من قضايا المحكمة. وقد سألت قاضي هذه الجزيرة عن محافظة المسلمين على صلاة الجماعة؟ فقال محافظ الجزيرة: كيف تسأله عن صلاة الجماعة وهو لا يصلي وربما يصلي في بيته وكان القاضي يشعل سجارته الواحدة تلو الأخرى من غير احترام للضيف ولا مبالاة بما

يشرب. وقد تنبّهت الحكومة الحالية لهذا الضعف والتدني لمستوى القضاة فعقدت دورات في العاصمة لتفهم القاضي مجريات الأمور الشرعية وتوجيهه إدارياً وأعدوا لذلك برنامجاً يدرس فيه أحد دعاة الرئاسة وهو الشيخ آدم نسيم ووزير العدل شاب متحرك فطن صديق حميم للرئيس مأمون بل مستشار عام في كثير مما يتعلق بالمملكة لخبرته الطويلة ومعرفته بالأحوال.

ثانياً: المركز الإسلامي ومسجده افتتح عام ١٤٠٥ هـ والذي طالما انتظر أهل المالديف إنشاء هذا المركز والمسجد الكبير منذ سنين طويلة، فكانت أمنيتهم الأولى إيجاد جامع مركزي في العاصمة لصغر مساجدهم وتأثيرها في الجزيرة، فقد تحقق هذا الحلم لأهل المالديف فقامت الدول الإسلامية بالمساهمة في إنشاء هذا المركز المملكة والباكستان والإمارات والكويت والبروناي وماليزيا. تم افتتاحه بحضور مندوبين من هذه الجهات وغيرها. والمركز روعة في البناء والهندسة له مرافق وملاحق ومكتبة عامة وفصول دراسية وصالة كبيرة للحفلات والمناسبات. والمسجد بساحاته وملحقاته تسع لستة آلاف مصلي، ولهم من النشاطات عقد ندوات دورية من العلماء المحليين، وإصدار مجلة شهرية اسمها المنبر ونشرة أسبوعية تصدر من رئاسة الجمهورية، وتعليم نحو الأمية، أما صالة الاحتفال فهي مهيأة للمناسبات الدينية والشعبية كإحياء ذكريات بعض

المواطنين المناضلين أو الشعراء ومن لهم جهود وطنية، وغالباً يحضر الرئيس هذه الاحتفالات ويشارك فيها وهي مختلطة ويدير المركز أمين عام يدعى / أحمد شاطر درس في الأزهر ولم يوفق في إكمال دراسته، وهو شيخ متقدم في السن له مكانة اجتماعية وله صلة وثيقة بالرئيس ولا يسمح في هذا المركز باللقاء مواعظ أو دروس إلا عن طريق الأمانة في المركز، وقد حاول الشيعة الإيرانيون ولا يزالون يحاولون بث سمومهم من هذا المركز، وقد وافقت أمانة المركز على أن يقتصروا على تلاوة القرآن الكريم في ليالي رمضان كما يمنعون منعاً باتاً من أي نشاط إسلامي لا يتفق مع ما هم عليه بأية وسيلة كانت، فكتب الشيعة وإن استلموها كان مصيرها إلى البحر، حدثني من أثق به أن الكتب المدرسية الصادرة من الجامعات الإسلامية من المملكة أو المعارف مصيرها كذلك لأن المنهج العام المدرسي وغيره هو ما عليه الأزهر فقط وما سواه لا يعتد به.

ثالثاً: الرئيس / مأمون عبد القيوم في اليوم الثالث من زيارتي إلى المالديف أخبرني وزير العدل بمقابلة الرئيس الساعة التاسعة صباحاً حيث كنت ضيفاً لفخامته في بيت الضيافة درجة الوزراء وفي الوقت نفسه ذهبت مع وزير العدل الشيخ / محمد رشيد وتم اللقاء بفخامة الرئيس، وإعلان هذا اللقاء في الإذاعة والتلفاز مع الصوت والصورة. والرئيس المالديفي عالم فهو خريج كلية الشريعة بالأزهر تخصص أصول فقه، مكث في مصر

خمس وعشرين عاماً وهو مصري بالطبع والثقافة، جرى الحديث مع فخامته لمدة ربع ساعة، وقد ذكرني بزيارتي الأولى للمالديف عام ١٩٧٥م وكأنه يسأل عن الفارق بين واقع المالديف وماضيه، وأجبت بما يرضيه، وما شاهدته من تقدم البلاد، وظهر معالم الحضارة العصرية إلى آخر الحديث وبعد أن انصرف مصور التلفزيون قلت له: إن مهمة الدعاة التابعين لإدارة البحوث تصحيح ما وقع فيه الناس من أخطاء عقائدية ومظاهر بدعية، فنفي فخامته أن يكون في بلدهم ما يتنافى مع العقيدة الصحيحة والسلوك السوي، وهذا على حد مفهومه والواقع يخالف ذلك فأمام بيته المشهد الكبير لمقام يوسف بربري الذي زعموا أنه أول من أدخل الإسلام في البلد في القرن الخامس الهجري كما يقابله الجامع الرئيس قبل عمارة المركز الإسلامي تحوط به المقابر المعلمة أو المبني على بعضها هذا من جانب القبور أما التصوف والاحتفالات بالموالد ليلة النصف من شعبان فهو موجود كان على أشده في ما مضى ثم قل حسب ما أفادني به وزير العدل.

نعود إلى شخصية الرئيس فهو عالم ولكنه يرى التطور ومسايرة الزمن لفوضى الحضارة الغربية ومسايرة العدول العلمانية أمر يتطلبه العصر، وقد قفزت المالديف في خلال رئاسته إحدى عشر عاماً قفزات تقدر بعشرات السنين ومنها ردم أطراف الجزيرة، وتوسعة المساحة اليابسة منها، والتعليم والعمران، وذلك بالانفتاح على العالم كله، ومحاولة الاستفادة من أي

صديق أو معاون وقد لبت اليابان كثيراً من طلباته وأنشأت خمسة عشر مدرسة هدية من اليابان إلى جزر المالديف وكذلك الصين تعمّر وحدات سكنية في جزيرة مالية العاصمة تستوعب كثيراً من السكان، وقام الهند بدوره بإنشاء مستشفى عام يسع مائتي سرير، وهكذا بقية الدول الصديقة للمالديف تمديد العون ولا يعلم ما خلف هذه المساعدات ومدى أثرها على هذه الجزر المسلمة والشيخ الرئيس مأمون عضو في الرابطة ولديه معرفة بأحوال العالم يمكنه أن يتقلب في اليوم الواحد ويتكيف حسب الأجواء الدينية والسياسية والاجتماعية وغايته القصوى أن يرى المالديف في مصاف العالم المتقدم حضارياً مثال ذلك إلزامه لموظفي الدولة حتى القضاء بلبس البدة الإفرنجية، وإلزام الطلاب في جميع المراحل بحلق لحاهم ومزاولة المرأة جميع النشاطات حتى الجندية بجانب الرجل على حد سواء.

انتهى اللقاء بفخامة الرئيس فودعته بمعية وزير العدل وأهداني في اليوم الثاني عصاه ملفوفة بأوراق قد رسم عليها علم المالديف افتقدتها في سيلان ولم أرها والحمد لله.

رابعاً: الجمعية الخيرية الإسلامية. يرأس هذه الجمعية وزير المعارف ورئيس الشرف لها رئيس الدولة والغرض من هذه الجمعية تقديم الخدمات الدينية والاجتماعية في كافة جزر المالديف وطلب المساعدات من الدول الإسلامية والصديقة بصفة غير رسمية. ومن أهم أعمالها مشروع إنشاء

فصول تعليم القرآن الكريم في المساجد وإنشاء مسجد ومقر الجمعية وعيادة طبية وإنشاء وتطوير مدارس ابتدائية في الجزر المالديفية وقد تم بالفعل إنشاء مسجد ومقر للجمعية وعيادة طبية في جزيرة مالية بدعم من الخارج وكانت سياسة لهذه الجمعية احتواء العمل الخيري وعدم تشعب الجهات الطالبة قد يكون لصالح أفراد أو جماعة لا تتماشى مع سياسة الدولة كما أن لدى هذه الجمعية حسن عرض واتصالات بكثير من المؤسسات والجمعيات الإنسانية لغرض دعم مشاريعهم وكان الشخص المكلف برفقتي مدة إقامتي بالمالديف أحد أعضاء هذه الجمعية خريج الجامع الأزهر المدعو/ عبداللطيف محمود. شاهدته أكثر من وقت يحين وقت الصلاة فلا يصلي فعاتبته على ذلك ثم أخذ يصلي معي في المسجد المجاور للضيافة وذكر أن الجمعية تقوم بأعمال إنسانية خيرية وبتوجيهات من فخامة الرئيس وتحت رعاية وزير المعارف تقدمت الجمعية وهي في حاجة إلى الدعم الدائم من الأصدقاء بصفة شخصية أو رسمية ولعل هذه الجمعية هي الجمعية الوحيدة في التنظيم الشعبي شبه الرسمي لقطع أي تنظيم آخر لا يتفق مع سياسة الدولة بدليل أنهم أنهموا مدرسة طبية الخيرية التي قام عليها الدعاة بصفة تعاونية وكانوا يجمعون لها تبرعات من خارج الجزر، فقد أقفلتها الحكومة في أيام المأمون ثم صادرت ملكيتها، وأخيراً أعيدت الملكية وهي باسم الأخوين الداعيين يوسف علي وإسماعيل

المالديفي ولكن لا يسمح لهم بممارسة النشاط أي كان نوعه مما اضطر الأخوان إلى تأجيرها مستودع ومسكن عمال وأنهم أعملها ولم يستطع الدعاة أن يستفيدوا من الجمعية الخيرية المعترف بها في مجال عملهم لاختلاف الثقافة وتباين الآراء وعدم مرونة دعاة الرئاسة بالدخول في جميع المجالات الخيرية والإنسانية مما لا يتفق مع طبيعتهم ودينهم ولا سيما أنهم يرون أنفسهم علماء مرموقين بعين الإكبار والإجلال في أعين العامة ومن الصعب عليهم الانخراط في سلك الشباب وتنظيمه مما جعلهم يثيرون الغبار على هذه الجمعية لأنها جهة استقلالية ستعجز باسم الأعمال الخيرية والإنسانية ومصير المساعدات والدعم لأفراد الجمعية أو محسوبي الدولة وهذا قد لا يكون صحيح مائة في المائة ولكن بالطبع لهم حظ واستفادة ولو بالشرفية والحضور أمام الرئيس والموظفين والجمعية كما ذكرت أنها عامة تقدم للمواطن المالديفي وإن جعلت الواجهة في طلب المساعدات للمساجد ومدارس تحفيظ القرآن ولم تيسر لي مقابلة وزير التربية ورئيس الجمعية لأنه كان في إجازة خارج المالديف.

خامساً: الدعاة التابعون لجهاز الرئاسة وعددهم خمسة التقيت بأربعة منهم ولم أر أبا بكر إبراهيم لأنه كان في جزيرة بعيدة ليس بينها وبين العاصمة اتصال هاتفي والأخوة الأربعة الباقون هم:

أ- يوسف علي من أقدم الدعاة في الجزيرة الذي قام على إنشاء مدرسة طيبة الخيرية وبتعاون مع زملائه كما عمل على ترحيل كثير من الشباب المالديفي إلى الباكستان للدراسة في الجامعة السلفية فيصل أباد تمهيداً لدخولهم في الجامعات في المملكة، وقبل رئاسة المأمون كان له نشاط شخصي حسب ما تسمح به الظروف آنذاك أما بعد رئاسة المأمون فقد رشح الشيخ علي ليكون بجانب وزير العدل محضر بحوث وأخيراً صدر أمر بتعيينه مديراً عاماً لإدارة البحوث بوزارة العدل ولا مجال له في ممارسة عمله الدعوي إلا بصفة رسمية عن طريق الإذاعة أو النشرة الأسبوعية ويتقاضى مرتباً كأي موظف بموجب مؤهلاته بصرف النظر عما يتقاضاه من المملكة مع علم الدولة بذلك.

ب- آدم نسيم ممن تخرج من جامعة عليكرة بالهند ثم الجامعة الإسلامية في المملكة وهو من قدماء الدعاة إلا أنه كان يعمل في سيلان وهو رجل متزن ذو لياقة وتنظيم وتحقيق وكان قد احتواه الرئيس في مكتبه الخاص إلا أن الشيخ آدم لا يتفق مع الرئيس في كثير من أفكاره واتجاهاته العلمانية ولهذا انتقل برغبة منه وموافقة من الرئيس مدرس في معهد الدراسات الإسلامية في دورات القضاء وأئمة المساجد.

ج- عثمان بن عبدالله عمري خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة لا أعرف له نشاط سابق وذكر أنه يعمل في طيبة ثم تحول بعد إنهاء أعمال

طبية إلى العمل في الحكومة في إدارة الزكاة بمكافأة أقل من مستوى زملائه، وحددها بما يقارب ثلاث مائة ريال، ويظهر لي من شخصيته عدم القدرة والموهبة مما جعل مرتبه أقل، وهو رجل صالح مستقيم بوده أن يعمل ولكن لا مجال للعمل هؤلاء الثلاثة يوسف وآدم وعثمان لا يدخلون في شكوى وزير العدل الذي قال إن من الدعاة من لا يتصف بالحكمة ولا يعرف أسلوب العمل وقد احتوت الدولة هؤلاء الثلاثة وانتظموا في سلك العمل الرسمي بكامل الدوام والالتزام، وقد يكون هؤلاء نشاط فردي كالاتصالات وتلقين دروس خاصة بصفة غير علنية ونشاط إعلامي رسمي في مواضع عامة.

د/ محمد إبراهيم الداعية وكان يعمل في طبية بجانب عمله في القضاء لمدة عشر سنوات. والشيخ محمد إبراهيم له شخصية متميزة بقوة وصلابة اتجاهه العقيد وفي تكوينه الجسمي مما جعله يصرح بكثير مما يتنافى مع وضع البلاد وهو الموصوف في كتابة وزير العدل والمعنى بالشكاية وبعدم أخذه بالحكمة ومعرفة أسلوب العمل هو وأخوه أبو بكر وقد نفي في إحدى الجزر البعيدة وتكاثر عليه الطلاب فأعادوه إلى العاصمة وفتح بيته للتدريس وذكر أن طلابه يزيّدون على ستين طالباً وطلابه يحفونه بالاحترام والتبجيل ويمشون خلفه في الشارع عند ذهابه إلى المسجد وإيابه وقد أخطرت الدولة بعدم تكرار هذا المظهر مما هو يعد منافياً لأسلوب البلد

مما جعل الشيخ يصلي في بيته ويلزم منزله غالب الأوقات إلا أنه يقيم الدروس في البيت ثم جاءه الإنذار الآخر بترك التدريس إلا بصفة فردية أو ثنائية مما لا يلفت النظر غير أنه لم يمثل حيث يطرق الطلاب بابه ولا يقدر على صرفهم ثم أدخل السجن فترة تأديبية ثم عرض عليه العمل في الحكومة مع ما يتناسب مع مؤهلة ولهذا رفض وسألته عن ذلك فقال نعم ولا بد أن ألبس البنطلون إن كان في مجال القضاء أو أدرس في تعليم مختلط وهذا لا أَرْضاه خرج من السجن وبقي في بيته مكفوف اليد متحير بما يقضي وقته ولديه عائلتان وأربعة عشر طفل وهو فيما يظهر لا يستطيع أن يتمشى مع واقع السياسة للرئيس الحالي سيما أنه يفتي بما قد يتنافى مع ما عليه الفتوى الرسمية مما جعل العلماء الرسميين يعتبرون فتواه منافية للمذهب وخروجاً عليهم، وهذا يوتر العلاقة بينه وبين علماء الدولة في مسائل عقديّة وفقهيّة.

هـ- أبو بكر إبراهيم أخو محمد إبراهيم شعر بالخطر من جراء تعامل الدولة مع أخيه فسافر إلى جزيرة لعلها وطنه الأصلي ليحجز نفسه عن مشاهدة ما يدور في جزيرة مالية العاصمة مما لا يقدر على تغييره ولم أر المذكور غير أن الأخوين ذكروا أنه مكفوف اليد عن العمل مثله مثل بقية الدعاة. هذا ملخص عن أحوال الدعاة جملة والأمر يتطلب دراسة وضعهم على ضوء ما ذكر من هم يعملون في الدولة ومن كفت أيديهم عن العمل

نهائياً لضيق مجالات العمل وتبني الدولة جميع الأنشطة عن طريق وسائلها الخاصة. أما مرتباتهم الوظيفية فتقدر بستمئة ريال شهرياً وهو ما يصرف لخريج الجامعات لديهم وكما ذكر بعض الإخوة حملت الشهادة الجامعية وترغب توظيفهم متى رغبوا ذلك للمشاركة في بناء الوطن وتقديمه أما إذا كان لدى المتخرج مانع أو انتماء إلى جهة أخرى فالدولة لا تكلف أحداً ولكنها تكف يده عن جميع الأعمال والأنشطة وتوجه إليه الاتهامات ونبزه بالألقاب وإن لم يكن ذلك صحيحاً.

سادساً: السياحة في جزر المالديف كانت موارد الدولة الرئيسية صيد السمك وتجفيفه وتصديره ثم بعد رئاسة المأمون رأى أن السياحة مورد هام من موارد الاقتصاد للبلد وكانت السياحة قبله تجرى على نطاق ضيق في جزر محدودة وبرسوم قليلة ثم بعد تولي الرئيس مأمون رأى أن من الضروري توسعة مجال السياحة للراغبين فيها وفق لوائح تنظيمية تكفل مورداً اقتصادي مع الاحتفاظ بالقيم والأعراف فبدأت شركات السياحة تنشر دعايتها أن السياحة في هذه الجزر حتى بلغ عدد الجزر السياحية سبع وخمسين جزيرة ليس فيها سكان مواطنون، ويحظر على المواطن المالديفي البقاء في هذه الجزر أو مشاهدة ما عليه السياح إلا بإذن خاص أو ممن يعمل فيها، وهم قليل، وقد زرت جزيرة واحدة مما يلي العاصمة لبعض ساعات، ولعل هذه الجزيرة هي من الجزر المهمة لضيوف الدولة فقد كانت مشتملة

على قاعة احتفال كبيرة ومسجد وصالة استقبال ضخمة لعلها كانت الجزيرة النموذجية لاستراحة الضيوف وتناول وجبة فيها. أما الجزر السياحية التي يؤمها السياح فهي متناثرة في البحر بعيدة يمارس فيها السياح جميع هواياتهم ورغباتهم، ومع أن الدولة تمنع العري بموجب لافتات في مدخل كل جزيرة إلا أنها لا تشدد في الجزاء على المخالفة، وقد كثر السياح وخاصة في فصل الشتاء في أوربا يهبط كل يوم في المطار عشر إلى خمس عشرة طائرة، وقد ذكر وزير العدل أن تعداد العام الماضي مائة وثلاثون ألفاً رغم وجود محاولة انقلاب فاشلة واضطراب الأمن لفترة وجيزة والدولة لا تزال تعرض على الشركات والأفراد تأجير الجزر المهجورة لغرض أمني واقتصادي.

أما مدى تغير هؤلاء السياح على أحوال البلاد فهي وإلى حد الآن لا تبرز ظاهرة التأثير ولكنها في المستقبل وعلى المدى البعيد ستتحول هذه الجزر وأهلها إلى استقطاب الراغبين في الملذات المتطلعين لهواء نقي والرمال الفضية والطبيعة الهادئة، وأكثر العاملين في الوقت الحاضر من خارج المالديف ممن درسوا طريقة الخدمة في الفنادق من السيلانيين والتايلنديين والهند مما لم يتحقق لدى شباب وشابات المالديف.

ويأتي من العاصمة ماله قليل من السياح لحاجات شخصية يمنعون من الخروج بعد الساعة السادسة مساءً خارج العاصمة وتأثيرهم قليل غير

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

أن الشركات اليابانية والهندية والصينية تتكاثر في العاصمة ويقدر عددهم بستة آلاف بجانب المواطنين في الجزيرة خمسون ألفاً ويشاركون المواطنين في ألعاب الرياضة ودور السينما وأماكن الترفيه، ويجهرون بشرب الخمر، واللباس غير ساتر، ولهم حريتهم كاملة في جميع الأحوال.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

١- الموقع :

تقع عاصمة جزر مالديف (مالية) في الجنوب الغربي لجزيرة سيلان شمال خط الاستواء على بعد أربعمئة ميل تقريباً وتمتد بقية الجزر من الشمال إلى الجنوب وأبعدها ثلاثمئة ميل من العاصمة وأكبر جزيرة خمسة أميال، أما العاصمة فمساحتها ميل واحد مربع ويقدر مجموع الجزر بمساحة قدرها مائة وخمسة عشر ميلاً مربعاً وعدد الجزر ألفاً (٢٠٠٠) جزيرة المعمور منها مائة وخمسة وتسعون جزيرة.

٢- السكان :

بلغ عدد سكان العاصمة ثمانية عشر ألفاً من مجموع السكان مائة وخمسة عشر ألف نسمة، وكلهم مسلمون، ما عُرف أن أحداً تنصر أو اعتنق ديناً غير دين الإسلام منذ ثمانية قرون أي بعد دخول الإسلام إلى هذه الجزر كما أنه لا يوجد أي مظاهر للديانات الأخرى في عموم الجزر والحمد لله.

٣- نبذة في التاريخ :

لا يعرف لهذه الجزر تاريخ أصلاً قبل القرن السادس الهجري إلا أن ديانتهم البوذية والهندوكية وبتاريخ ألف ومائة وثلاثة وخمسون ميلادي. قدم أبو البركات يوسف البربري من بلاد المغرب العربي وعرض الإسلام

على السلطان مها كنجا فأسلم ويحكى أن سبب إسلام السلطان هو أنهم يقدمون كل شهر عروساً جميلة للعفريت فيضعونها في مكان مخصوص ويصبحون وهي جثة هامة فطلب أبو البركات أن يكون مكان العروسة ليقوم بطرد العفريت وإنقاذهم من شره فظل يقرأ القرآن حتى إذا جاء العفريت لم يجد له عليه سبيلاً فلما أصبحوا ذهبوا ليأخذوا الجثة وجدوا الشيخ يقرأ القرآن سليماً فذهبوا به إلى السلطان وفي ساعتها أسلم السلطان والله أعلم بالصواب. وهذه القصة متواترة لدى العامة والخاصة عند أهالي مالديف كما ذكرها ابن بطوطة في رحلته إلى مجلدب. وفور إسلام السلطان تسمى بمحمد بن عبد الله ودعي الناس إلى الإسلام فأسلم أهل الجزر كلهم برغبة واختيار وقناعة وقد حكم هذا السلطان خمسة وعشرين عاماً اثنا عشر عاماً قبل الإسلام وثلاثة عشر عاماً بعد الإسلام وكان من أعمال أبي البركات أن أسس الجامع الكبير ولا يزال الجامع على تصميمه القديم مع إدخال تحسينات عليه وقبر أبو البركات بجوار المسجد يفصل بينه وبين المسجد الجامع شارع قد بني عليه وسور بالحيطان المرخمة بالرخام الأبيض وهو يحتل مكانة في نفوس المسلمين إلا أنه والله الحمد لا يوجد مظاهر شرك أو غلو فيه وظل الحكم للإسلام والمسلمين طيلة القرون حتى عام ١٨٨٧م حيث احتل الإنجليز مالديف وفرض عليهم الحماية وفي عام ١٩٣٢م منح السلطان شمس الدين اسكندر دستوراً حراً وفي عام ١٩٥٣م قامت ثورة

ضد الانجليز قادهما المرحوم محمد أمين ديدي حيث كان أول رئيس للجمهورية إلا أنها لم تطل فعادت إلى السلطنة واعتلى العرش محمد فريد ديدي وفي عام ١٩٦٥م عادت إلى جمهورية بزعامه الرئيس إبراهيم ناصر وانتهى دور الحماية أو الوصاية ويعتبر إبراهيم ناصر الزعيم الوطني المناضل ضد الاستعمار وأعوانه.

٤- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

يعتمد سكان الجزر على صيد الأسماك وتجفيفه وتصديره بكميات كبيرة وهو المورد الوحيد للشعب المالديفي. أما الحكومة فتمتلك قرابة أربعين باخرة تجوب البحار كما تملك باخرتين صغيرتين للنقل الداخلي. أسواقهم حرة لا ضرائب على المستورد سوى أنه لا يسمح بالتوريد إلا من سنغافورا وما عداها فيأذن خاص.

وعلى العموم فالوضع الاقتصادي حسن نسبياً إلا أنهم في السنوات الأخيرة يشكون قلة التصدير.

ومن النواحي الاجتماعية : فلا تكاد تلمس فرقاً بين ما هم عليه من العادات والتقاليد وما عليه عامة المسلمين في العالم العربي والإسلامي. ومما هو ملاحظ في العموم رقة الطبع ولين الجانب والابتسامه البريئة ونزاهة العرض والالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية وقد حدثني مسئول أنه لا يوجد في مالديف جريمة قتل ولا سرقات ولا اعتداء واضح العداوة. وقد

لمست ذلك في المساجد حين يضع المصلي نعليه ومظلتة ونظاراته وما يحمله معه في فناء المسجد خلف المصلين وبعد الصلاة يعود فيأخذه من غير أن يتعرض له أحد ومما هو شائع أنه إذا أذن المؤذن وقف الناس كلهم ليردوا على المؤذن فإذا انتهى الأذان استأنفوا أعمالهم حتى قائد السيارة وصاحب الدراجة يوقف السير وإذا رؤوا رجلاً يمشي والمؤذن يؤذن عرفوا أنه ليس من أهل البلد.

والمرأة تحتل مكانة في المجتمع حيث تشاطر الرجال الأعمال الحكومية، ويختص الرجال بصيد الأسماك وبالجنديّة والأعمال الشاقة. وكان لباس المرأة القديم ثوباً ضافياً طويلاً يستر جميع البدن عدا الرأس والرقبة أما ما دون العشرين من النساء فيلبسن البنطلون الطويل مع السترة القصيرة، أما الصغار من العاشرة فأقل فقد دب فيهم داء الأمم كشف الساقين والفخذين، وهو اللباس الرسمي للمدارس.

٥- الحالة الدينية:

يمتاز مسلمو مالديف بأنه لا يوجد بينهم اختلاف في المذاهب الفقهية ولا طرق صوفية ولا بدع كما هي في سيلان والهند. العلماء لهم الصدارة إذ يحتلون مراكز في الدولة وأعمالاً تشغل فراغهم وتسد حاجتهم المعيشية إلا أنه يفشو الجهل في كثير من الطبقة الكادحة والذين يظلون في غالب أوقاتهم في البحر لصيد الأسماك وهم على المذهب الشافعي وذلك

من عهد العالم الجليل محمد جمال الدين الذي هاجر من مالديف وقصد اليمن وبقي في اليمن ثلاثين عاماً وعاد وقد تضلع بالفقه الشافعي فقام بالتدريس ونصب تلاميذه في القضاء وذلك في عهد السلطان الغازي محمد نكروفا قبل أيام الإنجليز بسنوات. وكانوا من قبل على المذهب المالكي مذهب أبي البركات.

تكثر المساجد في العاصمة ففيها خمسة وأربعون مسجداً إلا أن مساجدهم صغيرة للغاية فيها ما لا يتسع لأكثر من أربعة مصليين والإمام الخامس وتقام الجمعة في العاصمة في (مالية) في ثلاثة مساجد، ولا تزال فكرة جامع كبير تضم شتات المسلمين في العاصمة فكرة تراود أذهان المسئولين .

وبقية الجزر في كل جزيرة مسجد أو أكثر، ويتقاضى الأئمة مرتبات من الدولة في حدود مائة وأربعين روبية أي حوالي خمسين ريالاً سعودياً تقريباً.

تبرز في الشباب المراهق ظاهرة التحلل الخلقي وعدم الالتزام بالتكاليف الشرعية وخاصة الصلاة رغم بعد مالديف من كل التيارات الفكرية والإلحادية إلا أن الحضارة الغربية آخذة بلباب الشباب.

يتولى إعداد خطب الجمعة لجنة من العلماء، ويشرف عليها الرئيس مباشرة ثم توزع على جميع المساجد، كما أنه لا يسمح بالوعظ العام في المساجد. ولا بالتدريس فيها وعللوا ذلك بالمحافظة على ما هم عليه، وعدم الرغبة في فتح نقاش أو حوار أو فتح أبواب الخلاف للعامة، والله أعلم بما قصدوا.

٦- التعليم :

التعليم على نوعين: أهلي ورسمي ففي جزيرة (مالية) العاصمة عشرون مدرسة أهلية من بينها مدرسة واحدة بها ألف وخمسمائة طالب بينما لا يوجد سوى مدرسة واحدة للحكومة بها سبعمائة طالب ومدرسة مثلها للبنات بها سبعمائة طالبة ودار للحضانة.

والتعليم على المنهج الإنجليزي فاللغة الإنجليزية لها الصدارة ثم المحلية ولا مكانة للعربية سوى تعليم الخط العربي من أجل قراءة القرآن. وقد قام ثلاثة من خريجي الجامعة الإسلامية وأسسوا مدرسة أسموها مدرسة طيبة تضم مائة وخمسين طالباً والمدرسة عربية دينية على طرقي نقيض مع المدارس الحكومية والأهلية الأخرى وفي بقية الجزر مدارس صغيرة أشبه بالكتاتيب لتعليم القرآن الكريم والخط العربي ومبادئ الكتابة المحلية كما يتم إعدادهم لدخول المدرسة الحكومية وكان التعليم وزارة ثم تحول إلى إدارة وآخر مرحلة هي المرحلة التوجيهية. ومن حيث المناهج فالذي يظهر أنه لا يوجد اتجاه عقائدي ولا فكري يناهض الإسلام إلا أنه لا يهتم بالنواحي الدينية، وقد لمست أن أكثر المدرسين في المدرسة الحكومية من غير المسلمين من البوذيين والنصارى والهندوك، وعللوا ذلك بعدم وجود المعلم المسلم للعلوم العصرية وليس هذا لاختيار مقصود ولا يهدف إلى شيء ضد الإسلام.

٧- شخصيات لامعة من مالديف في القديم والحديث:

١- مهاكترا أو محمد بن عبدالله أول سلطان أقام الدولة الإسلامية في القرن السابع الهجري.

٢- إبراهيم الزيداني أول من تولى القضاء في عهد السلطان محمد بن عبدالله.

٣- الشيخ حسن تاج الدين مؤرخ كبير وعالم شهير في مالديف.

٤- محمد جمال / هاجر لليمن وتعلم هناك ثلاثين عاماً وعاد إلى مالديف وحول البلاد من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي.

٥- السلطان الغازي / محمد نكرونا قام بحملة ضد البرتغال وأخرجهم من البلاد وحكم غير أنه لم يدم له حكم.

٦- حسن صلاح الدين من العلماء المتفوقين له ما يربو على مائة مؤلف.

٧- وابنه الشيخ إبراهيم شهاب / نائب الرئيس الحالي من العلماء البارزين، تخرج من الأزهر وله شعبية ومكانة لدى الناس.

٨- فتحي موسى وزير العدل الحالي عالم أزهرى.

٩- فتح الله جميل / وزير الخارجية الحالي تخرج من الأزهر ومن كلية الحقوق بجامعة القاهرة.

- ١٠- الشيخ محمد جميل من العلماء المعاصرين، تخرج من الأزهر يقوم بالتأليف والمراجعة وهو الآن يعد تفسير معاني القرآن الكريم باللغة المحلية وكتاباً عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- ١١- زاهر حسن / مدير التعليم وهو أيضاً عالم أزهرى شاب له خبرة على اللغة العربية والتعليم الديني.
- والله الموفق.

وممن عرفت في جزر المالديف

محمد إبراهيم المالديفي

وفي جزر مالديف الواقعة جنوب الهند، والتي تقدر بألفي جزيرة المسكون منها قرابة المائتين، وعاصمتها مآلية - بفتح اللام - التقيت بوزير العدل الشيخ محمد إبراهيم الأزهري من العلماء والبارزين في الحكومة وهو حميم وصديق الرئيس مأمون عبدالقيوم، كانت زيارتي الأولى لمالديف عام ١٣٩٥ هـ، أما الثانية فكانت عام ١٤٠٧ هـ، ورأيت البون الشاسع والاختلاف بين الزيارتين، فقد كان الرئيس الأسبق المدعو ناصر قد أغلق على نفسه، وألجم الخطباء والعلماء حتى كادت جزيرة المالديف أن تنسى الكثير من تعاليم دينها وهم مسلمون مائة في المائة، ولكن الرئيس مأمون الذي فتح البلاد وسعى في تطويرها حتى كان هو أحد أعضاء رابطة العالم الإسلامي، لم يكن هذا من جهد مأمون فقط ولكن لوزير عدله وحميمه وزميله في الدراسة الشيخ محمد إبراهيم الباع الأطول في انضواء مالديف تحت راية مؤتمر العالم الإسلامي وارتباط الرئيس برابطة العالم الإسلامي، ومحمد إبراهيم المالديفي برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

وظلت الصلة أو الترابط الديني بين المملكة وجزر المالديف قوية ثابتة ومتطورة، ورغم أن وزير العدل ثقافته مصرية بحكم الدراسة

والتخرج، إلا أنه قد انتسب إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وانضم إليها كموظف إداري في شؤون الطلاب فكان خير مثال للطلبة المغتربين في الرياض المالديفيين وغيرهم، فقد تكون لديه خبرة ومعلومات عن العالم الإسلامي لصلته بجامعة الإمام محمد بن سعود وبرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وفي طبع الرجل ما يعينه على الاستيعاب والفهم والإدراك فكان أهلاً لأن يكون رجل عدل ووزير دولة.

جالست الأخ محمد إبراهيم في بيته ومكتبه وجرى الحديث مطولاً في مستقبل الدعوة والدعاة في مالديف، فكان الرجل على حذر مما يستجد في بلده، وقال بكل وضوح: نحن هنا على مسلك الإمام الشافعي ورغم قربنا من الهند ومدارسه الكبيرة، فإننا نحاول أن تبقى جزرنا على هويتها المذهبية، وبقائهما كما كانت، أما التوجه العقدي فقال: نحن نحمد الله ليس في بلادنا مقابر تُقدّس ولا أوثان تُعبد، ومن جهة التعبد السلوكي أو ما يسمى بالتصوف الإسلامي فلا صوفية ولا طرق فنحن على ما عليه السلف في كل شيء إن شاء الله.

فأجبتة بالموافقة على ما ذكر وبقي لنا موضوع آخر، وهو ما قد يחדش سياستكم الداخلية والخارجية وهي علّمنة الحكم أو التسامح للأجنبي الكافر بغشيان البلد والتأثير عليها. فقال ما معناه: نحن فقراء والفقراء تبع

الأغنياء، ونحن نوازن بين المصلحة في المحافظة على قيمنا والاستفادة ممن هو أقوى منا مادياً أو اقتصادياً. وقال لي: لعلك سمعت بكثرة السياح من الأوربيين ممن يعشقون الهدوء والرمال الفضية في جزرنا، وهؤلاء لا يأتون العاصمة، ولا يختلطون بالمواطن وإنما يبقون في الجزر المتناثرة البعيدة، وذلك يفيدنا اقتصادياً ففي كل يوم تصل عشرات الطائرات، وقد قامت شركات أجنبية بتهيئة الجو لهم في تلك الجزر، وهي آمنة مستقرة هادئة وادعة، وبلا شك أنهم يمارسون بكل حرية أخلاقهم السافلة، وليس معنى هذا أننا أصبحنا أنصاراً للمبادئ العلمانية اللادينية، ولكن أردنا من ذلك تكوين دولتنا بالدعم الاقتصادي ولا شأن لنا بما يتعلق بسلوك أولئك الكفار.

أقمت في مالديف في زيارة أخيرة عشرة أيام والتقيت بالرئيس مأمون لقاءً مجاملة وتعارف وتم إنهاء المهمة خلاها، وودعنا الشيخ إبراهيم توديعاً لم أره من بعد، وفق الله الجميع لكل خير.



(١٥) بنجلاديش

في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٦ هـ كان وصولي إلى دكا عاصمة بنجلاديش وكان أمامي مشكلة الترجمة بلسان البنغال ولكن المسلم العربي ليس بغريب عن هذه الأوطان فلم أمكث سوى نصف يوم واحد حتى تعامل العلماء وطلاب المدارس العربية والهيئات الإسلامية بأن شخصاً عربياً من السعودية قدم فكانت الفرحة تغمرهم والسرور يملأ أفئدتهم، وفي اليوم الثاني من وصولي التف حولي عدد من أساتذة اللغة العربية وبعض أصحاب الجمعيات الدينية والهيئات السياسية فزالت المشكلة والحمد لله.

أعد برنامج لزيارة المدارس الأهلية والحكومية والجمعيات وبعض الشخصيات في مدينة دكا ومدينة شاد قام ميناء بنجلاديش وأكبر مدنها التي تبعد عن العاصمة مائة وأربعين ميلاً فكان السعد طالعنا والتوفيق حليفنا والحمد لله، وانتهت زيارتي لبنجلاديش في اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني وفيما يلي التقرير والحديث عن بنجلاديش.

نحيت فيه نحو الدعوة والإرشاد وما يتعلق بذلك وما جاء خلافه فهو تبع لا مقصود والله نسأل التوفيق لخدمة الدين.

بنجلاديش اسم للقبيلة والبلد، ومعناها بلد البنغال والبنغال قومية تتكلم بلسان اشتهر في سواحل الهند الشرقية يزيدون على مائتي مليون

نسمة ولها آدابها وتاريخها الطويل الضارب في أطناب الزمان، وتدين هذه القبيلة بأغلبية ساحقة بالديانتين البوذية والهندوكية حتى تسرب الإسلام إليهم عن طريق التجار العرب من اليمن والخليج. وبلاد السند ولا يعرف بالتحديد متى دخل الإسلام إليهم ولكنه كان يسري في الناس فرادى وبشكل غير واضح حتى القرن الثالث عشر الميلادي حين دخل المسلمون الأتراك دخول الفاتحين بقيادة الباسل التركي إخبار الدين بن محمد بن مختار الدين وطرده ملكها الأسبق لكهوتن وآخر ملوك الهندوكيين، وظل الحكم الإسلامي باسم الخلافة الإسلامية، وفي عهد السلطان غياث الدين سنة ١٢١٣م إلى ١٣٦٧م ازدهرت العلوم الإسلامية وانتشر الإسلام حتى عم البلاد ولم يبق من آثار البرهمية والديانات غير الإسلامية سوى الرسوم والآثار. وقد ازداد عدد العلماء المتفوقين في عهد هذا السلطان منهم جلال الدين التبريزي وشاه جلال وغيرهما كثير وظل الحكم للأتراك حوالي أربعمئة سنة ينعم الناس بحكم الإسلام وبالخلافة الإسلامية على ما فيها من عيب ونقص حتى تسلط الإنجليز على اقتسام تركه الرجل المريض (الدولة العثمانية) فكان السند له والهند له والبنغال بينهما وذلك في عام ١٧٤٥م تقريباً، ومن ذلك التاريخ والسند بما فيها البنغال والباكستان تحت الحماية الإنجليزية حتى عام ١٩٤٦م ولكنه أشرف على قسمة تركة الدولة العثمانية فلقد أعطى الإنجليز شبه القارة الهندية للبوذيين واقتطع منها بلاد

المسلمين حيث جعلها قسمين شرقية وغربية والهند يفصل بينهما سهاها
الباكستان الشرقية والغربية ومنها البنغال والسند وبلودستان والبشاور
وجزر من كشمير، وتحقيق بهذا التقسيم حلم المسلمين بإيجاد دولة إسلامية
منفصلة عن إدارة الكفار الهنود وحتى اليوم السادس عشر من ديسمبر عام
١٩٧١م أعلنت بنجلاديش الباكستان الشرقية انفصالها عن أختها
الباكستان الغربية لتكون وطناً خالصاً وحكومة مستقلة للبنغاليين، وهاهي
بنجلاديش عاصمتها دكا ولكن هذا الانفصال كان ضحيته مئات الألوف
من الناس من كلا الطرفين ودارت الحرب بينهما فكان البنغاليون أو
بالإصح الشيخ مجيب الرحمن وحزبه القومي (عوامي) قد استعان بالهنود
ومن ورائهم اليهود، ويطول الحديث عن المواقع المؤلمة والنتائج الوخيمة
من كلا الطرفين الشرقي والغربي، ولكنه تحقق حلم الشيخ مجيب الرحمن
وحزبه بميلاد جمهورية البنغال الشعبية حيث أصبح رئيساً عليها وكان له
وطنية قومية ومحبة في نفوس الناس بحكم الدعاية والانتصار ولكنها
تقلصت عبقريته وأصبح الشيخ مجيب الرحمن أشبه بالرجل المأسور في
قصره حيث كان يدير الدولة قادة عسكريون للهنود وفساق حزب عوامي
الخارجون عن إرادته تسلطوا على المسلمين قتلاً ونهباً وتشريداً وأمّوا
المراكز الإسلامية وسدوا أبواب النشاطات الدينية حتى مجالس الوعظ
العام وأصبحت ظاهرة الإلحاد والفساد في البلاد بارزة حيث أعلن كثير من

المثقفين بالثقافة العصرية ارتدادهم عن الإسلام زيادة على هذا التبشير النصراني الذي يحتضن أبناء المسلمين وبناتهم في مدارس ومعامل تبشيرية فكان الوضع في غاية من الألم والحزن لدى أرباب القلوب الحية والعقول النيرة وهرع المسلمون إلى ربهم حتى بلغني أنهم أرسلوا جماعة خاصة للدعاء في الحرمين الشريفين فكان النصر حليفهم والتوفيق رائداهم حيث قتل الشيخ مجيب الرحمن في اليوم الخامس عشر من شهر مارس سنة ١٩٧٥م شر قتلة على أيدي رجال من الجيش فتنابوا بالحكم قادة عسكريون مسلمون اسماً وحقيقة وسلموا الحكومة لرئيس القضاة الأسبق أبو السادات سيام وأصبح الحكم عسكرياً في ظل القانون في انتخاب البرلمان ورئيس الجمهورية ولكنه من المؤسف أن هذا الحكم الجديد وفي اتجاه قاداته الديني لا تستطيع أن تصنفه أهو شرقي صيني أم غربي أمريكي أم يجمع بين الضدين إلا أن السياسة الداخلية واضحة جد الوضوح في الإخلاص للوطن والدين الإسلامي وعدائها للهند والروس الذي جعل الهند سمساراً وواسطة لنفوذه في هذه المنطقة حيث زاد نشاط الأحزاب الشيوعية في البنغال والحزب الشيوعي الصيني له تأثيره على الدولة ورجال الحكم، أما الكتل الإسلامية فليس لها أي تأثير في السياسة الخارجية حيث كان الحكم عسكرياً يمارس كافة النشاطات بمشورة المستشارين ومنها تحديد السياسة الخارجية والمناخ للإسلام والدعوة

الإسلامية في بنجلاديش في غاية الصفا. والاستعداد سواء كان ذلك على مستوى الحكومة أو الشعب أو رجالات السياسة. وبعد هذه الديباجة الطويلة أستعرض مفردات التقرير فهي كالآتي:

- ١- الهيئات الإسلامية والأحزاب المناوئة لها.
- ٢- التعليم عموماً والمدارس العربية الدينية خصوصاً.
- ٣- التبشير النصراني.
- ٤- بعض الظواهر الاجتماعية في البنغال.
- ٥- بنجلاديش في سطور.
- ٦- المقترحات.
- ٧- الختام وشعور المسلمين نحو المملكة العربية السعودية وقادتها.

الهيئات الإسلامية والأحزاب المناوئة لها

تبرز في عالم السياسة والدين هيئات ثلاث جمعية العلماء الجماعة الإسلامية مسلم ليك ((رابطة المسلمين)) أحكمها نظاماً وأشملها نفعاً الجماعة الإسلامية، وأكثرها شيوعاً وأتباعاً مسلم ليك وأثقلها وزناً جمعية العلماء. وهذه وإن كانت محظورة في عهد مجيب الرحمن إلا أنها تمارس نشاطها وتحفظ بشخصيتها حتى يحين الأوان لاستئناف النشاط رسمياً وباعتراف الدولة وهناك هيئات دينية وجمعيات ومراكز ثقافية يصعب حصرها ويتعذر زيارتها والاتصال بأصحابها ولكنني لا أغفل جمعاً إسلامياً شاهدته لا يكاد يخطر بالبال ويستحيل وجوده في غير المسلمين: في اليوم الخامس والسادس والسابع بعد العشرين من شهر ربيع الأول على مسافة أربعة عشر ميلاً من دكا ضاحية تدعى تونجي استظل تحت سقف واحد طوله كيلوين في كيلو سبعمائة ألف من المسلمين وقالوا إنهم أكثر من المليون ولمدة ثلاثة أيام يظلمون في هذا الاجتماع لا تعجب فالسقف من الخياش وقابل لزلزعة العواصف وغير مانع من تساقط الأمطار ولكنه كان منظراً حسناً وترتيب جيداً هؤلاء هم جماعة التبليغ. سألت الأمير متى حددتم موعد هذا الاجتماع؟ فقال: من ستة أشهر فقد صليت معهم صلاة المغرب فكان إمام الصلاة لهذا الحشد الكبير إمام واحد يقتدون به لا تسمع صوتاً ولا ضجيجاً ولا حتى قول آمين لأنهم أحناف وإن تعجب فعجب أنهم

لا يستعملون مكبرات الصوت في الصلاة على رأي عندهم ولكنه يستعملونه في الخطابة والمواظ فقط تجولت في هذا المعسكر فلم أر جندياً ولا سيارات إسعاف ولا أي استعداد صحفي أو إعلامي، ورأيت مشرق هذا المخيم الكبير مخيمات أخرى محجوزة حيث جعلوا هذه المخيمات على خمسة أقسام: قسم عام وهو آنف الذكر وخيم خاص للوافدين من الخارج، والثالث لخواص الناس والرابع لمن أبدى استعداده للخروج في الدعوة والخامس لإدارة هذا المخيم وتجهيز الخارجين وتنظيم أحوالهم ولا أريد الإطالة حول هذه الجماعة فهي مشهورة ومعروفة والعجب كل العجب أن هؤلاء اجتمعوا من أكناف المعمورة حتى من أمريكا وأوروبا والدول العربية حباً للدين وتبني الدعوة إليه.

وهناك جمعية تدعى بجمعية أهل الحديث، وهي وإن كان نشاطها محدوداً إلا أنها تمتاز بسلامة العقيدة والبعد عن الخرافة والتصوف، والذي شاع وذاع في هذه البلاد غير أن الناس يرمزون إليهم بطائفة منزوية على نفسها تصدر لهم جريدة (عرفات) الأسبوعية ومجلة الترجمان الشهرية، ولهم مدارس تعليمية في المساجد، أميرهم الدكتور عبدالباري أستاذ الجامعة في مدينة راج شاهي.

يقابل هذه الهيئات الدينية والأحزاب الإسلامية أحزاب معاكسة سير خطها الحزب الاشتراكي الروسي والحزب الشيوعي الصيني وحزب

عوامي والحزب الوطني، يتزعم الأول مظفر أحمد أستاذ في الجامعة البنغالية، ويتزعم الثاني مسيح الرحمن وعبد الحميد باشا، أما الحزب الثالث فهو حزب عوامي حزب مجيب الرحمن. هذه الأحزاب الثلاثة هم صوت واحد يشتركون في التنظيم العام ضد الكتل الإسلامية ولهم قوة ومنظمة في الطلاب وأرباب الصناعة والعمال وبيارسون النشاطات الإعلامية.

٢- التعليم

تبلغ الأمية نسبة عالية في بنجلاديش حيث تبلغ نسبة المتعلمين ١٦٪ من مجموع السكان، فالمدارس الحكومية الابتدائية تعدادها ٤٥٩٥٩ والمدارس الثانوية ٦٦٤٨ والكليات ٤٣٣ وبها ست جامعات أكبرها جامعة دكا بها خمسة عشر ألف طالب وطالبة هذا هو التعليم الرسمي الحكومي العلماني الذي لا يتقيد بديانة ولا يرتبط بقيم سوى المادة. ويوجد تعليم للدروس الدينية والعربية تحت إشراف جمعية تعترف بشهاداتها الدولة ولكنها لا تمولها الدراسة فيها ستة عشر سنة تعادل الشهادة العالية في العلوم العربية والدينية، يزيد تعداد هذه المدارس على ألف وخمسمائة مدرسة تدعى بالمدارس العالية، وقد اطلعت على مناهجها وسير الدراسة في مدرستين منها في دكا ومدينة شادقار فرأيت أن المنهج ثقيل جداً حيث يتعلمون فيه أمهات الكتب المطولة ودواوين الشعر وكتب المنطق والفلسفة والحكمة ورأيت أن سير الدراسة في هاتين المدرستين وهما أمثل المدارس هزياً للغاية حيث لا يرتبط بنظام رسمي ولا بإدارة تفتيش إلا أن القائمين

على هذه المدارس يدفعهم الدين وحفظ اللغة العربية وحيث أن العلوم الشرعية وتعليمها باللغة العربية وهناك نوع ثالث من التعليم وهو تعليم الدين والعلوم الإسلامية باللغة العربية على منهج المدرستين المشهورتين في الهند دار العلوم في ديوبند ومظاهر العلوم في سمانفور الدراسة فيها اثنا عشر سنة أكثر هذه المدارس في المساجد أو في دور تتبع المساجد من أشهر هذه المدارس جامعة معين الإسلام التي تأسست قبل مائتي سنة في شادقام وهي أم المدارس وأقدمها تاريخاً ويليها جامعة حميدية قاسم العلوم في شادقام أيضاً فيها أكثر من سبعمائة طالب وخمسة وعشرون مدرساً والجامعة القرآنية في دكا وهذه المدارس منظمة أمينها مفتي محمد إبراهيم في شادقام لدى هذه المنظمة مائة وخمسون مدرسة وقد لاحظت على هذه المدارس الدينية العربية عقم أفكار أساتذتها حيث لا تجديد ولا تبديل في المناهج القديمة التي وضعها علماء الهند في ديوبند منذ أكثر من مائة سنة مع أن الطلاب لا يستطيعون استيعاب النصاب ((المنهج)) بكامله، وتنقصهم الخبرة في أسلوب التدريس والكتاب العربي لتعليم اللغة العربية أما المدارس القرآنية والكتاتيب فلا حصر لها بل كل مسجد لا يخلو من أستاذ القرآن تحفيظاً وتلاوة.

٣- التبشير

يرتبط تاريخ التبشير بالاستعمار الإنجليزي وحينما تم نفوذه على القارة الهندية في عام ١٧٥٩م أنشأ كثيراً من المدارس الإنجليزية حتى كانت

عاملاً للتحلل الخلقي والتشبع بأفكار الغرب وقد قامت ثورة في عام ١٨٥٧م ونتيجة لهذا كان ضحيتها عدداً كبيراً من المسلمين مما جعل الاستعمار يشد وطأته على المسلمين خاصة، وقد وصل النشاط أطراف الجبال ووحوش الغابة وفتح مدارس ومستشفيات للوثنيين ولم يعرف أن أحداً تنصر من المسلمين حتى عام ١٩٦٠م حينما أحل في بنجلاديش كوارث وعواصف مما سبب خسائر فادحة في الأرواح والأموال فاغتنم الأوروبيون فرصة حاجة المسلمين وفتحوا ثلاثة وعشرين مركزاً تبشيراً ومن هذه المراكز انتشر المبشرون في عام ١٩٦٥م ودارت الحرب بين المسلمين بباكستان وبين الهند فأخرج الهند كثيراً من المسلمين القاطنين بمقاطعة آسام مما يلي بنجلاديش خلفوا وراءهم أملاكهم ولكن حكومة الباكستان لم توليهم أي عناية مما جعلهم يلجئون إلى غوث المبشرين وقبول هداياهم، وبعد حرب ١٩٧١م وقع سكان بنجلاديش في مصائب لا تكاد تخطر بالبال حيث أصبح أكثر من ثلاثمائة ألف عائلة بلا مأوى وكان ضحيتها ما يزيد على خمسمائة ألف نسمة ففتح المبشرون ثمانية وأربعين مركزاً يدخل المسلمين في الديانة النصرانية، تقدم هذه المراكز الخدمات العامة كإنشاء المظلات وتقديم الطعام والشراب واللباس، كما قد كفّلوا ثلاثين ألف يتيم أخذوهم من بنجلاديش في مدارس وحضانة التبشير في أفريقيا وأوروبا. وخلاصة القول أنه في عام ١٩٤٧م كان النصارى في كل ألفين واحد وفي عام ١٩٦٠م في كل سبعمائة واحد وفي عام ١٩٧٥م بالمائة

٤½ وقد بلغ عدد المراكز التبشيرية ثمانية وأربعين مركزاً وعدد المستشفيات اثنين وعشرين وعدد الكليات والمدارس ثلاثمائة ومراكز الحضانة أربعمائة وخمسين وبهذه الجهود الجبارة يتبين خطر التبشير النصراني في صفوف المسلمين ولا يخفى تنافس الديانات النصرانية في ميدان السباق كالكاثوليك والبروستانت وهما الديانتان الرئيسيتان اللتان تقومان بالتبشير على أوسع نطاق.

٤ - بعض الظواهر الاجتماعية

المرأة لا تزال في بنجلاديش خلف الستار وفي طواغية الرجل وتحت حكمه ولم يبرز لها دور في المجتمع الظاهر سوى عدد قليل فلا تكاد تنظر امرأة في شوارع العاصمة سوى فقيرة تكدح لسد جوعها وستر سوءتها أو غنية مترفة بغية حاجاتها الكمالية. والمرأة البنغالية تلبس ملابس الاحتشام الساتر لجسدها والخمار المغطي للرأس والوجه ولكن الطبقة الغنية وبعض نساء البوذيين يلبسون (الساري) وهو قطعة واحدة تنزر ببعضه وتضع على عاتقها بعضه وهم قليل إلى أن الزي الأوروبي الفاحش لا يزال مغموراً إلا أن الطالبات في المدارس والجامعات يرتدينه وهن قليل.

المساجد تكثر المساجد في مدن بنجلاديش عموماً وتدعى عاصمتها دكا بمدينة المساجد حيث لا تزداد مساجدها وهي على كثرتها ذات تصميم هندسي وبناء قوي وأكثرها قديم التصميم من زمن المغول وفي عهد حكومة أيوب خان بنى مسجداً كبيراً يدعى "بيت المكرم" من سبعة أدوار،

وله مساحات واسعة وفناء كبير في موقع استراتيجي وبين أسواق تجارية في وسط دكا، وتغص هذه المساجد بالمصلين وحلق التعليم للقرآن الكريم فما رأيت أكثر جماعة ولا أشد محافظة على الصلاة مثل ما رأيته في بنجلاديش إلا أن هذه المساجد قل أن تخلو من الخرافة والبدعة إما بوجود مزارات وإما بحلق الذكر البدعية من أرباب التصوف والخرافة

المزارات

قل أن تمر بشارع أو تدخل مسجداً إلا وجدت به مزاراً إما قبراً أو أثراً لولي أو صالح يتبرك به العامة ويدعون الله عنده، وقد شاهدت مزاراً في ضاحية دكا تحت قبة كبيرة حظيت بعناية من الزخارف والتلوين كتب على مدخل هذا المزار من الخارج: سلطان الأولياء كلیم الرحمن البغدادی وحول هذا القبر يعتكف الناس لتلاوة القرآن والذكر والدعاء. وقد رأيت مزاراً آخر في مسجد من مساجد شادقام فسألت عنه فقالوا: عربي مسكين أي أنه قبر عربي كان مسكيناً فقيراً فقلت إنه كان في حياته أحوج إلى ما تضعون على قبره فكيف تطلبون منه بعد مماته ولكنهم لا يفقهون حديثاً يروج هذه المزارات ضلال يتعيشون بها أو مغرضون لتزييف حقيقة الدين فقد التبست العبادة البوذية والطقوس الهندوكية بالإسلام على كثير من عوام المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله.

حب العرب: لا أستطيع أن أصف الشعور العام بمسلمي الشرق الأقصى ومنهم بنجلاديش حب العرب عامة وشعب المملكة خاصة

والعلماء منهم أخص حيث يعتقدون أنهم أقرب إلى هدي الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يعتقد التبرك بكل شيء من الحجاز تربة أو بشراً، وعلى العموم منهم من يرون ويعتقدون أن القيادة الدينية هي للعرب والعرب وحدهم هم الذين يستطيعون أن يعيدوا مكانة الإسلام ووحدته المسلمين، ولا أكون مبالغاً إذا قلت: إن حب العربي في نفوس هؤلاء المسلمين قد بلغ السويداء من قلوبهم حيث يتأثرون بأبسط أسلوب وأسهل عبارة ويتحولون من عادات وتقاليد كانوا عليها إذا سمعوا أن العرب لا يرونها.

الفقر: ظاهرة بارزة في المجتمع البنجلاديشي عموماً حيث إن دخل الموظف العادي لا يزيد عن ستمائة إلى ألف تাকে والتاكه تعادل ربع ريال سعودي مع ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة بسبب هذه الكوارث السياسية والطوفان والعواصف وجفاف الأرض حيث إن الهند قد تسد نهر البنغال والذي يمر ببنجلاديش مما سبب ضرراً على الزراعة في بنجلاديش، وقد علمت من مصادر وثيقة أن ثلاثمائة ألف أسرة تعيش بلا مأوى تفرش الأرض وتلتحف السماء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بنجلاديش في سطور

١ - تقع بنجلاديش على خليج البنغال شمالاً وتحدها الهند من جميع جهاتها إلا من جهة الشرق تحدها مقاطعة أركان من بورما.

٢- عدد سكانها ٨٠ مليون نسمة ٨٥٪ مسلمون و٨٪ هندوس
٤٪ نصارى ٣٪ بوذيون.

٣- يتكلم بلغة البنغال ٢٠٠ مليون تقريباً في سواحل الهند الشرقية
وجمهورية بنجلاديش.

٤- الهيئات الإسلامية السياسية هم الجماعة الإسلامية وجمعية العلماء
ومسلم (ليك) ونظام الإسلام، أما الجمعيات الدينية غير السياسية فكثيرة
أشهرها جماعة التبليغ وجماعة أهل الحديث وجمعية السيدة المحمدية.

٥- نسبة المتعلمين في بنجلاديش ١٦٪ عدد المدارس الابتدائية
(٤٥٠٥٠) مدرسة، عدد المدارس الثانوية (٦٦٤٨) مدرسة، عدد الكليات
٤٣٣ عدد الجامعات ست، والمدارس الدينية العربية المعترف بها رسمياً
١٥٠٠ مدرسة. الدراسة فيها ١٦ سنة، المدارس الدينية العربية تزيد على
١٠٠٥٠٠ مدرسة التي تطبق منهج الديوبند المدارس الصغيرة كثيراً جداً
حيث يوجد بكل مسجد مدرسة في الغالب.

٦- التبشير دخل مع دخول الاستعمار سنة ١٧٥٩م وفي عام ١٧٦٠م
فتحوا ٢٣ مركزاً تبشيراً وفي عام ١٩٦٥م تنصر بعض المسلمين وكثير من
الوثنيين، يوجد حالياً ٤٨ مركزاً للتبشير و٢٢ مستوصفاً و٣٠٠ مدرسة
٤٥٠ داراً للحضانة.

٧- شخصيات عرفتھا:-

أ- الشيخ عبدالرحيم أمير الجماعة الإسلامية عالم فاضل ومؤلف كبير بلغة البنغال يعمل في الدعوة منذ ٣٠ سنة وقد قام بترجمة كثير من كتب أبو الأعلى المودودي باللغة البنغالية.

ب- جاسيس باقر من كبار المحامين خريج جامعة عليكرا بالهند وكان قاضياً مدة ١١ عاماً ولديه مشروع معهد الملك فيصل الإسلامي، كما يصفونه بعبقريته وذكائه وقيامه بالدفاع عن القضايا الإسلامية الدينية والسياسية.

ج- الدكتور إسحاق رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة دكا عاصمة بنجلاديش.

د- الشيخ محيي الدين رئيس مجلة المدينة، وهي مجلة شهرية تصدر من دكا بلغة البنجاب.

هـ- الحاج ماجد السردار تاجر كبير ومحسن شهير من جماعة أهل الحديث.

- وبعد فهذه صورة ما سجلته بقلممي كتقرير عن بنجلاديش إبان زيارتي لها عام ١٣٩٦ هـ وقد جدّ ما جد وذهب أشخاص وجاء آخرون، وعلى العموم فإن النشرة الدعوية التي كانت تتبناها الدولة السعودية في عهد رائد التضامن الإسلامي الملك فيصل رحمه الله كان لها الأثر الأكبر في النشاط

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

الدعوي، وعقب تولي تلك التقارير التي ترفع مباشرة للملك رحمه الله وقل أن نقوم باقتراح أو رأي في نشر الدعوة إلا كان تنفيذه إما على الفور أو التراخي ومن ذلك:-

- افتتاح مكتب للدعوة وتكثيف العمل الدعوي بابتعاث الدعاة وزيادة المنح الدراسية في الجامعات السعودية ودعم المدارس والهيئات الإسلامية مادياً فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



إسماعيل بن سعد العتيق في بنجلاديش

(١٦) إندونيسيا

هي البلد الثاني من حيث عدد السكان بعد باكستان في العالم الإسلامي بآسيا، وهي ذات صلة قوية بالملكة العربية السعودية قديماً وحديثاً ومنها تنطلق فئام الحجاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وللأندونيسيين جبة خلقية تفوق في طبعهم الهادئ واستكانتهم المتميزة وانصياعهم للقيادة والهداية كثيراً من طبائع البشر ولذا أسلمت إندونيسيا من غير غزو ولا قتال ولا زالت على إسلامها وتمسكها بالمذهب الشافعي مذهب من دعاهم إلى الإسلام من قوافل التجار العرب الذين عرضوا الإسلام عليهم عرضاً عملياً في التعامل التجاري والمسلك التعبدية والخلق الحسن والتفاعل مع الطبيعة البشرية المعتدلة، فكانوا لهم أنصاراً وأصهاراً تزاوجوا معهم واندججت طبائع الداعي والمدعو في تكوين الأسر الإسلامية من منطلقات دينية وأعراف فطرية يقبلها السوي من البشر من الطهارتين المادية والمعنوية، ولم تكن اللغة حاجزاً عن التفاهم في الأخذ والعطاء والتفهم والمعرفة الدينية مثلهم مثل بقية الأقطار التي تحولت واستسلمت وأسلمت لتعاليم الإسلام بلغة القرآن، وهل هذا إلا آية من آيات الله المعجزة أنعم الله بها على الإنسان. وسنورد لك أسطراً من تاريخ إندونيسيا المسلمة نقلاً عن موسوعة العالم الإسلامي مصدر موثق، وقد امتن الله على هذه الدولة المباركة المملكة العربية السعودية لما وهبها الله من قوة مادية

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

وتوجه صادق لخدمة الإسلام فأرسلت الدعوة إلى إندونيسيا وفتحت جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية فرعاً لها في إندونيسيا للدراسات العليا وقد تكررت زيارتي لإندونيسيا تكرر الزائر والعامل في حقل الدعوة إلى الله عز وجل قرابة عشرين عاماً إذ كنت مسؤولاً عن إدارة الدعوة في آسيا وكم وكم من دورات تعليمية ولقاءات أخوية بيننا وبين علماء إندونيسيا ومنهم العلم الأشم محمد ناصر - رحمه الله - وما زال التواصل بين الجمعيات الدينية في المملكة وإندونيسيا. وفيما يلي ما وعدتك به:

عضو المنظمات الدولية :

الأمم المتحدة.

منظمة دول جنوب شرق آسيا.

منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبيك).

منظمة المؤتمر الإسلامي.

منظمة دول عدم الانحياز.

تاريخ دخول الإسلام فيها:

دخل الإسلام إلى الجزر الإندونيسية عن طريق التجار المسلمين الذين قدموا إليها من (كجرات) بالهند. ومن أشهر من قام بنشر الإسلام فيها الشيخ (عبدالله عارف) الذي نزل في مدينة (بيرلاك) بجزيرة (سومطرة) حيث أسلم جميع أهل المدينة المذكورة. وكان ذلك عام

جولة في إحدى وعشرين دولة (آسيا)

٦٩٠هـ - ١٢٩٠م. ثم جاء الداعية الشيخ (برهان الدين) فنشر الإسلام وكان ذلك في جنوب وغرب سومطرة.

- وقد سجل الرحالة المسلم (ابن بطوطة) أنه شاهد دولة إسلامية زاهرة يحكمها ملك سومطري عام ٧٤٧هـ - ١٣٤٦م يدعى (زين العابدين) الملقب بالملك الظاهر.

- ثم تحركت بعثة من الدعاء المسلمين برئاسة (الشيخ إسماعيل) فنشروا الإسلام في جميع جزيرة سومطرة عدا قبيلة (الباتاك) الوثنية.

من أشهر الدعاة الذين نشروا الإسلام في إندونيسيا:

مولانا الملك إبراهيم، ورادين رحمة، ومخدوم إبراهيم، ورادان باكو، وفتح الله، وسونان قدوس، وصونان موربا، وسونان دارجات، وسونان كاليجا.

- أول مملكة إسلامية تأسست في البلاد كانت في (سامودرا باساي) بجزيرة سومطرة. وقد أسلم ملكها على يد الداعية الشيخ برهان الدين، وسُمي (الملك الصالح). وقد أقاموا العديد من المساجد.

- ثم قامت مملكة أسرة ملوك (أتشه) التي عاشت من عام ٩٠٢ - ١٢٨٥هـ - ١٤٩٦ - ١٨٦٧م.

ومنذ ذلك الحين انتشر الإسلام في (جاوة) ببطء، ثم انتشر الإسلام في باقي جزر الأرخبيل الإندونيسي.

نسبة المسلمين: ٩٥٪ من السكان الأصليين، وجميعهم من أهل السنة، وباقي السكان من الهندوس أو المسيحيين أو البوذيين^(١).

المذهب الفقهي: المذهب الشافعي.

الزكاة: دفع الزكاة تقليد عام عند المسلمين في إندونيسيا. تقوم الجمعيات الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد بجمعها وتقوم كذلك بتوزيعها على المستحقين حسب النص الشرعي الخاص بها.

المساجد: المساجد في إندونيسيا يزيد عددها عن ثلاثمائة ألف مسجد (بما في ذلك المصليات) في الأحياء والشوارع.

* في العاصمة (جاكرتا) حوالي عشرة آلاف مسجد. من بينها أكبر مسجد في منطقة جنوب شرق آسيا. وهو (مسجد الاستقلال) ويتسع لمائة ألف مصل.

* أقدم مسجد في البلاد هو مسجد (ديباك) في جاوا الوسطى، ويقع بمدينة (ديباك) وقد بني في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي.

الجامعات الإسلامية:

في إندونيسيا (٢٧) مقاطعة. وفي كل مقاطعة جامعة إسلامية (تقريباً). ومن هذه الجامعات (٢٠) جامعة تدرس العلوم الإسلامية واللغة العربية.

(١) قسّمت العالم الإسلامي المعاصر، الدكتور المهندس مصطفى مؤمن.

* كما أن هناك معاهد إسلامية دينية داخلية يبيت فيها الطلاب والطالبات (لهن قسم خاص) وعدد هذه المعاهد حوالي (٧٠) معهداً.
دور القرآن الكريم:

في جميع المساجد المنتشرة في البلاد كتاتيب تجمع الأطفال -ذكوراً وإناثاً- لتعليمهم الدين واللغة العربية، إلى جانب معلمين ومعلمات يستدعون إلى البيوت من قبل أولياء الأطفال لتعليمهم مقابل رواتب تدفع لهم.

علماء مشهورون:

سونان كودوس، سونان نفاميل، سونان جيري، سونان بوتاه^(١)،
وجميعهم من علماء القرن الثامن الهجري -الرابع عشر الميلادي.
ومولانا مالك إبراهيم وهو من علماء القرن السابع الهجري -الثالث عشر الميلادي.

مدن شهيرة:

مدينة (ديماك) وقد بنيت في القرن السابع الهجري -الثالث عشر الميلادي.

مدينة (تشكرانيجارا) في جزيرة لومبوك، في منطقة جاوا الغربية، وقد بنيت في القرن السابع الهجري -الثالث عشر الميلادي.

(١) كلمة (سونان) معناها: الشيخ الجليل، أو مولانا.

جاكارتا (العاصمة) . بنجرماسن . بفاكرتا . باندونج . بادنج .
بالمبانج . دوماي . سوربايا .

كما توجد مناطق إسلامية شهيرة أخرى لا يتسع المجال لذكرها
وجميعها مبنية منذ القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي .
معارك إسلامية شهيرة:

من أشهر المقاتلين للدفاع عن إندونيسيا:

الأمير (ديبو نيفورد)، كان يحارب على فرس ويحمل سيفاً وهو معمم
(أي يلبس العمامة)، ويقا تل ضد الغزاة الهولنديين في جاوا الوسطى . كان
ذلك في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي . فقد قام هذا
الأمير بثورة ضد الاستعمار الهولندي تحت راية الإسلام . وقد استمر في
قتاله نحو (٢٥) عاماً . ثم جرى القبض عليه بخديعة ونفي في إحدى الجزر
الإندونيسية حتى وفاته .

- ومن المجاهدين الذين خاضوا معارك في إندونيسيا ضد الاحتلال
الهولندي: العالم الكبير (تيكو عمر) الذي كان يحرص الشعب للثورة ضد
الهولنديين .

وكذلك العالم والثائر الإسلامي الكبير (تنكو تشي دي تيرو) وكلا
العالمين المذكورين كان يقود المسلمين في منطقة (آتش) بأقصى جزيرة
سومطرة .

وفي المنطقة نفسها برزت قائدات مسلحات منهن:
(تشوت نياء دين) التي خلفت زوجها (تيكو عمر) الذي ذكرناه
سابقاً- بعد أن استشهد، وقادت المعركة المسلحة، وأخيراً وقعت في الأسر
وماتت. هذا وقد استمرت الثورة الإسلامية ضد الهولنديين المستعمرين
لمدة (٧٣) عاماً في القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي^(١).

(١) زودتنا بهذه المعلومات الأخت الفاضلة السيدة (رحماواتي) ابنة الرئيس الإندونيسي
السابق (أحمد سو كارنو) وساعدها في الترجمة الأستاذ عبد الحميد الأزهرى -الذي
يجيد التحدث باللغة العربية. وهو مدرس بكلية الآداب بجامعة إندونيسيا بمدينة جاكرتا.
ورئيس القسم العربي في الإذاعة الإندونيسية.

(١٧) ماليزيا

دخول الإسلام فيها: حمل العرب التجارة والهداية إلى تلك الأصقاع في نحو القرن الثالث عشر الميلادي وأسلمت عدة قبائل في شرق جزيرة سوموطرا مملكة (ملاوي) التي اعتنق أهلها الإسلام واعتبر الدين الرسمي للبلاد حتى اجتاحتها مملكة الهندوكية ضمن ما اجتاحتها من دويلات في هذه الأصقاع ورغماً من ذلك فقد ظل الإسلام ينتشر ويمتد في بعض أجزاء الملاوي مثلها مثل جارتها إندونيسيا في التمسك في دينها وعقيدتها إلا أن الشعب الماليزي تفوق أخيراً بالإنتاج الصناعي والتكنولوجيا الحديثة حتى كانت مثلاً لدول العالم الإسلامي، زرتها مرة واحدة، وفيها التقيت بأمر السفراء أبو سليمان محمد الشبلي الذي كان يعمل في حاشية الملك عبدالعزيز وقريباً منه، ونعم المثل في خلقه وأدبه وكرمه، كنت في مهمة إلى أستراليا وفي طريقي نزلت تايلند لأخذ سمة الدخول إلى أستراليا فاعتذرت سفارتهم، ورغم الوساطة التي بذلتها سفارتنا السعودية لم يقبلوا إعطائي سمة الدخول، وقالوا: يجب أن يأخذها من بلاده، فأشارت عليّ السفارة السعودية أن أتوجه إلى ماليزيا لمقابلة السفير الشبلي وعن طريقه تحل المشاكل، وفعلاً توجهت إلى كوالامبور، وتوجهت إلى السفير وأخبرته

بمهمتي إلى أستراليا فلا بد من تأشيرة من سفارتهم في ماليزيا فطلب الجواز ونادى سائقه وقال: اذهب حالاً إلى سفارة أستراليا لإعطاء السمة، فما مضى زمن قصير حتى عاد السائق وقد ختم على الجواز بما هو المطلوب.

أبو سليمان الشبيلي يعرفه القاضي والداني بكرمه ونبله وحسن خلقه وتعامله حتى دعي أمير السفراء، وكان قبلها في العراق، وظل في ماليزيا حتى توفي رحمه الله، ورغم وجود مكتب لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء في ماليزيا إلا أن السفير هو الكل في الكل يغفر الله له.



(١٨) سنغافورة

كانت جزء من ماليزيا وحصل الانقسام وأصبحت مركزاً تجارياً عالمياً، ورغم قلة المسلمين فيها فإن لهم جهوداً مباركة في التكتل حول دينهم وخدمتهم، فأسس المسلمون جمعية الدعوة الإسلامية، ونالت الدعم والمساندة من جهات عدة، وفي مقدمة من دعمهم الملك فيصل - رحمه الله - فكانت جمعية بمعناها الشمولي العام لصالح المجتمع المسلم في سنغافورة. وفيما يلي بيان لخدمات الجمعية حسب ما صدر عنهم نعقب ذلك بمقال نشر تحت عنوان (العرب في سنغافورة مهاجرون من حضر موت).

زرت سنغافورة والتقيت بأعضاء الجمعية ورئيسها وكانت زيارة موفقة لمست فيهم الجد والاجتهاد في تطوير العمل الإسلامي، ولهم إعلام ودعاية حول توجه هذه الجمعية مما جعلهم يلتقطون صوراً فوتوغرافية لزيارتي لهم ومشاهدتي لأحوالهم، وفيما يلي بيان ما أشرت إليه، وتمتلك الجمعية مبنىً في تصميمه وهندسته أشبه بمربعات الكعبة المشرفة على أربع جهات متساوي الأقطار وكأنهم لهذا يرمزون إلى قبلة المسلمين ليفهم الآخر ارتباط المسلمين بدينهم. ولا يجوز أن ننكر الحقيقة فقد احتل الصينيون في سنغافورة أهم المراكز والمصالح التجارية والرسمية، ولعل أسباب انفصال سنغافورة عن ماليزيا هو تكوين هذا التجمع الصيني في دولة يديرونها

سياسياً واقتصادياً فكان لهم ذلك حيث كانت سنغافورة مركزاً تجارياً عالمياً إلا أن العرب اختاروا دولة دبي فكانت تنافس سنغافورة بالتصدير لمنتجات الصين واليابان، وللقوة أثرها في التوجه العام للشعوب.

العرب في سنغافورة: مهاجرون من حضرموت

وقصور تروي فصولاً من أمجاد غابرة

((سنغافورة هي الدولة الوحيدة في العالم حيث ثمة أقلية عربية وثمة شارع يحمل اسمها)). بهذه الكلمات يستقبلك أمين آل طالب، رجل الأعمال السنغافوري، في مقهاه ((كافيه لو كير)) (مقهى القاهرة بالفرنسية) وهو يدخل النارجيله، ويأمر نادلاً بأن يحضر لك نارجيله وبعض المأكولات والحلوى العربية.

يضيف بلسان عربي طلق: ((في لندن، مثلاً، يُسمى الشارع حيث يقطن معظم العرب ويعملون إدجووير رود. أما هنا، فاسمه الصريح شارع العرب)). ويضيف أنه من العرب السنغافوريين الأوائل الذين حاولوا إحياء الطابع العربي للشارع الصغير، الذي تتفرع منه شوارع أصغر تحمل أسماء مدن عربية، كبغداد والبصرة.

لقد اجتاحت السنغافوريون من الأقلية الملاوية شارع العرب ليفتتحوا فيه متاجر لبيع الحرائر والسجاجيد المتوسطة النوعية، المصنوعة في كوريا الجنوبية وإندونيسيا وتايلاند. أما الحرائر والسجاجيد الصينية الفاخرة فلا تزال حكرًا على تشاينا تاون، حيث قطن أفراد الغالبية الصينية بداية، قبل أن

ينتقلوا، هم ومواطنوهم من الأقليات الأخرى إلى مناطق سكنية حديثة، بنتها الحكومة وقدمت تسهيلات ائتمانية لمشتريها، تاركين وراءهم أحياءهم للنشاطات الدينية والثقافية.

تتفرس في وجوه رواد ((كافيه لوكير)): جلهم من الصينيين والملاويين، إلى جانب الهنود، الذين يشكلون أقلية كذلك، ويقوم طالب، حامل شهادة الدكتوراه في المحاسبة والخبر في تاريخ العرب في هذه المدينة- الدولة التي يقطنها أربعة ملايين شخص: ((نحن نعد ١٤ ألف شخص. ولنا جمعية تتصل بالسلطات لمساعدتنا على إحياء التراث العربي في سنغافورة، كمواطنينا الصينيين والملاويين والهنود)).

ويضيف: ((لقد تمكنا مثلاً من الحصول على دعم الحكومة لإقامة مهرجان رمضاني في كمبونغ غلام، الحي الملاوي القديم الذي يُعتبر شارع العرب امتداداً له، إلى جانب المهرجان الأساسي في الحي الملاوي الأكبر، غلانغ سراي. وانطلق المهرجان قبل أربع سنوات)). ويروي كيف أحيوا بمبادرة منه أسبوعاً عربياً عام ٢٠٠٣، أعاد إلى الشارع سمعته ورونقه، واستقطب سياحاً أكثر من الدول المجاورة، إلى جانب سياح عرب قلائل. فربما يرى العرب في السفر إلى سنغافورة البعيدة مشقة.

لكن طالب عانى قبل الحصول على ترخيص لتقديم النارجيلة في مقهاه. فالحكومة تشدد بيع كل أصناف التبغ والتبأك. ولا يمكنك أن تدخن في الأماكن المغلقة. وإن دخنت في الشارع، عليك أن تقف قرب علب

مخصصة للسجائر، فرمي أي شيء على الأرض يكلفك غرامة تصاعدية قد تتجاوز ٣٠٠ دولار سنغافوري (٢٠٠ دولار أمريكي)، بل وقد ينتهي بك المطاف بأن تنفذ عقوبة تقضي بكنس أحد الشوارع لثماني ساعات.

ويقول مضيفي: ((يبدو لك اهتمام سائر المجموعات العرقية في البلاد بالتراث العربي من خلال رواد المقهى المتنوعين. لذلك نعمل على استجماع إمكانياتنا والحصول علة دعم حكومي لنشاطاتنا الدينية والثقافية. ونأمل أن نجاري مواطنينا في ضخامة احتفالاتهم.

لكن متى وصل العرب إلى سنغافورة؟ ومن أي بلد أو بلدان عربية يتحدثون؟ ((جميعنا تقريباً من أصول حضرية)) يقول طالب، الذي لا يزال يزور اليمن ليلتقي بأقارب لم تقطع عقود الزمن أو اصر القربى بينهم. وهو ليس وحيداً في ذلك. فثمة عرب يسافرون إلى اليمن وغيره من الدول العربية لأغراض تجارية.

ويضيف طالب، بعدما زودني بوثائق ودراسات، بعضها من وضعه، كمقالة في فصلية تصدر عن ((مركز شؤون الأقليات المسلمة)) في بريطانيا: ((حين أسس السير ستامفورد رافلز، ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية، سنغافورة الحديثة عام ١٨١٩م لتكون مرفأً أساسياً في الإمبراطورية البريطانية، حاول استقطاب العرب من المناطق الخاضعة للحكم البريطاني وقتذاك. وكان التجار العرب يحطون الرحال في سنغافورة منذ القرن الرابع عشر، لكنها كانت ممراً لهم، لا مستقراً)).

وأسس رافلز نفسه شارع العرب قرب قصر السلطان الملاوي المتحالف مع البريطانيين ومسجده. وكتب في يومياته: ((يجب الاهتمام تماماً بالسكان العرب. ولا أرى مكاناً يصلح لهم غير جوار قصر السلطان)). وبحلول عام ١٩٢٤، كانت سنغافورة نمت من قرية ملاوية إلى مدينة كوزموبوليتانية، يقطنها ١٠٦٨٣ شخصاً، لكن كان بينهم ١٥ عربياً فقط. كان العرب الذين قطنوا سنغافورة بعد وضعها تحت الحماية البريطانية من التجار الأغنياء، خصوصاً من آل الجنيد الحضرميين. وبنوا قصوراً جميلة. ولا تزال آثار العز العربي التليد بادية في الشارع الذي جدته السلطات في سنغافورة المستقلة. ولا يزال قصر السلطان ومسجده في مكانها، وقد تحول الأول متحفاً فيما لا تزال الصلاة تُقام في المسجد. وبين المبنيين أُقيم حديثاً مركزي ثقافي ملاوي على النمط المعماري نفسه.

لكن كيف زاد عدد العرب في سنغافورة حتى بلغ ١٤ ألف شخص؟ يقول طالب: ((بعد آل الجنيد، حل آل الكاف والسقاف، من كبار التجار، واستقروا في شارع العرب حيث بنوا قصوراً. وجاء معظم الحضرميين الأوائل واللاحقين من إندونيسيا حيث كانوا يعملون وجمعوا ثروات، لا من اليمن مباشرة)). ولا يزال قصر آل الكاف قائماً، وقد تحول مطعماً يديره ملاويون.

بعد انفصال سنغافورة عن ماليزيا عام ١٩٦٥ ووقوع حضرموت تحت الحكم الشيوعي بعد قيام اليمن الجنوبي السابق عام ١٩٦٧، زاد عدد

الحضرميين في سنغافورة، حيث وجدوا ملاذاً تنفسوا فيه بعض الحرية، وكانت لهم اليد الطولى في الازدهار التجاري للجمهوريات الصغيرة (٧٠٠ كيلومتر مربع فقط).

وخلطت السلطات بين العرب والملاويين، وكذلك فعل الملاويون الذين أخذوا الدين الإسلامي عن الحضرميين، لكن هذا الخلط أضاع بعض الهوية العربية للحضرميين. وقصد حضرميون كثيرون دول الخليج العربي للعمل في السبعينات حيث أسسوا جاليات كبرى.

في سنغافورة، تحول بعض العرب من التجارة إلى الاستثمار العقاري، فامتلكوا أراضي زراعية شاسعة، لكن الاستثمار الحضاري تراجع بعد فرض السلطات ضوابط صارمة على الإيجارات خلال الإصلاحات الاقتصادية في الستينات والسبعينات. وسمى العرب عقاراتهم ((أوقافاً)).

ويروي طالب أن الحضرميين كانوا يرسلون أولادهم إلى حضرموت وهم يافعون، ليعودوا إلى سنغافورة فيدير أعمال العائلة. ((لكن هذه الممارسة خفت منذ الثمانينات إلى درجة التلاشي مع تضاؤل ثروة العرب السنغافوريين بعد الإصلاح العقاري. وقليلون اليوم الحضرميون من صغار السن الذين يفقهون العربية)).

ويحدثك بأمل عن ((الوحدة)) الجمعية التي تُعنى بشؤون العرب السنغافوريين، وعن مركز ينمو ببطء في القلب التجاري لسنغافورة، يقدم دروساً للأولاد العرب السنغافوريين في اللغة العربية والثقافة والتاريخ العربيين.

تنتشر في شارع العرب بعض المتاجر العربية. في طريقي إلى ((كافيه لو كير)). برفقة الدليل السياحي إم أمين، مررت بمقهى يعرض في صدر صالته الرئيسة صورة الشيخ أحمد ياسين، المؤسس الراحل لحركة ((هماس)). ((يكن مسلمو سنغافورة للشيخ أحمد تقديراً كبيراً))، يقول أمين، صاحب الثقافة الجيدة والمطلع على شؤون الشرق الأوسط وشجونه. ((يرون فيه رمزاً مقاوماً أكثر منه رجل دين)).

وفي الشارع محال تبيع ألبومات موسيقية عربية وثياباً وعطوراً ومشغولات يدوية. وثمة مقاه صغيرة بدأت تنتشر فيه، تقدم النارجيلة وبعض المأكولات العربية. ويغلب على العاملين العنصر الملاوي والهندي، مع بعض الآتين من الهند والنيبال ودول فقيرة أخرى في الهند الصينية وجوارها سعياً وراء لقمة عيش. وفي سنغافورة يصعب الحصول على إجازة عمل، وفقاً لأمين. ((لكن ما أن تضع الإجازة في جيبك، حتى تجد أن المكان يؤمن لك حقوقاً كثيرة)).

خدمات جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة

لصالح المجتمع

وإليك قائمة البيانات لنشاطات الجمعية وخدماتها التي تقدمها لصالح أعضائها والمجتمع الإسلامي:

- ١ - تقديم دروس إسلامية لجميع المراحل في تلاوة القرآن الكريم وتفسيره وتجويده وفن الكتابة على الآلة الكاتبة ودروس اللغة العربية والإنجليزية والمندراية.
- ٢ - دروس اللغة العربية بالمراسلة بواسطة اللغتين الملايوية والإنجليزية حتى يتمكن الدارسون من المسلمين المحليين وغيرهم متابعتها لفهم لغة القرآن.
- ٣ - إقامة ندوات إسلامية في منتصف كل شهر للناشئين ليتلقوا دروساً في علوم التوحيد والفقه والتصوف (الأخلاق) لمدة ثلاث ليال متتالية.
- ٤ - تقديم دروس خاصة في تأدية مناسك الحج ومساعدة الحجاج في الحصول على التأشيرة.
- ٥ - إيجاد فصل خاص في تعليم الكتابة على الآلة الكاتبة تحت إشراف مدرس أخصائي.
- ٦ - إيجاد فصل خاص للمكفوفين وتعليمهم فن تلاوة القرآن الكريم بواسطة حروف البريل.
- ٧ - تعليم اللغة العربية بمعمل اللغة للطلبة تيسيراً لهم في إجادة اللغة التي يدرسونها.

- ٨- إيجاد فصول خاصة لإخواننا الجدد في تعليم مبادئ الإسلام عملياً وتوزع لهم كتيبات وأشرطة للمراجعة وتستخدم الفصول أيضاً كمركز التسجيل للراغبين في اعتناق بالإسلام منذ (٥٠) عاماً.
- ٩- إعداد مكتبة مليئة بآلاف من الكتب العلمية والإسلامية تعار للجميع ماعدا الكتب المرجعية ولديها تيسيرات أخرى كالاستماع إلى محاضرات دينية قيّمة بواسطة الكسيتات والفيديو.
- ١٠- إيجاد زاوية الأطفال داخل المكتبة تهدف إلى ترغيب الأطفال في ممارسة القراءة والمطالعة ورفع معنوياتهم ليكونوا مواطنين صالحين لخير الأمة والوطن.
- ١١- إيجاد فصل روضة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣-٥ سنوات من أعمارهم.
- ١٢- إعداد المدرسين الأكفاء للتدريس في المدارس وأماكن كثيرة، وبعث المحاضرين من الدعاة إلى مجالس العلم.
- ١٣- إقامة المحاضرات الدينية التي يقوم بإلقائها الدعاة المحليون وغيرهم لخير المسلمين.
- ١٤- البحث عن منح دراسية من بعض الدول الإسلامية وتوزيعها على الطلاب الأكفاء من أبناء المسلمين لالتحاقهم في جامعات إسلامية ومعاهد دينية عالية.
- ١٥- تقديم الخدمات الطبية لعلاج المرضى تحت إشراف طبيب أخصائي يعمل يوماً كاملاً، وشؤون الختان، والعلاج بالخز بالإبر كل مساء

يومي الاثنين والخميس، ويتطوع أيضاً غير المذكورين للخدمات العيادية والطبية عدد من الأطباء والممرضات.

١٦- إيجاد العيادة المتخصصة لعلاج الرمد يشرف عليها طبيب أخصائي في العيون يعمل بالمستشفى العام بسنغافورة ويتكرم بتقديم خدماته في الجمعية تطوعاً من الساعة العاشرة صباحاً إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً.

١٧- مكتب الاستشارات القانونية يقوم بتقديم النصائح والمشورة في شتى القضايا للجميع ويقدم فيه بعض المحامين المتطوعين دروساً كل يوم السبت من الساعة الثالثة إلى الخامسة مساءً ويوم الأربعاء من الساعة السادسة إلى السابعة والنصف مساءً.

١٨- مكتب شؤون الخدمات الخيرية يقدم مساعدات غذائية شهرياً لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل، ويقوم بترتيب الزيارات لعودة المرضى في المستشفيات.

١٩- إقامة الحفلات السنوية للأعياد بين الأطفال وفي مقدمتهم الأطفال في المساكن والديار الخيرية.

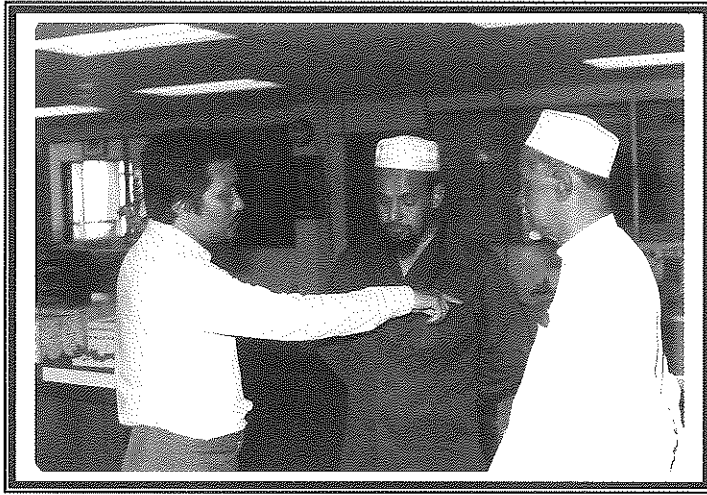
٢٠- قسم الشباب يقوم بإقامة الندوات والمحاضرات الصباحية والإشراف على بعض أنواع الرياضة في أوساط الشباب لجمع المال لصالح صندوق البناية الجديدة للجمعية.

٢١- قسم السيدات يقدم الخدمات في تنظيم الندوات وفصول خاصة بالشؤون المنزلية كالطهي والخياطة والتطريز كما يقيم الأسواق الخيرية لجمع المال لصالح صندوق البناية الجديدة للجمعية.

٢٢- خدمة المواصلات وتقوم حافلات كبيرة لنقل الجنائز وحافلات أخرى صغيرة للخدمات العامة بأسعار رمزية في مختلف المناسبات.

٢٣- مكتب العلاقات الخارجية والإعلام والطباعة يقوم بطبع ونشر كتيبات في البحوث الإسلامية، ومجلة شهرية، صوت الإسلام ونشرات الجمعية.

أخي المسلم، فبمساعتك الجلييلة سنكرس جهودنا في مضاعفة مساعيها لتوسيع مجالاتها لخير الإسلام والمسلمين.
إن خدمة الجمعية لصالح الأمة وتقدمها.



إسماعيل بن عتيق في سنغافورة

(١٩) تايلاند

في ١٥ / ١٠ / ١٤٠١ هـ تمت زيارتي لتايلاند، وفي مقدمة من زرت:
أولاً: الشيخ محمد بن صالح، ويدعى شيخ الإسلام، وهو منصب
تقليدي في تايلاند منذ ٥ قرون، مات الشيخ السابق إسماعيل يحيى الذي
عاش ٩١ عاماً منها ٣٠ سنة في مشيخة الإسلام في تايلاند. درس الشيخ
محمد بن صالح بالحرم المكي في حلقات التعليم لدى الشيخ علوي المالكي
وهو المدير والمشرف على مدرسة مفتاح العلوم هنأناه بمنصبه الجديد،
وكان بمعيتي الشيخ علي عيسى، ووعد أن يكون في خدمة الإسلام
والمسلمين والمعروف أن هذا المنصب اختيار ورضى الحكومة عن الشخص
المنتخب ولا يشكون في مسالته للدولة في حدود.

ثانياً: ومما زرت في هذه الجولة "مفتاح العلوم" مدرسة عربية أهلية
عربية إسلامية مضي على تأسيسها ما يزيد عن ٣٠ عاماً أهدافها خدمة
العلوم الشرعية واللغة العربية.

ثالثاً: مؤتمر المعلمين تأسس عام ١٩٥٤م وسجل لدى الحكومة
يهدف هذا المؤتمر إلى تضامن المدارس العربية وتعاون المدرسين والقيام
بالنشاط التعليمي والاتصال بالجهات الرسمية وغيرها.

رابعاً: مؤسسة دار الإحسان تقع من الناحية الشرقية الشمالية من
مدينة بانكوك المسجد تم بناؤه وافتتاحه وهو من طابقين الأرضي

للمحاضرات والأعلى مسجد للرجال والنساء، عُمر هذا المسجد بجهود الأخ الشيخ علي عيسى وأقاربه من جهة زوجته التايلندية، ويتبع لهذا المسجد إدارة تقوم على طبع مجلة شهرية باللغة التايلندية وتدرس القرآن الكريم في عطلة الأسبوع السبت.

خامساً: جمعية أنصار السنة كَوَّن هذه الجمعية عبد الرحمن حسن كريمي كان موظفاً في السفارة السعودية التقى بالشيخ حامد الفقي بمصر فتأثر بدعوته. تعمل جمعية أنصار السنة على نطاق ضيق، لديها مسجد قام ببنائه الملك الخامس في تايلند قبل مائتي سنة، اجتمعت بالأخوة أنصار السنة بمسجدهم وتحثنا إليهم عن وجوب العمل تحت هذا الشعار أنصار السنة.

سادساً: جمعية الإصلاح برئاسة الشيخ عبد السلام، وهي وأنصار السنة شئ واحد بالعمل الإسلامي.

سابعاً: جمعية خريجي الجامعات والمعاهد العربية. كان أول مشروع قامت به هذه الجمعية هي ترجمة وطبع معاني القرآن الكريم باللغة التايلندية.

ثامناً: مدرسة دار العلوم. تبعد عن العاصمة ٨٥ كيلومتر شرقي شمال بانكوك على حدود كمبوديا، تقوم بالتدريس وفق المنهج السلفي، وهي إعدادي وثنوي بها مائة وعشرون طالباً.

تاسعاً: المعهد العلمي الديني : يدير هذا المعهد الشيخ عمران عبدالكريم مألودي، ويبعد عن العاصمة ٣٠ كيلو.

عاشراً: المركز الإسلامي في بانكوك. مشروع بدأ به المسلمون منذ أكثر من عشر سنوات ولا يزال في طور التعمير وهو يباهي في تصميمه الهندسي المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا مكتمل الخدمات للمسلمين وليس مقصوراً على أداء الصلوات المفروضة.

حادي عشر: جمعية سوسيائي للخدمة الاجتماعية. من أقدم الجمعيات في تايلند، مضى على تأسيسها أكثر من ٤٠ سنة.

هذه نماذج من الأنشطة الإسلامية في تايلاند، ورغم أن الدولة الحاكمة تشد وطأتها على المسلمين في الجنوب إلا أن العمل في الشمال يقوم على أشده باستشعار المسلمين بأنهم أقلية ويجب أن يكون لهم دور فعال في خدمة دينهم. وقد تعذر زيارة فطاني جنوب تايلاند لوجود حساسية قوية من قيام تحريك فوري أو إمداد مادي للنشاط للفطاني من زائر عربي لما نظن أنهم بخير وعلى خير إن شاء الله. أخلص من هذا إلا أن تايلاند مملكة في جنوب شرق آسيا يحدها شمالاً جمهورية لادسي وجنوباً اتحاد ماليزيا وشرقاً جمهورية كمبوديا وخليج تايلاند وغرباً جمهورية بورما ويبلغ سكانها ٤٥ مليوناً والنسبة الكبيرة للمسلمين يسكنون بالمحافظات الجنوبية، وقد وصل الإسلام إلى تايلاند أوائل القرن الثالث عشر ميلادي. ومن أهم المساجد في تايلاند بانكوك :

أولاً: مسجد أنصار السنة.

ثانياً: مسجد هداية الإسلام.

ثالثاً: مسجد دار أمان.

رابعاً: مسجد نور الإسلام.

خامساً: مسجد المهاجرين.

سادساً: مسجد فتح الباري.

هذا وقد لا أكتف سرّاً إذا قلت: إن العرب أرباب السياحة وقاتلو الوقت في تايلاند وبالأخص بانكوك أعطو سلوكاً يسئ للعرب والخليجين لما تستقبله بانكوك من شباب لا يعبأون بالقيم والأخلاق. سألني أحدهم وأنا بالطائرة: إلى أين؟ وقلت بانكوك وكان متعجباً: أمثلك يذهب إلى هذه البلاد وقد شعرت دولتنا المباركة لهذا أو أكثره وحصل انفصام جزئ بين المملكة وتايلاند لهذه الأسباب. وفيما يلي مقال نشر في مجلة البيان تحت عنوان (المسلمون في تايلاند).

المسلمون في تايلاند

يزيد التعداد السكاني لـ ((تايلاند)) على خمس وأربعين مليون نسمة، يدين أكثرهم بالبوذية الهندية، وتتراوح نسبة المسلمين هناك ما بين ١٠ - ١٥٪ من إجمالي عدد السكان. وترجع أصول معظمهم إلى منطقة ((فطاني)) التي عُرِفَت تاريخياً بأنها كانت مملكة إسلامية مستقلة على

الحدود الجنوبية لمملكة سيام التي تغير اسمها إلى تايلاند في منتصف القرن الماضي. وقد سعى المسلمون هناك إلى استعادة مملكتهم طوال العقود الماضية.

وفطاني: هي المنطقة الواقعة بين ماليزيا وتايلاند، ويرجع أصل سكانها إلى المجموعة الملاوية، ويتكلمون اللغة الملاوية ويكتبونها بأحرف عربية.

وتُحدد التقديرات السكانية عند المسلمين في تايلاند بخمسة ملايين مسلم. وتبلغ نسبة المسلمين في فطاني أكثر من ٨٠٪. ويزيد عدد سكان ((فطاني)) عن ٣٥ مليون نسمة. كما يعيش عدد كبير من المسلمين أيضاً في شمال تايلاند، وهم المسلمون من الأصل الصيني والبورمي. كما يعيش في وسط تايلاند المسلمون من الأصول الكمبودية والهندية والإندونيسية والعربية والإيرانية.

يذكر الفيس بوك (موقع الاستخبارات الأمريكية) أن إجمالي عدد السكان حوالي ٤٥ مليون نسمة، ونسب توزع الأديان كالآتي: البوذية: ٩٤٦٪، والمسلمون: ٤٦٪، والصينيون: ٧٪، والآخرين: ١٠٪. وتوزع الأجناس كالآتي: التاي: ٧٥٪، والصينيون: ١٤٪، والآخرين: ١١٪.

أما اللغات فهي: التاي، الإنجليزية، لهجات قومية.

ويوجد في تايلاند حوالي ٢٥٠٠ مسجد ومصلًى، ويوم في بانكوك المركز الإسلامي الوحيد في تايلاند، ويوجد العديد من الجمعيات والهيئات الخيرية والمدارس الابتدائية الإسلامية، وبعض المدارس ملحقة بالمساجد، وهناك مدارس إسلامية صيفية.

وتتدخل الحكومة في الإشراف على التعليم الديني، وترغم المدارس الإسلامية على قبول غير المسلمين فيها، وتفرض عليهم العلوم التايلاندية. وتمت ترجمة معاني القرآن إلى لغة التاي، وفي جنوب تايلاند تُستخدم التراجم الماليزية للكتب الإسلامية، كما طُبعت نسخ عربية من القرآن الكريم في تايلاند، والحاجة ماسة لترجمة الكتب الإسلامية إلى لغة التاي. وفي تايلاند جريدتان إسلاميتان شهيرتان:

إحدهما: تصدرها رابطة العالم الإسلامي وتسمى (الرابطة).
والثانية: كانت تسمى الجهاد، وقد توقفت.

وتبرز تحديات عديدة ضد المسلمين في فطاني خاصة: حيث تحاول السلطات البوذية التايلاندية إضعاف شوكة المسلمين وإذابتهم في الكيان التايلاندي، ومن هذه التحديات:

- تغيير أسماء المسلمين وتغيير أسماء القرى والولايات وإلغاء حجاب المرأة.

- الهجرة إلى فطاني: حيث تهجر السلطات التايلانديين البوذيين إلى فطاني للحد من الأغلبية المسلمة.

- إضعاف اقتصاديات المناطق المسلمة: وذلك بتمليك أخصب الأراضي للبوذيين.

- محاربة التعليم الإسلامي: من خلال محاولة فرض اللغة التايلاندية في الدواوين الحكومية.

- الدس الرخيص في تزيف الكتب الإسلامية.

- تشجيع البعثات التنصيرية للعمل في البلاد.

وقد تعلق آمال المسلمين في جنوب تايلاند بحكومة الانقلاب العسكري التي أزاحت ((تاكسين شيناواترا)) رئيس الوزراء الملياردير الطاغية في عام ٢٠٠٨م: حيث وعدت حكومة الانقلاب بتحسين أحوال المسلمين والنظر في مسألة الحكم الذاتي ووقف الاعتداءات من الأكثرية البوذية، وقد كان لبعض الأعضاء المسلمين في المجلس العسكري الحاكم دور في هذا التحول، واستبشر المسلمون عندما قدّم رئيس الوزراء الجديد اعتذاراً رسمياً لهم عن بطش الحكومة السابقة بهم، وبيدء في محادثات مع قادتهم بخصوص المطالب التي ينادون بها.

لكن ما حدث هو عكس ذلك تماماً؛ حيث زادت حوادث القتل والاعتداء والبطش بالمسلمين من قبل الجيش والأقلية البوذية في الجنوب؛ فمن الانقلاب العسكري قُتل أكثر من ألفي شخص معظمهم أطفال ونساء وشيوخ، وهو الأمر الذي دفع بعضهم إلى القول بأنه بعد مرور أكثر من ستة أشهر على الانقلاب العسكري الذي تبنّى قاداته توجهاً مَرِناً مع

الانفصاليين المسلمين، حان الوقت للتخلي عن هذا التوجه والعودة إلى سياسة البطش السابقة؛ وهو ما دفع ملكة تايلاند للتخلي عن حياديتها وتوجيهها نداءً للحكومة لحثهم على توفير الأمن للمدنيين العزل في الجنوب أو تسليحهم وتدريبهم للدفاع عن أنفسهم؛ ولكن هذا التوجه الذي يراه بعض الناس منطقياً وعادلاً ويستهدف وضع حلول عملية تساعد المدنيين العزل، لا يخلو من مخاطر، أهمها: أنه يكرس النزاعات الطائفية بين الأغلبية المسلمة التي تسكن الجنوب والأقلية البوذية التي ترى نفسها مستهدفة أيضاً من قبل الانفصاليين.

المصادر والمراجع

- FACT BOOK .

- الأقليات الإسلامية في آسيا وأستراليا، سيد عبدالمجيد أبو بكر،
رابطة العالم الإسلامي.

- موقع المسلمين في تايلاند:

WWW.MUSLIMTHIL.COM

- وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (نبا).

- الجزيرة نت.

- إسلام أون لاين.

- المسلمون في تايلاند وقصة المعاناة والألم، د. إسماعيل علي (عميد

كلية الدراسات الإسلامية بجامعة برينس أوف سونجيكلا بفطاني) بحث
في موقع المسلمون في تايلاند.

وممن عرفت في تايلاند

الشيخ علي عيسى

مصري الولادة والنشأة تايلندي الجنسية والإقامة

انتقل الشيخ علي عيسى من مصر إلى تايلاند بانكوك وتزوج من أسرة عريقة في تايلاند، وأسس جمعية أسماها جمعية أنصار السنة، وقد قام أبو زوجته ببناء مسجد ضخم في ضاحية من ضواحي بانكوك واتخذ من المسجد مركزاً للنشاط وتحركاته الدينية الدعوية، قابلت الشيخ في بانكوك عام ١٣٩٥هـ واستضافني في مركزه وبقيت معه مدة من الزمن نتجاذب الأفكار والأحاديث في محيط الدعوة والعقيدة، وكان سلفياً بالطبع إلا أنه يفضل العمل الانفرادي غير الجماعي مع مسلمي تايلاند إلا من يأتي معه بالتبعية، فلذا كان بينه وبين مسلمي فطاني فجوة واسعة اتهمه الطرف الثاني بميله للحكومة ومحاولة صرف العرب عن مساعدة مجاهدي فطاني.

والحقيقة ليست كذلك، فالشيخ علي عيسى متجنس ليس من أهل تايلاند أصلاً، ومن سكان عاصمة تايلاند، وممن صاهر أعيانها، فلذا لا يرى لنفسه دوراً في سياسة بلد هو غريب فيها، وقد قام الشيخ علي عيسى بترجمة كتب كثيرة إلى اللغة التايلندية من اللغة العربية، وكلها تدور حول العقيدة والأخلاق غير السياسة والحكم، وللشيخ علي عيسى أسلوبه الخاص في كسب المؤيدين والمناصرين له من تايلاند وخارجها، فكان على

صلة وثيقة برابطة العالم الإسلامي إلا أنه ليس عضواً فيها، كما كان يتردد على زيارة بعض الأمراء في المملكة، ومنهم الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

أما في تايلاند فكانت صلته بشيخ الإسلام صلة المودة والاحترام والتقدير، ومنصب شيخ الإسلام في تايلاند منصب تقليدي ترشحه الدولة ليبقى رمزاً للمسلمين، ويكون همزة وصل بين المسلمين والحكومة، ومن المعلوم أن الحكومة في تايلاند ملكية بوزية تهتم بالتقاليد، وتتوارث ما هو معمول به في تاريخها الطويل، ومن ذلك منصب شيخ الإسلام الذي أخذه المسلمون من الحكومة العثمانية، مما هو جارٍ في تقاليدها أيام الخلافة العثمانية إلى أن أصبحت دولة علمانية تنكر كل شيء عن الإسلام.

نعود إلى الحديث عن الشيخ علي عيسى المصري الذي أفاد بلاد تايلاند وبالأخص العاصمة بانكوك، وكان له الدور البارز في توضيح منهج أهل السنة والجماعة في توحيد العبادة والأسماء والصفات، بل وبُعدهم عن الطرق الصوفية، وتقديس المقابر وتعظيم الوثنية، إلا أن تأثيره ببطء فهو لا يرى الحماسة والاندفاع ولكنه مؤسس على الأصوليات والكليات في الدين، وقد أسمى مسجده (الإيمان) فكان يطمع إلى تعريف الناس الإيمان بالله وبما تضمنه القرآن والسنة في التوجيه العقدي الصحيح وهو التعبد الشرعي المطابق للسنة، أما مجال السياسة والحكم والإدارة فهو

في منأى عن هذا كله، وقد قيل: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه، فهو لا يريد أن يزوج نفسه وتلامذته في تيارات السياسة والحكومة ولذا اقتصر نشاطه على ما ذكر.

تكرر اللقاء بالشيخ علي عيسى في الرياض وفي مكة المكرمة فكان ذلك الرجل الذي لا يتغير في فرحه ومرحه وبشاشته وأسلوبه البياني وتذله لمخاطبه، وكثرة الدعوات التي يطلقها على من يخاطبه كقوله: رعاك الله، وحفظك الله، وهكذا. فإن البيئة المناخية في تايلاند تعطي الداعي أسلوباً من أساليب الدعوة وهو الافتقار والرغبة في التأثير على الغير بذلك الأسلوب المتواضع إلى حد التذلل والافتقار، ولا يُلام الشيخ علي عيسى فيما انطبعت عليه أخلاقه، فقد كسب الكثير بهذا الأسلوب، ولهذا يمكن أن نصف ذلك الخلق بالداعية المستجدي بخدمة دينه وأمتة الإسلامية، وقد يُظن أن فيه إهانةً وتحقيراً إلا أن المهم النتيجة والفائدة ما لم يكن الأسلوب فيه معصية ومخالفة لشرعة الله عز وجل.

أختم القول عن الشيخ علي عيسى بأنه رجل الدعوة والفتنة، قد أصفه بالإمام لأهل السنة والجماعة في تلك البلاد التي غطت عليها سحابة الظلمات من الشهوات والشبهات، فتايلاند مسرح الفجور، والحكم فيها للبوذيين من التايلنديين والصينيين.

هذا والله أعلم وصلى الله على محمد.

(٢٠) الفلبين

حين أشرق نور الإسلام على الجزيرة العربية انتشر ضوؤه على ما حوله ولمعت أشعته في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً وكان قوم من العلويون يقال لهم الأشراف فروا من بني أمية أو الحجاج خوفاً، وكان طريقهم من حضرموت ثم الهند إلى جزر الشرق قدم الشريف مخدوم إلى جزيرة ماندناو سنة ٧٨٥هـ وكان ذا علم وبصيرة ومنزلة عظيمة في الزهد والورع، كما أن الشريف أبا بكر قدم سنة ٨٥٤هـ وهو أول من أسس الحكومة الإسلامية في جزيرة سولو اعتلى سولو العرش سنة ٨٥٤ وتوجه إلى تدبير أمور الدولة. هذه أسطر مما كتبه العالم الفاضل الشيخ أحمد بشير مؤسس جمعية إقامة الإسلام في مندناو في الفلبين، وقد كان لهذا العالم اليد الطولى في تبني التعليم النظامي في جنوب الفلبين، وله تواصل مع المملكة العربية السعودية ورجالات الدعوة فيها. قابلته وتحديث إليه واستفاد وأفاد، وقد أمر الملك خالد بمبلغ مليون ريال لدعم جمعيته بشراء مطبعة عربية لطباعة الكتب الإسلامية والعربية، زرت الفلبين مراراً مع أحد الدعاة إلى الله التابعين للإفتاء ومراقبة سير عملهم وقد قام الأخ المشرف على الدعاة بإعداد تقرير تفصيلي عن زيارتي للفلبين، أكتفي بما كتب.

قال:

برامج الزيارة لفضيلة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق مدير إدارة الدعوة في الخارج المساعد ورئيس الدعاة في آسيا في الفلبين جزيرة مينداناو بالفلبين.

يوم الاثنين : وصل فضيلته إلى مطار كغيان في الساعة العاشرة والنصف ونزل في أمباسادور هتيل في كغيان، وفي هذا اليوم قام بزيارة مسجد كغيان، ومعهد أورو الإسلامي بمدينة كغيان.

يوم الثلاثاء: في الساعة السادسة والنصف صباح يوم الثلاثاء ركب على السيارة الصغيرة مع محمد صالح عثمان إلى مدينة مراوى، وقد وصلت السيارة إلى المدينة المذكورة في الساعة التاسعة إلا الربع. وبعد أن تناول وجبة الإفطار قام فضيلته بالتجول في إدارات الجمعية جمعية إقامة الإسلام ومعهد مينداناو العربي وبعض فصول المعهد المذكور وفصلين بكلية المعلمين التابعة للجمعية المذكورة.

ثم قام بزيارة كل من : ١ - كلية فانجارو نجان. ٢ - معهد المحسنين الإسلامي بجوار معهد ماريناوت الملاصق بالمسجد. ٣ - معهد مراوي الإسلامي. ٤ - مستشفى الصداقة بين الفلبين وليبيا. ٥ - معهد العلوم الإسلامية. ثم تناول وجبة الغداء في دار الضيافة لجمعية إقامة الإسلام.

وفي وقت العصر أدى الفريضة في مسجد الملك فيصل بحي جامعة ميندانو الحكومية، وبعد أداء الصلاة ألقى محاضرة في موضوع التقوى ووجوب أداء الصلاة جماعة. وقد أجاد وأفاد في هذا الموضوع، ثم أجاب دعوة السيد سان سيلور سليغدا تمانو إلى بيته فقدم إليه ورفقاء فضيلته بعضاً من الفواكه والثمار، ثم تجول فضيلته في بعض الأماكن في الجامعة المذكورة.

وفي وقت المغرب أدى الفريضة في مسجد دار القرآن لجمعية إقامة الإسلام، وبعد أداء الصلاة ألقى الدرس على طريقة السؤال والجواب، وقد أفاد كذلك.

يوم الأربعاء : وفي الساعة الثامنة صباح يوم الأربعاء قام فضيلته بزيارة إسلام أكاديمي لجمعية إقامة الإسلام، ومسجد غناس، ومعهد غناس، وقد رافقه بعض من دعاة الرئاسة وبعض من دعاة الرابطة وبعض من دعاة جمعية الدعوة في ليبيا في مقدمتهم المشرف العام على الدعوة في الفلبين وفضيلة الشيخ أحمد بشير رئيس جمعية إقامة الإسلام بالفلبين. وقد ركب هؤلاء الدعاة على ثلاث سيارات صغيرة.

في هذه الزيارة التي قام بها فضيلة الشيخ إسماعيل بن عتيق قد مر بالمدارس والمساجد الآتي بيانا فيما يلي:

١- مدرسة الدين الإسلامي فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي بإليان مرانتولانو الجنوبي.

٢- مدرسة الأمراء فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي ببونجامدان ديغ مرانتو.

٣- مدرسة نور القرآن فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي إنوداران مرانتو.

٤- مدرسة الأقلية الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي بكاياوان مرانتو.

٥- مدرسة نور الإسلام فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي للابوان باليندونج.

٦- مدرسة الفلاح الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي بسوغ باليندونج.

٧- مدرسة الدعوة الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي ساليفونجان باليندونج.

٨- مدرسة نور الإسلام فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي لومبايو
باليندونج.

٩- مدرسة هداية الإسلام فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي
كرفان باليندونج.

١٠- مدرسة استعانة الإسلام فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي
سنديغان توغيا.

١١- معهد الفلاح الإسلامي توغيا لانو الجنوبي.

١٢- مسجد توغيا من أجمل المساجد في المحافظة.

١٣- مدرسة الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي كالان
باكولود.

١٤- مدرسة باكولود غرانديس باكولود غراندي لانو الجنوبي.

١٥- مدرسة الإرشادية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي باكولود
غراندي لانو الجنوبي.

١٦- مسجد باكولود من أجمل المساجد في محافظة لانو الجنوبي.

١٧- مدرسة الإسلامية فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي مدالم
لانو الجنوبي.

بعد زيارة فضيلته لمعهد غناس توجه إلى مسجد غناس لأداء صلاة الظهر وقبل أداء الصلاة ألقى فضيلته محاضرة في موضوع تكريم الله لبني آدم وتفضيله لخلقه. فذكر فضيلته سبب هذا التفضيل والتكريم لهذا النوع البشري كما ذكر سبب انحطاطه إن لم يقيم بأوامر الله فأتى بالأدلة القرآنية على ما ذكر ثم بين فضيلته أن الإنسان له أربعة أعداء:

الأول: إبليس اللعين، وهو أكبر أعداء الإنسان؛ لأنه يجري من بني آدم مجرى الدم.

الثاني: من أعداء الإنسان هو حب الدنيا وما فيها من المغريات.

الثالث: من هذه الأعداء للإنسان الهوى ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٤٣].

الرابع: من أعداء بني آدم هو النفس ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٣].

فأورد فضيلته الأدلة من الكتاب والسنة على ما ذكر من التوضيح والتوجيه ثم ختم محاضراته بوجوب التحرر من كل عبودية لغير الله عز وجل - وإنه أجاد وأفاد وأصاب.

بعد انتهاء محاضرة فضيلته نودي للصلاة ثم أقيم للصلاة فتقدم بعد أن ألحنا عليه فصلى بمن في المسجد، بعد الانتهاء من الصلاة اتجهنا إلى بيت صلاح الدين سلطان برات لتناول وجبة الغداء.

ثم ركبنا على اتلانز لزيارة فضيلته لمعهد بيندايان لانو الجنوبي ومرتنا على المدرستين اللتين أحرقهما جنود ماركوس السفاح اللعين وجميع البيوت التي في شاطئ البحيرة بقريتين ماغيلينج غناس ومكاغيلينج بيندايان كلها أحرقها جنود ماركوس، هذان المدرستان يقال لهما:

١ - مدرسة مرشد الاسم بمكاغيلينج غناس.

٢ - مدرسة الثقافة الإسلامية بمكاغيلينج بيندايان.

رست اتلانز إلى الشاطئ القريب للمسجد في بيندايان واستقبل فضيلته أهل بيندايان رجالاً ونساء أولاداً وبناتاً وفي وجوهم آيات من السرور والفرح والحبور لهذه الزيارة الأخوية الإسلامية فذهبنا إلى المعهد بعد أن قدموا لنا بعضاً من المشروبات والفواكه قام فضيلة الشيخ إسماعيل ابن عتيق بإلقاء محاضراته في موضوع فضل العلم وأثره في إصلاح الفرد والجماعة، وختم محاضرة فضيلته بالتواصي بالصبر وتقوى الله عز وجل والاستقامة على طاعته وعدم الخوف من أحد سوى الله فإنه لن يصيب أحد إلا ما كتب الله له وأن الله تعالى إذا رضي أعطى وإذا غضب منع. وأن الحوادث في العالم لا مجال لسترها ولا مفر من إظهارها في وسائل الإعلام من الجرائد اليومية والصحف الأسبوعية والتلفزيون وقد أحسن الوصف في هذا الصدد فأعجب هذا الحاضرين حيث التفوا ساحة المعهد فقد ساد في الاجتماع الهدوء والسكينة والطمأنينة حُباً لاستماع محاضرة الشيخ

إسماعيل بن سعد بن عتيق رئيس الدعاة المبعوثين في آسيا ومدير إدارة الدعوة في الخارج المساعد، وقد أجاد وأفاد وأحسن في جميع ما ألقاه من المحاضرات في هذه الزيارة الميمونة المباركة، أكثر الله أمثاله وأبقاه أخاً روحياً لإخوانه مسلمي الفلبين.

يوم الخميس: ٢٨ / ١٠ / ١٤٠١ هـ تحركت السيارة التي يركبها فضيلته هو والمشرف على الدعاة والشيخ أحمد بشير رئيس جمعية إقامة الإسلام والشيخ حسين مرانجيت مبعوث الليبية وسيارتان يركبهما بعض من مبعوثين من قبل الرئاسة ومن قبل جمعية الدعوة الإسلامية للجماهيرية الليبية والرابطة وبعض من علماء مدينة مراوي من دار الضيافة لجمعية إقامة الإسلام ذلك لزيارة فضيلته كل من المدارس العربية الإسلامية والمساجد في بلدية راماين وبلدية تراكاء وبلدية مولوندو وبلدية فونابابو وبلدية تام فاران وبلدية لومباء بيبابو.

سير الزيارة:

بدأ فضيلته بزيارة جامعة الفلبين بمدينة مراوي في الساعة السابعة والنصف ولم يجد فضيلته واحد من مسؤولي هذه الجامعة المذكورة ثم خرجنا واتجهنا إلى بلدية راماين ومر في طريقه بكل من:

- ١ - مسجد سوغود بمدينة مراوي.
- ٢ - مسجد فيفان الجنوبي بمدينة مراوي.
- ٣ - مسجد فيفان الشمالي بمدينة مراوي.
- ٤ - مسجد باريمبينجان بلدية راماين.

- ٥- مسجد فانجادافن بلدية راماين.
وفي طريقنا في هذه الزيارة مررنا بالجنود الحكومية يتجمعون جانب الطريق قرب محطاتهم الحراسية.
- ٦- نزل فضيلته في ساحة مدرسة الرشيدة بباغوا إنجد في بلدية راماين لاناو الجنوبي ثم اتجهنا إلى بعض المدارس فمررنا بمدارس العربية والمساجد كما يلي:
- ٧- مسجد داتوسارامين ببوا داباي بلدية راماين.
- ٨- مدرسة ناصر الإسلامية.
- ٩- مسجد دزان بلدية راماين.
- ١٠- مدرسة الفلاح براجوندينجان بلدية راماين.
- ١١- مسجد فجالونجان بلدية راماين.
- ١٢- معهد فجالونجان بلدية راماين.
- ١٣- مسجد بواباآن بلدية راماين.
- ١٤- مسجد منا كاب بوادي فوسو بنيتونج.
- ١٥- مدرسة بنتونج الإسلامية.
- ١٦- مدرسة الإسلامية غنا فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ١٧- معهد مولونندو الإسلامي فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ١٨- مسجد مولونندو بلدية مولونندو.

- ١٩- مسجد حاج أحمد. ومررنا كذلك بمركز تعسكر الجيوش الحكومية في هذه البلدية.
- ٢٠- معهد دار العلوم للابوآن تام فاران ويجانبه مسجد. وهذا المعهد المذكور قد تحصل على مساعدة من الرابطة بمكة المكرمة.
- ٢١- معهد فيوبلا سيون تام فاران بقربه مسجد وتاسهاماما.
- ٢٢- مسجد فجالونجان تام فاران.
- ٢٣- مدرسة التربية الإسلامية ميونداس بقربه مسجد ميونداس ومسجد لينك.
- ٢٤- مدرسة دار الخير الإسلامي لينك تام فاران فرع معهد ميندانو العربي الإسلامي.
- ٢٥- مدرسة الرحمانية الإسلامية لمباك انجد هذه المدرسة قد تحصل على مساعدة مالية من الرابطة بمكة المكرمة بمقدار (٢٠) ألف ريال سعودي أقيم دور الأول وبقي سقف الدور الثاني ونور المدرسة.
- ٢٦- معهد شريف لاوت الإسلامية كادايونان فؤنايبابو وبقرب هذا المعهد مسجد الشيخ لاوت وهو تاجر كبير المعروف في لاناو الجنوبي.
- ٢٧- مدرسة غادو نجان الاعدادية فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٢٨- مدرسة الخيرية الإسلامية فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.

- ٢٩- مدرسة لمباك الإسلامية غادونجان لمباء بيابو فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٣٠- مدرسة نور جديد الإسلامية تالوان لمباء بيابو فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي. وقد مر فضيلة الشيخ بعدة بيوت محروقة إضافة إلى أربعة مساجد وأربع مدارس أحرقها الجيش الحكومي وقد تقدر عدد هذه البيوت بما لا يقل عن ثلاثمائة بيتا في لمباء بيابو في محافظة لاناو الجنوبي بالفلبين.
- ٣١- مدرسة مجد جديد الإسلامية سلامان لمباء بيابو فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٣٢- مدرسة الإرشادية الإسلامية لمباك بكاياوان فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٣٣- مدرسة المؤلفة الإسلامية فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٣٤- مدرسة الخيرية ماريبو لمباء بيابو فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٣٥- مدرسة نور الإسلام ديليندونجان بيابو فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٣٦- مدرسة التربية الإسلامية الدينية فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٣٧- مدرسة ماديار فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.

- ٣٨- مدرسة الشيخ الرفاعي مديار فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٣٩- مدرسة الفلاح الإسلامية راغوندينجان فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٤٠- مدرسة الوردية الإسلامية لوم بتان بوادي فوسو بنتونج فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٤١- مدرسة الأمانة الإسلامية ملانغ واتو فرع معهد مينداناو العربي الإسلامي.
- ٤٢- معهد توغيا الإسلام توغيا لاناو الجنوبي الفلبين.
- ٤٣- مدرسة الإسلامية بكاياوان كاويان مراتتاو لاناو الجنوبي الفلبين.
- وقد ألقى الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق كلمة في إحدى المدارس المذكورة ببلدية لومبائ بياوا لاناو الجنوبي في موضوع (الرسول منقذ البشرية) بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على النبي الرحمة بدأ بذكر العناصر الأربعة من الأمم الذين اجتمعوا في المدينة المنورة في زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فهذه الأمم هي:
- ١- عنصر العرب يمثل أبو بكر الصديق وهو أول من أسلم.
- ٢- عنصر الفرس يمثل سلمان الفارسي الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت.
- ٣- عنصر الروم يمثل صهيب الرومي.
- ٤- عنصر الزنج الإفريقي يمثل بلال بن رباح الحبشي.

وذكر فضيلته أن هذه العناصر الأربعة يجمعهم كلمة التوحيد وهو قول : (لا إله إلا الله) وهم سواسية كأسنان المشط لا فرق بين أبيض وأسود ولا بين أصفر وأحمر إلا بالتقوى، فأورد في هذا الموضوع الأدلة النقلية من الكتاب والسنة.

ثم أخذ يتحدث في مجتمع أمريكي يتعاون بينه وبين مجتمع إسلامي في زمن الرسول فذكر فضيلته السيد محمد سرور الصبان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي سابقاً يوم أن زار أمريكا وهو رجل أسود فلم يسمح له صاحب الفندق أن ينزل إلى الفندق بدعوى أنه رجل أسمر (الأسود) ومن هنا تجلت نخوته العربية وغيرته الإسلامية فاشترى الفندق وكتب على بابه هذا فندق المسلم صالح للأسود والأبيض. وقد أثرت هذه المحاضرة في نفوس المستمعين وبالله التوفيق.

آخر الزيارة في يوم الخميس:

وفي الساعة الثالثة في يوم الخميس وصل فضيلته على مدينة مراوي عائداً من جولته الاستطلاعية فختم هذه الجولة بزيارة مسجد سبلايا ماناو بمدينة مراوي الذي سموه اليوم بمسجد مركز الملك خالد بن عبدالعزيز وبداخل المسجد دراسة العربية والدين الإسلامي على مستوى المرحلة الابتدائية.

وبعد صلاة العصر حضر فضيلته في اجتماع الدعاة من قبل الرئاسة وتحديث فضيلته في موضوع كله توجيه ونصيحة أخوية وتصفح أوراق تقارير في ملف لكل واحد منا.

ثم خرجنا إلى المسجد لأداء صلاة المغرب وبعد صلاة المغرب ركبنا السيارة الصغيرة لحضور دعوة كلية فكاسم وبعد أن تناولنا وجبة العشاء رجعنا إلى دار الضيافة في حي جمعية إقامة الإسلام.

وفي صباح يوم الجمعة ٢٩ / ١٠ / ١٤٠١ هـ والساعة السابعة والنصف ركبنا على السيارة الصغيرة إلى كاغيان وقد نزلنا إلى معهد ساغياران وألقى فضيلة الشيخ إسماعيل بن عتيق كلمة موجزة بعد أن قص الشريط افتتاحاً للمبنى الجديد للمعهد، وقد أجاد وأفاد الشيخ في كلمته.

وبعد أن انتهى من هذه الكلمة الإلقائية اتجهنا إلى كاغيان ونزلنا في فندق أمباسادور هوتيل في كاغيان ثم إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة فأذن فضيلة الشيخ للمشرف على الدعاة في الفلبين أن يلقي خطبة الجمعة وأن يصلي بالناس في مسجد كاغيان وبعد أداء فريضة الجمعة قام فضيلته ملقياً كلمة في موضوع (التعارف والتعاون) فأورد حكمة فرضية صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة العيدين والوقوف بجبل الرحمة (جبل عرفة) وإلى

غير ذلك مما يناسب الموضوع المذكور، وملخص القول أن فضيلة الشيخ
إسماعيل بن سعد بن عتيق قد أجاد وأفاد في جميع محاضراته التي ألقاها في
الأمكن خلال هذه الزيارة المباركة الميمونة التي بقي أثرها في قلوب إخوانه
في الفلبين، أكثر الله أمثاله ووفقه في كل ما يحبه ويرضاه آمين.

الداعية : محمد صالح عثمان

المشرف العام على الدعاة في الفلبين

وممن عرفت في الفلبين

أحمد بشير

أحمد من علماء الفلبين وقادتها الإصلاحيين، أسس جمعية إقامة الإسلام في مدينة مراوي (مندناو)، التقيت به في عام ١٣٩٨ هـ في مراوي بالفلبين، فرأيت الرجل الصالح المصلح المجدد لما اندثر من معالم الإسلام في بلده وبني جنسه من الفلبينيين، وقد امتاز الشيخ أحمد بشير بهدوء الطبع، وحكمة القول مع قلة في الكلام، وكثرة من الأعمال، فكان رحمه الله يقرع القلوب بنبرات صوته المنخفض، ويؤثر على النفوس بنظراته الحزينة على الإسلام والمسلمين.

ورغم وجود مقاومة ضد الحكومة الفلبينية من المسلمين إلا أنه بحكمته استطاع أن يشق طريقاً يرضي فيه المسلمين، ويكف شر الحكومة من التعرض لنشاطه ودعوته، وكان يتجه إلى تعليم الصغار والكبار من الذكور والإناث، وقد كانت له صلة قوية بالملكة العربية السعودية، وبالأخص رابطة العالم الإسلامي ورئاسة البحوث العلمية.

وقد استطاع بجهوده المباركة أن يخرج جيلاً إسلامياً سليم العقيدة واضح الاتجاه، لم تشبه شائبة البدعة، ومن هذا الجيل انتشروا في أنحاء الفلبين فأقاموا المدارس وعينوا الأئمة في المساجد.

وأخيراً وبواسطة الوزير السابق محمد عبده يمانى أمر الملك خالد رحمه الله، بمبلغ مليون دولار لشراء مطبعة تسلم لجمعية إقامة الإسلام في الفلبين، فقام الشيخ بشير بشراء مطبعة ضخمة في مانيلا عاصمة الفلبين، فكانت أول مطبعة عربية إسلامية نفع الله بها وسدّ بها ثغرة في طباعة الكتب المدرسية والمنهجية في مدارس جمعية إقامة الإسلام.

وقد امتدت الأيدي السعودية المحتسبة بالتآزر مع الدعاة في الفلبين، وأقاموا لهم أنشطة خيرية في مدينة مراوي وفي مدينة أخرى كالأخ الكريم الشيخ سعود العوشن وفضيلة الشيخ محمد ابن قعود والداعية الشيخ حمود اللاحم، وما زالت أعمالهم مستمرة، أما الشيخ بشير فقد انتهى به الأجل، وبقيت صحائف أعماله تملأ بتلك الحسنات التي غرسها وسقاها فبقيت تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

تكرر اللقاء بالشيخ محمد بشير في الرياض وفي مكة وفي الفلبين، وظلت الصلة به في مجال الدعوة والتوجيه، وكان كما ذكر عاملاً صامتاً، وموجهاً مرشداً، تستشف منه الرغبة في الزيادة والإفادة ممن يستمع إليه، ولكنه يعرف من نبرات صوته ومن بريق عينيه السباحة وعلمه بأكثر ما نقول له، لعل التجارب التي مر بها الشيخ بشير تعطيه أو أعطته علماً هو الإصغاء لكل ما يقال له من غير رد عليه، أو مجابهة بنقاش في رأي قابل للأخذ والعطاء، قام الشيخ محمد بشير بالدعوة في زمن لم يكن هناك من يتحرك، وفي نصف قرن تقريباً أينعت تلك الدعوة وأثمرت وما تزال.

دخلت سكن الشيخ بشير في مراوي فرأيت منزلاً خاوياً من الأثاث والفرش الذي ينبغي أن يكون مثله مع قدرته المالية، وكثرة أنصاره وأعوانه ولكنه بهذا يريد أن يعلم من عمل معه ضرورة التقشف والزهد والقناعة، وأنه لا اعتبار في الدنيا إلا بالعمل الصالح، ويمكن أن نصنف الشيخ أحمد بشير من الدعاة العمليين، وليس له فكر محرر أو توجه خاص أو دعوة إلى عقيدة غير ما عليه السلف.

ومن هذا الجانب أشبه بالمكمل والمتمم والمصلح على نهج من سبقه من علماء المسلمين ودعاة الخير والإصلاح، رغم محبته لدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب إلا أنه لا يظهر الانتماء لغير المذهب الفقهي الشافعي، كما أن علماء مكة وأعيانها يطمئنون إليه لصدقه ومحبته وتواضعه، وعدم إصراره على شيء يكون فيه مأخذاً وما يلام عليه، وهو أشبه بالماء الزلال الذي يتخلل في مسيره الهابط فتحات الصخور، فهو يمضي إلى حيث شاء ولا يلتفت إلى من يعكر صفو سيره، فهو ذو حكمة ورواية ودراية، والأهم من هذا كله هو إخلاصه الصادق، وبذله المتواصل حتى أتاه الله ما يريد أو بعض ما يريد، فعلى مثل هؤلاء العلماء تنهض الأمم، وتسود الشعوب بالعلم والتقوى، والله الهادي إلى سواء السبيل وهو ولي ذلك والقادر عليه، وصلى على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.





إسماعيل بن عتيق في الفلبين

(٢١) إيران

(أسبوع في طهران وجولة في مدينة قم)

وبعد أن ألقيت عصا التسيار بعد أن تجاوز سني العمر خمساً وستين عاماً أبت الإرادة إلا أن تعيد بي الذاكرة الرحبة الترحال والانتقال ففي الثاني والعشرين من شهر شوال عام ١٤٢١ هـ بسقت بنا الطائرة من الرياض إلى دبي أمضينا في الجو ساعة أو تزيد ومن دبي إلى طهران عاصمة الجمهورية الإيرانية وكان هبوطنا من الطائرة في ساعة ليل متأخرة صبيحة يوم الجمعة، وقد سبق مهاتفة بعض الأصحاب في طهران للاستقبال والإرشاد من منسوبي سفارة المملكة العربية السعودية في طهران، فكان كما وعد، حيث امتطينا مركبته إلى المدينة العاصمة في جو بارد، ومع تأخرنا في الوصول فقد رأينا الشوارع مكتظة بالسيارات والحركة حتى وصلنا إلى منزل صاحبنا، وفي الصباح الباكر أعددتنا البرنامج لهذه الرحلة الاستطلاعية عن مآثر علماء الإسلام والقادة الأعلام ممن كانوا يقطنون هذه البلاد في غابر الأحقاب من أهل السنة غير أن المفاجأة التي لا تحمد عدم وجود مسجد لأهل السنة والجماعة في مدينة طهران التي ينيف عدد سكانها على ١٢ مليوناً فكان أول خطوة دلفنا إلى شقة صغيرة استأجرها بعض منسوبي السفارة السعودية تطوعاً لتكون هذه الشقة ملتقى المسلمين يوم الجمعة ليؤدوا صلاتهم ويلتقون في عيدهم الأسبوعي، تقدم أحد

منسوبي السفارات العربية وخطب خطبتي الجمعة وصلى بنا إماماً وقد أئتم به ما يزيد على ١٥٠ مصلياً حمدنا الله على ذلك حيث التقينا بعدد من الإخوة الطيبين الغيورين والمحبين ممن يؤدون صلاة الجمعة إلا أن ما علق في الذهن أن طهران عاصمة جمهورية إسلامية لم تأخذ في الاعتبار من في طهران من أهل السنة والجماعة وليس لهم مسجد يقصدونه في صلواتهم الخمس ولا في يوم الجمعة ولو تقديراً وإكراماً لمشاعر منسوبي السفارات العربية وعددها ١٨ سفارة فضلاً عن الدول الإسلامية التي تتيّف على خمسين دولة.

خرجنا من الشقة وقد نسميها مسجداً مركزياً لأهل السنة في طهران إن صحت التسمية، ولكن هذا هو الموجود، عدنا إلى البحث عن المكتبات والكتب العربية والآثار الإسلامية من مخطوطات أو مطبوعات فلم أر جواباً ولم أهتم صواباً بل بادر الإخوة بكتب مسمومة بأفكار مدخولة هي قدح ولا مدح لأهل السنة والجماعة ولا أريد إيضاح أكثر من ذلك فالانفراج بين ما عليه أهل الملة الحنفية وبين ما عليه أهل التشيع أمر لا يجهله التاريخ وليس من الحكمة ولا من السياسة توسيع الانفراج لاسيما وأن التقارب يحدوا أمل القادة لمصالح سياسية واقتصادية وحسن جوار بينها وبين الدول العربية ونسأل الله التمام وحسن الختام.

نقطة ثالثة: ماذا سنرى في طهران؟ وما هو الذي يستحق التستطير عن عاصمة الجمهورية الإيرانية؟ تصفحت بعض الكتبات فكان فيها أن طهران القديمة إحدى القرى الواقعة خارج حدود مدينة ري الكبيرة، بعد أفول مدينة ري إثر حملات المغول بدأت طهران بالازدهار ففي عهد حكومة الملك طهما سب من سلالة الدولة الصفوية شيدت المدينة بسور مرتفع ثم وصلت إلى مقامها المرموق عندما استلمها غفور خان ابن الأمير كريم خان زند إلا أن يتوجه إلى شيراز وجعلها عاصمة للبلاد وبعد وفاة كريم خان زند انطلق محمد خان إلى طهران فاستولى عليها بعد حروب ضارية بينه وبين لطف علي خان رستم ثم أصبحت طهران عاصمة لبلاد فارس.

وماذا في طهران التي يسطر عنها دليل السائح العربي فيها حرم السيد عبدالعظيم الحسيني المعروف بشاة عبدالعظيم عليه السلام وفيها مرقد الإمام الخميني ومرقد السيد صالح المعروف بإمام زاده صالح ومرقد السيد داود المعروف بإمام زاده داود وحسينية جمران وهي القاعة المتواضعة التي كان الخميني يستقبل فيها أبناء الشعب ومتحف الدار المعمورة وقصور الشاة ومتحف إيران القديم ومتحف السجاد والتراث الخ ما ذكر من المنتزهات وحدائق الحيوانات والساحات والميادين كساحة فردوس وساحة ولي عصر لم أر ما يستحق الإشارة ويوجب التستطير ولهذا أكتفي بمشاهدتي القصيرة مع محادثة لبعض من التقيت به من العرب.

وفي يوم الأحد ٢٦ / ١٠ / ١٤٢١ هـ اتجهت بنا المركبة إلى مرقد الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية في إيران بني مرقد بعد وفاته على مساحة واسعة بطراز الهندسة المعمارية الإسلامية على الجانب الغربي من مقبرة الشهداء المقبرة التي دفن فيها آلاف الشهداء من أبناء الثورة منهم آية الله طلقاني ورئيس الجمهورية محمد علي رجائي هكذا عبارة ما كتب عن مرقد الخميني تبعد هذه المقابر عن طهران ٢٥ كيلو متر وقد ارتفعت المآذن على هذه القبة وحولها ساحات تسع للحجيج والزوار والعمل جاري على توسعته وتطويره وتجمع له الثورة الطائفة ليكون مزاراً وملتقى للمتعبدين حول هذا المقام، ومنها إلى مدينة قم التي تعتبر مدينة مقدسة ومركزاً دينياً هاماً حيث تحتضن مرقد فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر ومراقد كبار علماء الدين وكذا مقام الإمام الثاني عشر لدى الشيعة الإمامية المعروف بمسجد جمران الذي يقصده الزائرون لعبادة الله سبحانه وطلب الحوائج خصوصاً في مساء يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وفي مدينة قم توجد مراقد العلويين من أبناء الإمام علي بن الحسين وابن العباس عليهم السلام وإبراهيم المبرقع كما تضم مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي أن تعد من أكبر وأشمل المكتبات في إيران بما تحويه من كتب قيمة وأخرى خطية فريدة لا مثيل لها في العالم، تعد هذه المدينة مركزاً علمياً بالغ الشأن لما حوت إحدى أكبر الحوازيات العلمية في العالم الإسلامي لتخريج

علماء الدين والخطباء والعلماء والمؤلفين وبها مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ومن منشوراتها تحرير الوسيلة للإمام الخميني جزءان مضمونه تحرير مسائل الفقه من الطهارة إلى آخر أبواب الفقه، وقد دامت الجولة فيما يسمونه بالحوزة يعني المدرسة العلمية ذكر لنا من لقيناه أن تاريخ هذه المدرسة يزيد على ألف عام ولها أربعون فرعاً في مدينة قم تحتضن كثيراً من أبناء العالم الإسلامي للتحقق في الدين وإعطائهم الألقاب والإشارات الشيعية ليكونوا دعاة وهداة وفق المنهج الذي تعلموه في قم، وقد رأينا من الزخارف والنقوش ما يعيد الذاكرة إلى النقوش الإسلامية في الأندلس وفي اسطنبول، كما رأينا الحشود المتتابعة حول مقام فاطمة المعصومة كما زعموا رجالاً ونساءً وحول هذا المقام ساحات واسعة مما يدل على تكاثر الزائرين والمستشفعين والداعين حول هذا القبر، وإن مما يلفت الأنظار حجم القبر المرتفعة حتى ظننت أنها أضخم من قباب الصفاء والمرورة شرفها الله.

مدينة قم ليست بالكبيرة وليس فيها ازدحام في الطرقات، ولم يظهر لنا من مظاهرها العمرانية التقدم العمراني، وحول المدينة المذكورة على بعد ٤ كيلومتر ما يسمونه بمسجد جمركان المقدس، وقصة هذا المسجد أنه في عام ٣٧٣ رأى الشيخ حسن الجمكراني الناس يأتون إلى بيته ويقولون له: قم وأجب الإمام فإنه يطلبك ثم ذهبوا به إلى موقع ومسجد جمركان الحالي

قال فنظرت فإذا بي أرى سريراً عليه فراش وثير يستلقي عليه شاب في الثلاثين من عمره قد اتكأ على وسادة وقد جلس بجانبه شيخ كبير هذا الشيخ هو الخضر عليه السلام وقد أمره بالجلوس ودعاه المهدي باسمه ثم قال له: اذهب إلى حسن بن مسلم الذي يقوم بالزراعة في هذه الأنحاء وقل له: إن هذه الأرض مقدسة وشريفة وقد اصطفاها الله تعالى على سائر البقاع الأخرى ولا يجوز أن يزرع فيها بعد الآن إلى آخر ما سجلته الترهات المنامية والأحوال الخيالية مما جعل سواد الناس وعامتهم وقصارى النظر يصدقون هذه الأحلام ويجعلون فيها مكاناً مقدساً يحج له الناس ويقدسونه وقد سموه مقام الإمام المهدي الثاني عشر لهذه الرؤيا، وليتك ترى ما حوله من نساء زرافات ووحيداناً يجأرون بالدعاء ويلهثون حول هذا المقام، وقد أخبرنا من به أن في غرب هذا المقام بئر يأتيها أصحاب الحاجات لوصية من المهدي أن كل من له حاجة فليأتى إلى هذا البئر وليشرب من مائها وتقضى حاجته.

بحثنا عن المكتبة التي ذكر أن بها مخطوطات ومراجع عربية فلم نر سوى مكتبة تحتوي على ١٥٠٠ كتاب عربي وفارسي وليس فيها من القديم ما يستدعى ذكره انصرفنا بعد جولة قصيرة في مقام المهدي وعدنا إلى طهران بعد أن أنفقنا من وقتنا ست ساعات ذهاباً وإياباً حيث تبعد مدينة قم عن مقام الخميني ١٥٠ كيلو ومن طهران ١٧٥ كيلو وقد أخبرنا قائد

المركبة أن مطاراً جديداً على بعد ٥٠ كيلومتراً يعد مطاراً دولياً بطهران أسموه مطار الإمام الخميني، ومما يلفت الأنظار في طهران كثرة اللافتات باللغة الفارسية فقط وقليلاً من اللغة الأجنبية، وقد امتزجت اللغة الفارسية باللغة العربية امتزاج الملح بالماء فكانت اللغة العربية وبالحرف العربي مع اللغة الفارسية سهلة النطق والقراءة سيما وأن هناك كلمات عربية فصحي مألوفة ومختلطة باللغة الفارسية شأنها شأن اللغة الأردية ولا سيما المصطلحات الشرعية كتحية الإسلام من ذلك استعلامات بالفارسية اطلاعات الآن تنطق الآن المجلة تنطق مجلة المريض / مريض / مسجد ينطق مسجد جمارك - جمر ك ومثل ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء وهذا مما يسهل على الزائر والسائح قراءة اللافتات والاستدلال بها على ما تشير إليه. أما الزخارف والنقوش القديمة فحدث ولا حرج سيما في المساجد والمتاحف فإنها تعطي روعة الفن الإسلامي القديم مما يذكر بالأندلس وبتركيا والتي كانت تتحاشى ما يشير إلى الصليبان ويرمز إلى معالم وثنية بل كلها نقوش وزخارف غاية في الفن والإبداع. هذه جولتنا الأسبوعية في طهران وقد أرشدنا من سألناه عن تقدم الطب البشري في إيران عامة وفي طهران خاصة في العيون والعظام والمسالك البولية.

ولعل القارئ يستنطق الكاتب عن إيران عموماً ولو فيها استقرأه واستملاه فأقول: تبلغ مساحة جمهورية إيران الإسلامية ١٦٤٨٩٥ كيلو

متراً مربعاً وتشكل المناطق الجبلية ٥٠٪ من أراضيها والمناطق الصحراوية ٢٥٪ أما الأراضي الزراعية فتصل ٢٥٪ تقع إيران في الجنوب الغربي من قارة آسيا، وهي بمثابة حلقة وصل بين الشرق والغرب، تجاورها على طول الحدود الشمالية جمهوريات أرمينيا وأذربيجان وتركمنستان، ولها واجهة بحرية على امتداد بحر قزوين.

تحيطها من الشرق أفغانستان وباكستان، ومن الغرب تركيا والعراق، ومن الجنوب سواحل الخليج وبحر عمان وبالإضافة إلى ذلك عدد من الجزر الكبيرة والصغيرة التابعة لها.

أما السكان فيبلغ عددهم أكثر من ٦٠ مليون نسمة من مختلف القوميات، منها الفارسية التي تشكل ٤٥٪ من سكانها، والتركية ١٧٪ والكردية ٩٪ والعربية ٢٥٪ أما الديانة الرسمية في البلاد فهي الإسلام حيث يشكل المسلمون ٩٨٪ بينما يشكل المسيحيون واليهود والزرادشت والديانات الأخرى ٢٪.

ومن أهم مدنها:

مشهد: التي عرفت قديماً باسم سناباد وكانت قرية صغيرة بالقرب من مدينة طوس التاريخية وسميت بمشهد المقدسة نسبة إلى مشهد الإمام الرضا الذي استشهد عام ٢٠٣ وهو الثامن من أئمة الإثني عشرية وفيها من المشاهد والمآذن قبر الشيخ الطبرسي صاحب تفسير البيان ومزار خواجه

ربيع ومرقد الإمام علي ابن موسى الذي يعتبر بناءه الشاهق من أكبر وأرقى نماذج الفن المعماري.

وظاهرة المزارات والمشاهد في إيران ظاهرة طبيعية لا تكاد تنظر إلا وتجد هذه المشاهد تذر بالزوار والمستشفعين بها من رجال ونساء.

ومن مدن إيران المهمة أصفهان: أنشئت على منحدر صخري يقع على الجانب الشرقي لجبال زاخروس يروى أن بناء مدينة أصفهان يرجع إلى الملك كيكاسوس.

وفي العام العشرين هجري دخل المسلمون مدينة أصفهان فعمت فيها الحضارة والفن الإسلامي فاستمرت قيادة الازدهار والنمو بحجم أكبر وفي عام ٣٠١ على عهد الساميين وبعدها أصبحت عاصمة للدولة السلجوقية. وتعتبر أصفهان من أهم المراكز الاقتصادية في إيران.

كما أن من أهم المدن: شيراز عروسة المدن في إيران كما زعموها وهي مركز لمحافظة فارس وتقع في بقعة خضراء من الجبل المسمى الله أكبر.

ومن المدن في إيران مدينة همدان: تغوص جذور همدان في أعماق التاريخ وتعد إحدى أهم المدن التاريخية في إيران حيث يعتقد البعض أن تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

ومن المدن كرمان: تقع على مرتفعات الحاشية الغربية من صحراء لوت على مفترق عدة طرق وبها مزار الشاة حسين ومسجد الجامع في كرمان وحديقة شاه زاده.

هذه أهم المدن التي تصفحت ما سطر عنها في دليل السائح العربي وإن كان لنا من لوم أو ملاحظة فإن المواقع الساحلية في إيران لم تؤخذ بالاعتبار فلعل ذلك عائد لبعدها عن العاصمة أو الاعتبار الآخر أنها سنية كبندر عباس وبندر بو شهر ومدينة لنجة رغم أن الجنوب في منابع البترول كما هو في عبادان أو لأن تلك المدن لم تكن ملفت أنظار للسائح والزائرين فلتبقى مخازن البترول لتمد العواصم والمدن الشمالية في إيران وكفى.

هذا ما تيسر جمعه وتحليله من مشاهدات ومطالعات عن إيران البلد الذي طار صيته في العالم شرقاً وغرباً بدعوى قيام الحكومة الإسلامية ومحاربة الغرب وإحياء مبدأ الولاء والبراء.

وإن مما يميز به العلماء في إيران العمامة المدارة على رؤوسهم والعباءة التي يلبسها السادة والعلماء من متخرجي مدينة قم وهو زي إسلامي يعجب الناظر ويطرب إليه المتأمل لاسيما إذا اصطحب اللحي الكثيفة وآثار التعبد على وجوه القوم والحماس المنقطع النظير بحب العلماء والأولياء والانصياع لإرادة القيادة الدينية وهذا من جانب حسن التمسك بالدين واعتبار قادته أدلة تشريع ومنار سبيل.

نسأل الله أن يحقق للأمة آمالها وأن يعيد لها تاريخ أسلافها وأن نتذكر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١٢) [الأنبياء] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٥) [البينة] ولا يخفى أن من سنة الكون الاختلاف

والافتراق وستبقى هذه السنة أبدية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ ﴿[هود: ١١٨ - ١١٩].

تمت بإملاء المسمي نفسه إسماعيل بن سعد بن عتيق.

وتأبى العنصرية الفارسية إلا أن تظهر أعناقها للنيل من أهل السنة والجماعة بمنشورات ومطبوعات ملؤها الكذب والبهتان أبت إلا أن تدافع عن مكرها وكيدها وضلالها طفت المكتبات التجارية في قم وطهران فرأيت ذخراً هائلاً من المطبوعات العربية حملت بعضها إلى المملكة وعرضت على ساحة المفتي إيجاد زاوية في المكتبة السعودية التابعة لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء في داخل المبنى الرئيسي تضم شتات ما قيل ويقال عن هذه الدعوة السلفية المباركة للباحث والقارئ المتخصص فإن الأشياء تعرف بأضدادها، وكم حجم المصيبة إذا كنا لا نعرف ما يقال عنا ولا ما يحاك ضدنا في صلب العقيدة ومنهج الحكم.

وأكتفي ببيان أسماء بعض الكتب ومؤلفيها لإطلاع القارئ على ما كان عسى أن يكون في ذلك كشف المرء وإظهار الخفاء.

وكم عانت هذه الدعوة من خصومها ما حمل الكثير على التنكر لهذه الدعوة المباركة لا سيما من أرباب التصوف ومشيدي المقابر والمشاهد التي يعتبرونها مصدر رزقهم ومنار سؤددهم ويأبى الله ألا أن يتم نوره وقد بزغت شمس الهدى بقناعة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأحقية

هذا المنهج القائم على شرع الله ودينه ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَدَّبْ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتْ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٧]. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٤].

كل المسلمين يردّون على الوهابية، وهذه بعض كتبهم:

- ١- شفاء السقام لتقي الدين السبكي، المتوفى ٧٥٦هـ.
- ٢- وفاء الوفاء للسمهودي، المتوفى عام ٩١١هـ.
- ٣- المواهب اللدنية لأبي العباس القسطلاني، المتوفى ٩٣٢هـ.
- ٤- شرح المواهب اللدنية للزرقاني المالكي، المتوفى عام ١١٢٢.
- ٥- الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، لسليمان بن عبد الوهاب الحنبلي النجدي.
- ٦- كتاب للشيخ محمد بن سليمان الكردي، أستاذ محمد بن عبد الوهاب.
- ٧- الصواعق والرمود، لعفيف الدين محمد بن داود الحنبلي.
- ٨- السيوف الصقال في أعناق من أنكر من الأولياء، لأحد علماء بيت المقدس.
- ٩- الانتصار للأوفياء الأبرار، للشيخ طاهر الحنفي.
- ١٠- النقول الشرعية في الرد على الوهابية، للشيخ حسن بن عمر الشطي الحنبلي.

- ١١- التوسل بالنبي ﷺ وجهلة الوهابية، لابن حامد بن مرزوق.
- ١٢- تطهير الفؤاد من أنس الاعتقاد. للشيخ محمد بن نجيب مطيعي الحنفي.
- ١٣- سيف الأبرار المسلول على الفجار لمحمد بن عبدالرحمن الحنفي من علماء الأزهر.
- ١٤- إزهاق الباطل في الرد على الفرقة الوهابية، لإمام الحرمين محمد ابن داود الهمداني.
- ١٥- الدرر السنية في الرد على الوهابية، لأحمد زيني دحلان مفتي مكة المكرمة، المتوفى عام ١٣٠٤.
- ١٦- الوهابية كفر وإلحاد، للعلامة الشيخ عبدالمجيد شاهين الذي طبع بالإسكندرية عام ١٩٥٥.
- ١٧- الوهابية والصهيونية لمحمد عبدالقادر الفتحي، طبع عام ١٩٣٠.
- ١٨- كتاب يهودا لا حنابلة.
- ١٩- الأزهر والسياسة للإمام الأزهر عام ١٩٢٥م.
- ٢٠- يهود الدونمة والأصول السعودية الوهابية، للشيخ رفعت سليم جبّار، طبع في تركيا.

الخاتمة

هذا ما جرى به القلم من مخزون الذاكرة وأرشيف المكتبة فقد تنوع الخطاب واختلف الأسلوب من بلد إلى آخر وفق ماهو من مقدوري وما تمليه عليّ الحواس الخمس وبالأخص النظر واللمس ولعل الأجل يمتد لأن اكتب لك عن دول وعددها إحدى وعشرون دولة مما وطئت ثراها وشربت مائها وهي: الكويت، لبنان، سوريا، الأردن، البحرين، قطر، سلطنة عُمان، الإمارات العربية المتحدة، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، باكستان، الهند، سيرلانكا، جزر المالديف، بنجلاديش، إندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، تايلاند، الفلبين، إيران.

بيّضت المسودة وأذنت بالطبع في ٢٧ / ٩ / ١٤٣١ هـ، الرياض.

والله ولي التوفيق،،،

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد بن عتيق

جوال: ٠٥٣٣٩٩١٨١٧ تلفاكس: ٤٢٠٠٨٤٠

فهرس المحتويات

الدولة	رقم الصفحة
مقدمة.....	٥
١- الكويت.....	٩
٢- لبنان.....	٢٣
٣- سوريا.....	٤٩
٤- الأردن.....	٧١
٥- البحرين.....	٨١
٦- قطر.....	٩٣
٧- سلطنة عُمان.....	١٢٣
٨- الإمارات العربية المتحدة.....	١٢٧
٩- اليمن الشمالي وعاصمته صنعاء.....	١٥٣
١٠- اليمن الجنوبي وعاصمته عدن.....	٢١٧
١١- باكستان.....	٢٢٣
١٢- الهند.....	٢٥٩
١٣- سيرلانكا.....	٢٨٥

- ١٤- جزر المالديف ٣١١
- ١٥- بنجلاديش ٣٣٥
- ١٦- إندونيسيا ٣٥١
- ١٧- ماليزيا ٣٥٩
- ١٨- سنغافورة ٣٦١
- ١٩- تايلاند ٣٧٣
- ٢٠- الفلبين ٣٨٥
- ٢١- إيران ٤٠٥
- فهرس المحتويات ٤٢١



أيها القارئ جولة في إحدى وعشرين دولة هي: الكويت، لبنان، سوريا، الأردن، البحرين، قطر، عمان، الإمارات المتحدة، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، حينما كان الجنوب دولة هذه دول عربية باستثناء المملكة العربية السعودية لم أضمنها كتابي هذا يلي تلك الدول دول آسيوية غير عربية هي الباكستان، الهند، سيلان، جزر مالديف، بنجلاديش،

أندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، تايلاند، الفلبين، إيران، فهذه إحدى وعشرون دولة. أما دول أوروبا وإفريقيا فلها حديث آخر. ومن وقائع الأحداث وغريب الموافقة أنني أحرر هذه المقدمة في شهر شعبان ١٤٣١ هـ وفي لبنان إذ هي مركز التحقيق ومنازة الإعلام ومع ذلك فإنني لم أزد على مذكراتي السابقة في الرحلة الأولى له عام ١٣٧٩ هـ فهل أنا بهذا أهدي إلى القارئ الكريم نفائس أنفاس العمر وخطفة ومض في آفات الكون واسع الأطراف عسى أن لا أكون سبة لقارئ أو شماتة لناقد حين لا يعجبه ذلك.

وقد استشهدت صدق حديثي بصور فوتوغرافية هي شاهد على ما مضى وفيها قلت:

يا رسم حسنك في الشباب عظات	الدهر ينطق والشواهد عدة
من كان يطمع في الحياة مؤبدا	فدع الحياة فإنها غرارة
أرخت رسمي في الشباب بأبجد	إن الحياة حوادث وممات
أن على درب الممات مشاة	ينبيك عنه مقابر ورفاة
إن الحياة سنونها ساعات	(ش غ ف) الفؤاد فزادت الأهات

25-00